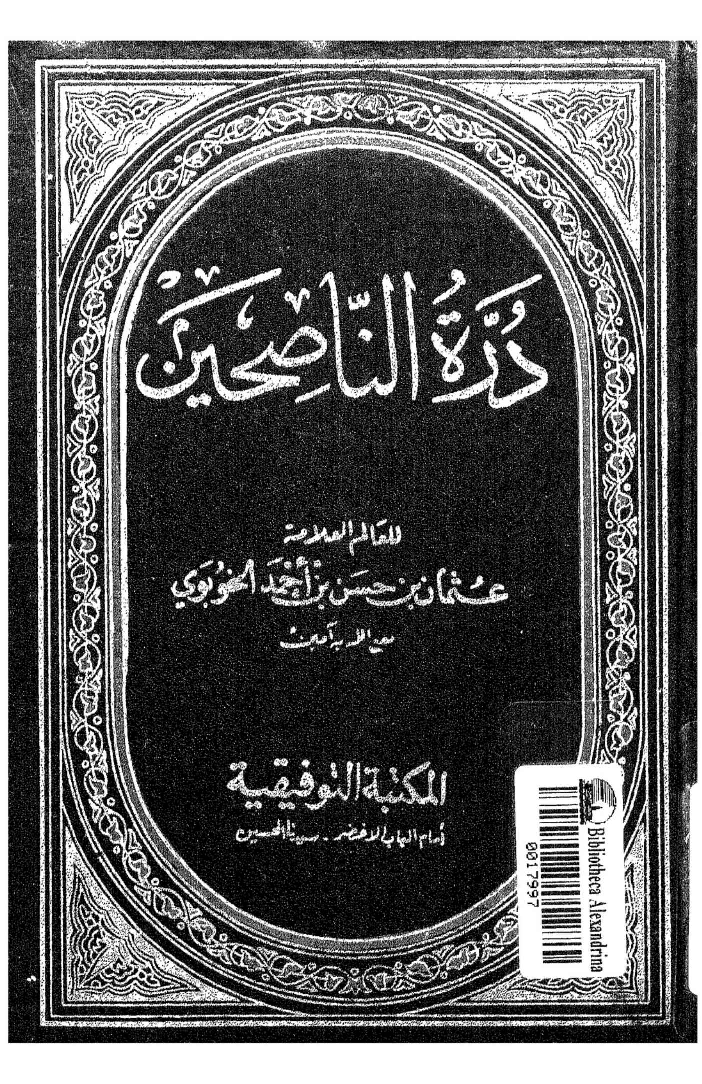

دُرَّةُ النَّاصِحِين
للعالم العلامة
عثمان بن حسن بن أحمد الخوبوي
رحمه الله آمين
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
Bibliotheca Alexandrina
0017997



للعالم العلّامة

عُثمان بن حسَن بن أحْمَد الخوبوي

نفع الله به آمين

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر (سيدنا الحسين)

دعاء

يقال عند ابتداء المجلس

صلوا على رسولنا محمد، صلوا على حبيب قلوبنا محمد، صلوا على شفيع ذنوبنا محمد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم، ونحن على ماقال خالقنا ورازقنا ومولانا من الشاهدين الشاكرين بقلب سليم، ثم يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب ... إلى آخره

دعاء

يقال عند ختام المجلس

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه أجمعين. اللهم نظم أحوالنا وحسن أفعالنا، وخلصنا من ألم الفقر والذل واعصمنا من البلاء والوباء والطاعون، ومن شرور الأعداء والشياطين والنفس الأمارة بالسوء، اللهم يسر لنا الانتظام فى جميع الأمور الدينية والدنيوية وحصل مرادنا بالخير. اللهم بعدنا من الشر والعصيان. اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. يامحول الحول والأحوال حول حالنا إلى أحسن حال. اللهم ياكثير النوال، وياخالق جميع الأفعال، وفقنا لنية الخير فى جميع الأقوال والأحوال. اللهم سلمنا وسلم ديننا، ولا تسلب وقت النزع إيماننا، ولا تسلط علينا من لايخافك ولا يرحمنا وارزقنا خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير.

دعاء

يقال عند ختام الكتاب جميعه

اللهم ربنا ياربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا يامولانا إنك أنت التواب الرحيم، واهدنا ووفقنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ببركة ختم القرآن العظيم، وبحرمة حبيبك ورسولك الكريم، واعف عنا ياكريم، واعف عنا يارحيم، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وكرمك ياأكرم الأكرمين وياأرحم الراحمين.

اللهم زينا بزينة ختم القرآن، وأكرمنا بكرامة ختم القرآن، وشرفنا بشرافة ختم القرآن. وألبسنا بخلعة ختم القرآن، وأدخلنا الجنة مع القرآن، وعافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة بحرمة ختم القرآن، وارحم جميع أمة محمد بحرمة ختم القرآن. اللهم اجعل القرآن لنا فى الدنيا

قرينا، وفي القبر مؤنسا، وفي القيامة شفيعاً، وعلى الصراط نوراً، وإلى الجنة رفيقاً، ومن النار ستراً وحجابا، وإلي الخيرات كلها دليلاً وإماماً. بفضلك وجودك وكرمك ياأرحم الراحمين.

اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة، وبكل كلمة كرامة، وبكل آية سعادة، وبكل سورة سلامة، وبكل جزء جزاء. وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين الطيبين الطاهرين.

اللهم انصر سلطاننا سلطان المسلمين، وانصر وزراءه ووكلاءه وعساكره إلى يوم الدين. واكتب السلامة والعافية علينا وعلى الحجاج والغزاة والمسافرين والمقيمين فى برك وبحرك من أمة محمد أجمعين.

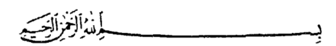
اللهم بلغ ثواب ماقرأناه ونور ماتلوناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان هدية واصلة إلى روح نبينا محمد صلى الله تعالي عليه وسلم، وإلى أرواح أولاده وأزواجه وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وإلى أرواح آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأصدقائنا وأساتذتنا وأقربائنا ومشايخنا ولمن له حق علينا، وإلى أرواح جميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك ياأرحم الراحمين. جزى الله عنا سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم بما هو أهله. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. الفاتحة.

دعاء
يقال عند الانتهاء من الطعام

الحمد لله الذي قال في كتابه: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين) والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي يحب الأسخياء والأغنياء المطعمين، وعلى آله وأصحابه المحبين الفقراء والمساكين والمكرمين.

اللهم اجعل نعمتنا دائمة ودولتنا قائمة، وأولادنا علماء، ولا تسلط علينا ظالما. اللهم ارحم صاحب هذا الطعام والآكلين، وأعط البركة لمال صاحب هذا الطعام والحاضرين وأطعمنا من طعام الجنة، وأسقنا من شراب الكوثر، وزوجنا بحور عين، وأكرمنا برؤية جمالك ياإله العالمين.

اللهم زد ولا تقلل بحرمة سيد المرسلين، والحمل لله رب العالمين. الفاتحة.



الحمدلله الذي جعلنا من الناصحين ، وأفهمنا من علوم العلماء الراسخين ، والصلاة والسلام على من نسخ دينه أديان الكفرة والطالحين ، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا بتمسك شريعته صالحين .

﴿وبعد﴾ ؛ فيقول العبد البائس الفقير ، إلى رحمة ربه القدير : عثمان بن حسن بن أحمد الخوبوي ، أكرمهم الله بلطفه وكرمه العلي : قد كنت ماكثاً في البلدة العظيمة المسماة بالقسطنطينية ، صانها الله تعالى وسائر البلاد من الآفات والبلية . فلما رأيت بين الإخوان الطلبة رالمشايخ الموالي ، الذين هم بين الأنام كالمصابيح في ظلم الليالي ، موعظة مرغوبة فيما بينهم وبين العلماء الفضلاء ، الذين هم كانوا باعتصام معدن العلم ورثة الأنبياء . لكنها غير مرتبة على نسق القرآن العظيم والفرقان المجيد : أردت أن أكتبها وأصلح خطأها بعناية الملك الحميد .

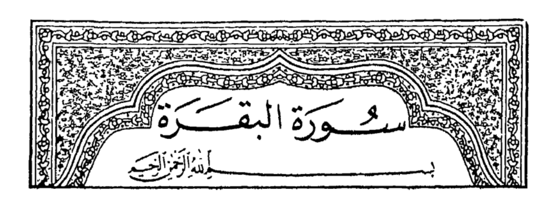
وقد صادفنا بعض الطلبة من إخواننا يقولون بألسنتهم ما ليس في كتابنا ، ويخطئون ـ بل يكفرون ـ في نصائحهم ومواعظهم إلى المنغمسين في النعاس ، ويسرون الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . نعوذ بالله من شر أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، صرف الله عن إلقاء الفتن في قلوبنا .

ثم طرأ بي من الأيام الحادثة مرض شديد ، بأمر الله وتقدير الملك الحميد ، وكنت ذا فراش عدة من الأيام ، بحيث ما قدرت على نبذة من الكلام ، ونذرت في أثنائه إن عصمني العاصم من الآفات والبلايا : ألق معشوقاً بين العشاق والبرايا ، وأفض على وجه القرطاس ضياء الشموس والأنوار ، وأجر بين الأنام ماء المد والبحار . ولما رُزقت الخلاص من المرض المسطور ، وما بقي عندي شيء من الفتور ، وعثرت على هذه الأقوال ، وما وقعوا بأيديهم

في الخطأ والضلال ، وأخذت في الكتابة بعناية الملك المنان : صار كل مسائلها كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان . ورتبت كل آية بتنظيم القرآن الكريم ، وانتقيت ما دل على أوصاف الجنان والجحيم ، وألحقت بعض الأحاديث الشريفة ، والقصص اللطيفة ، فيمن يعمل عمل قوم لوط من الخبيث والخبيثة ، وبينت ما شأنه في الدنيا والآخرة ، وهل يجب الحد أو الرجم على قياس الزاني والزانية . ولما خرجت من بطن الأم إلى دار الفناء ، واحتاجت إلى اسم معين من أشرف الأسماء سميتها ب ﴿ درة الناصحين ﴾ ، جعلها الله في مواقع حسنة بين الإخوان من الصالحين . إلا أني ألتمس من بعض الأذكياء ، فضلاً عن الفضلاء والكبراء ، أن يصلح ما وقع خطأ مني ، وأن يرفع ما نشأ سهواً عني ؛ لأن الإنسان محل النسيان ، ولأن شروع مثلي في مثل هذا من الفضاحة ، كما أن كتابة الأشل من الضياعة ، والاشتغال بمثل هذا في أثناء التحصيل ، كإلقاء النقود الجيدة في النيل . ما العفو وما التكفير إلا من الغفران ، ما الذنب وما التقصير إلا من العصيان . والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، له الحمد على كل حال ، سوى الكفر والضلال ، وهو المنزه عن الشبيه والمثال .

المؤلف





﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرىء بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع داية في ابن دأبة علماً للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الألتباس وانما سموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام الرمض اي الحر حيثما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنَ ﴾ أي ابتدىء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو وقوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف إبراهيم عليه السلام أو ل ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة والزبور لثمان عشرة من رمضان والقرآن لأربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ أو صلته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه أشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ﴿ هُدىً لِلنَّاسِ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ حالان من القرآن أي أنزل

فيه وهو هداية الله للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (قاضي) .

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه السلام ﴿ رغم أنف رجل ﴾ أي لحقه ذل وحقارة ﴿ ذكرت عنده ولم يصل عليَّ ، ورغم أنف رجل عنده أبواه أو أحدهما فلم يعمل في حقهما عملاً يدخل بسببه الجنة ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان وتم رمضان قبل أن يغفر له ﴾ لأن رمضان شهر رحمة ومغفرة من الله تعالى فمن لم يغفر له فيه فهو مغبون (زبدة الواعظين) روي عنه عليه السلام : « من صلى عليَّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) عن النبي عليه السلام أنه قال : « من فرح بدخول رمضان حرم الله جسده على النيران » . وقال عليه السلام : « إذا كان أول ليلة من رمضان يقول الله تعالى : من ذا الذي يحبنا فنحبه ؟ ومن ذا الذي يطلبنا فنطلبه ؟ ومن ذا الذي يستغفرنا فنغفر له بحرمة رمضان ؟ فيأمر الله تعالى الكرام الكاتبين في شهر رمضان بأن يكتبوا لهم الحسنات ولا يكتبوا عليهم السيئات ، ويمحو الله تعالى عنهم ذنوبهم الماضية . روي أن صحف إبراهيم عليه السلام أنزلت ليلة أول شهر رمضان والتوراة لست ليال من رمضان بعد سبعمائة عام من صحف إبراهيم عليه السلام ، والزبور لاثنتي عشرة ليلة منه خلت بعد التوراة بخمسمائة عام ، والإنجيل لثمان عشرة منه بعد الزبور بألف ومائة سنة ، والفرقان لسبع وعشرين منه بعد الإنجيل بستمائة وعشرين سنة انتهى (من كتاب الحياة) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو علم أمتي ما في رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » لأن الحسنات فيه مجتمعة والطاعة مقبولة والدعوات مستجابة والذنوب مغفورة والجنة مشتاقة لهم (زبدة الواعظين) وعن حفص الكبير أنه قال : قال داود الطائي غلبني النوم في أول ليلة من رمضان فرأيت الجنة فكأني جالس على شط نهر من درّ وياقوت وإذا رأيت جواري الجنة كأنهن الشمس من نور وجههن فقلت لا إله إلا الله محمد رسول الله فقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله نحن للحامدين الصائمين الراكعين الساجدين في شهر رمضان ولذا قال ﷺ : « الجنة مشتاقة إلى أربعة نفر : تالي القرآن وحافظ اللسان ومطعم الجيعان والصائمين في شهر رمضان » ﴿رونق المجالس﴾ وفي الخبر إذا أهل هلال رمضان صاح العرش والكرسي والملائكة وما دونهم يقولون طوبى لأمة محمد عليه السلام بما عند الله تعالى لهم من الكرامة واستغفرت لهم الشمس والقمر والكواكب والطيور في الهواء والسمك

في الماء وكُل ذي روح على وجه الأرض في الليل والنهار إلا الشياطين عليهم اللعنة فإذا أصبحوا لا يترك الله تعالى أحداً منهم إلا يغفر لهو يقول الله تعالى للملائكة اجعلوا صلاتكم وتسبيحكم في رمضان لأمة محمد عليه السلام . حكى أن رجلاً اسمه محمد كان لا يصلي قط فإذا دخل رمضان يزين نفسه بالثياب والطيب ويصلي ويقضي ما فاته فقيل له لم تفعل ذلك فقال هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عني بفضله فمات فرؤى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ربي بحرمة تعظيمي رمضان . عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال إذا استيقظ أحدكم من نومه في شهر رمضان وتحرك في فراشه وتقلب من جانب إلى جانب يقول له ملك قم بارك الله فيك ورحمك الله فإذا قام بنية الصلاة يدعو له الفراش ويقول اللهم أعطه الفرش المرفوعة وإذا لبس ثوبه يدعو له الثوب ويقول اللهم أعطه حلل الجنة وإذا لبس نعليه تدعو له نعلاه وتقولان اللهم ثبت قدميه على الصراط وإذا تناول الإناء يدعو له الإناء ويقول اللهم أعطه من أكواب الجنة وإذا توضأ يدعو له الماء ويقول اللهم طهره من الذنوب والخطايا وإذا قام إلى الصلاة يدعو له البيت ويقول اللهم وسع قبره ونور حفرته وزد رحمته وينظر الله تعالى إليه بالرحمة ويقول عند الدعاء يا عبدي منك الدعاء ومنا الإجابة ومنك السؤال ومنا السؤال ومنك الاستغفار ومنا الغفران (زبدة الواعظين) وفي الخبر إن رمضان يجيء يوم القيامة في أحسن صورة فيسجد بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى يا رمضان سل حاجتك فخذ بيد من عرف حقك فيدور في العرصات فيأخذ بيد من عرف حقه فيقف بين يدي الله تعالى فيقول الله يا رمضان ماذا تريد فيقول أريد أن تتوجه بتاج الوقار فيتوجه الله تعالى بألف تاج ثم يشفع في سبعين ألفا من أهل الكبائر ثم يزوج بألف حوراء مع كل حوراء سبعون ألف وصيفة ثم يركبه على البراق فيقول الله تعالى ماذا تريد يا رمضان فيقول أنزله بجوار نبيك فينزله الله الفردوس فيقول الله يا رمضان ماذا تريد فيقول قضيت حاجتي يا رب أين كرامتك فيعطي مائة مدينة من ياقوتة حمراء وزبرجد خضراء وفي كل مدينة ألف قصر (زهرة الرياض) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة . وعن زيد بن رفيع عن النبي عليه السلام أنه قال من صلى عليَّ مائة في يوم الجمعة غفر الله له ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر (زبدة الواعظين خ أبو هريرة) أي روى البخاري عنه ﴿ من قام رمضان ﴾ أي أحيا لياليه بالعبادة غير ليلة القدر تقديراً أو معناه أدى التراويح فيه ﴿ إيمانا ﴾ أي تصديقا بثوابه ﴿ واحتسابا ﴾ أي إخلاصا نصبهما على الحالية أو على أنهما مفعولان له ﴿ غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ (مشارق)

عن ابن عباس عن النبي عليه السلام أنه قال إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة وتتحرك أوراق أشجار الجنة فيسمع من ذلك صداء لم يسمع السامعون أحسن منه فتنظر حور العين إلى ذلك فيقلن اللهم أجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً فما من عبد صام رمضان إلا زوجه الله تعالى زوجة من تلك الحور في الخيمة كما قال الله تعالى في كلامه القديم ﴿ حور مقصورات في الخيام ﴾ وعلى كل حوراء منهن سبعون حلة ليست على لون واحد ولكل امرأة سرير من ياقوتة حمراء منسوج بالدر وعلى كل سرير سبعون فراشاً وسبعون مائدة من ألوان الطعام هذا لمن صام رمضان سوى ما عمل من الحسنات فينبغي للمؤمن أن يحترم شهر رمضان ويحترز من المنكرات ويشتغل بالطاعات من الصلاة والتسبيح والتذكير وتلاوة القرآن . قال الله تعالى لموسى عليه السلام إني أعطيت أمة محمد نورين كيلا يضرهم ظلمتان فقال موسى ما النوزان يا رب؟ فقال الله تعالى: نوررمضان ونور القرآن فقال موسى وما الظلمتان يا رب؟ قال الله تعالى ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة (درة الواعظين) وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال من حضر مجلس العلم في رمضان كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ويكون معي تحت العرش ومن داوم على الجماعة في رمضان أعطاه الله تعالى يوم القيامة بكل ركعة مدينة تملأ من نعم الله تعالى ، ومن بر والديه في رمضان ينال نظر الله تعالى بالرحمة وأنا كفيل في الجنة وما من امرأة تطلب رضى زوجها في رمضان إلا ولها ثواب مريم وآسية ومن قضى حاجة أخيه المسلم في رمضان قضى الله تعالى له ألف حاجة يوم القيامة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه السلام من أسرج في مسجد من مساجد الله تعالى في رمضان كان له نور في قبره وكتب له ثواب المصلين في ذلك المسجد وصلت عليه الملائكة واستغفر له حملة العرش ما دام ذلك المسجد (ذخرة العابدين) روى عن النبي عليه السلام أنه قال إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النيران ولم يفتح باب منها وفتحت أبواب الجنان ولم يغلق باب منها فيقول الله في كل ليلة من رمضان ثلاث مرات هل من سائل فأعطيه سؤله هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له ويعتق الله بكل يوم من رمضان ألف ألف عتيق من النار قد استوجب العذاب وإذا كان يوم الجمعة يعتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار فإذا كان آخر يوم من رمضان يعتق بعدد من عتق من أول الشهر (زبدة الواعظين) صوم يوم الشك على سبعة أوجه ثلاثة منها جائزة مع الكراهة وثلاثة بغير كراهة وواحد لا يجوز أصلا أما الثلاثة التي هي جائزة مع الكراهة فالأول هو أن يصوم يوم الشك بنية رمضان والثاني أن ينوي به واجبا آخر والثالث أن يصومه بنية مترددة يعني إن كان من

رمضان فهو منه وإن كان من شعبان فهو منه فهذه جائزة وأما الثلاثة التي هي جائزة بغير كراهة فهو أن يصوم يوم الشك بنية التطوع أو بنية شعبان أو بنية مطلقة وأما الواحد الذي لا يجوز أصلا فهو أن يصوم يوم الشك على أنه إن كان من رمضان فأنا صائم وإلا فلا فهو لا يجوز أصلا (قاضيخان)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أيهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب للنفس والصوم في اللغة الإمساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الإمساك عن المفطرات الثلاث ـ بياض النهار) فإنها معظم ما تشتهيه النفس ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْن﴾ المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أو الإخلال بأدائه لأصالته وقدمه ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ موقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلاً ونصبها ليس بالصيان لوقوع الفصل بينهما بل بإضمار صوموا بدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء او ثلاثة أيام من كل شهر أو بكما كتب على الظرفية أو على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيْضاً﴾ مرضاً يضره الصوم ويعسر معه ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر ﴿ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فعليه صوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخر أن أفطر (قاضي بيضاوي).

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه السلام أنه قال : « جاءني جبرائيل وقال يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ومن صلت عليه الملائكة

كان من أهل الجنة » (زبدة) عن النبي عليه السلام أنه قال : « حكاية عن ربه » قال الله تعالى (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به) لأن الصوم سر ليس فيه عمل يشاهد له بخلاف سائر الطاعات ولأنه سر لا يراه أحد إلا الله تعالى فالتزم جزاءه ولذا روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يجيء قوم لهم أجنحة كأجنحة الطير فيطيرون بها على حيطان الجنة فيقول لهم خازن الجنة من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام فيقول هل رأيتم الحساب فيقولون لا ثم يقول هل رأيتم الصراط فيقولون لا ثم يقول بم وجدتم هذه الدرجات فيقولون عبدنا الله تعالى سراً في دار الدنيا وأدخلنا الجنة سراً في الآخرة » (زبدة الواعظين) وإذا خاف الصائم على نفسه الهلاك من الجوع والعطش أو كان مريضاً فخاف زيادة المرض جاز له أن يفطر لأن الحالة حالة الضرورة والضرورات تبيح المحظورات (روضة العلماء) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « أعطيت لأمتي خمسة أشياء لم تعط لأحد قبلهم الأول إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم بالرحمة ومن نظر الله إليه بالرحمة لا يعذبه بعده أبدا والثاني يأمر الله تعالى الملائكة بالاستغفار لهم والثالث أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك والرابع يقول الله تعالى للجنة اتخذي زينتك ويقول طوبى لعبادي المؤمنين هم أوليائي والخامس يغفر الله تعالى لهم جميعاً » ولذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (زبدة الواعظين) .

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالى في كل ساعة من رمضان يعتق ستمائة ألف رقبة من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر وفي ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر وفي يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر إلى يوم الفطر » (مشكاة) وعن جابر عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا كان آخر ليلة من رمضان بكت السموات والأرض والملائكة مصيبة لأمة محمد عليه السلام قيل يا رسول الله أي مصيبة هي قال عليه السلام ذهاب رمضان فإن الدعوات فيه مستجابة والصدقات مقبولة والحسنات مضاعفة والعذاب مدفوع فأي مصيبة أعظم من ذهاب رمضان فإذا بكت السموات والأرض لأجلنا فنحن أحق بالبكاء والتأسف لما ينقطع عنا من هذه الفضائل والكرامات » (حياة القلوب) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق ملكاً له أربعة أوجه من وجه إلى وجه مسيرة ألف سنة فبوجه يسجد إلى يوم القيامة ويقول في سجوده سبحانك ما أعظم جمالك وبوجه ينظر إلى جهنم ويقول الويل لمن دخلها وبوجه ينظر إلى الجنان ويقول طوبى لمن دخلها وبوجه ينظر إلى عرش الرحمن ويقول رب ارحم ولا تعذب صائمي رمضان

من أمة محمد عليه السلام » (زهرة الرياض) عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالى يأمر الكرام الكاتبين في شهر رمضان أن يكتبوا الحسنات لأمة محمد عليه السلام ولا يكتبوا عليهم السيئات ويذهب عنهم ذنوبهم الماضية . وقال عليه السلام من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (زهرة الرياض » يقال للصوم ثلاث درجات صوم العوام وصوم الخواص وصوم خواص الخواص أما صوم العوام فكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخواص فهو صوم الصالحين وهو كف الجوارح عن الآثام فلا يتم ذلك إلا بمداومة خمسة أشياء . الأول غض البصر عن كل ما يذم شرعاً والثاني حفظ اللسان عن الغيبة والكذب والنميمة واليمين المغموس لما روى أنس عن النبي عليه السلام أنه قال : خمسة أشياء تحبط الصوم أي تبطل ثوابه الكذب والغيبة والنميمة واليمين المغموس والنظر بشهوة . والثالث كف الأذن عن استماع كل مكروه . والرابع كف جميع الأعضاء عن المكاره وكف البطن عن الشبهات في وقت الإفطار إذ لا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فمثله كمن بنى قصراً وهدم مصراً قال عليه السلام كم من صائم ليس له إلا الجوع والعطش . والخامس أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يملأ بطنه ولذا قال عليه الصلاة والسلام فما من وعاء أبغض إلى الله من بطن ملىء من الحلال . وأما صوم خواص الخواص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية فإذا تفكر هذا الصائم فيما سوى الله يحصل الفطر من صومه وهو رتبة الأنبياء والصديقين فإن تحقق هذا المقام الإقبال إلى الله تعالى بالكلية والإنصراف عن غيره (زبدة الواعظين) إعلم أن الصوم عبادة لا يقع عليها حواس العباد فلا يعلمه إلا الله الصائم فصار الصوم عبادة بين الرب والعباد ولما كان هذا عبادة وطاعة لا يعرفها إلا الله أضافها فقال(الصوم لي وأنا أجزي به) وقيل أضافه إلى نفسه لأن الصوم عبادة لا يقع لأحد فيها شركة مع الله تعالى لأن من العباد من يعبد الصنم ويسجد له ويصلي للشمس والقمر ويتصدق لأجل الصنم وهم الكفار وليس من العباد أحد يصوم للصنم أو الشمس أو للقمر أو للنار بل يصوم لله تعالى خالصاً فلما كان هذا عبادة لا يتعبد بها لغير الله وهي عبادة خالصة لله تعالى أضافه إلى نفسه فقال (الصوم لي وأنا أجزي به) قوله وأنا أجزي به يعني أكون له عن صومه على كرم الربوبية لا على استحقاق العبودية . وقال أبو الحسن معنى قوله وأنا أجزي به كل طاعة ثوابها الجنة والصوم جزاؤه لقائي أنظر إليه وينظر إلي ويكلمني وأكلمه بلا رسول ولا ترجمان أهـ ما قاله في مختصر الروضة فاحفظه وأنصح الناس ولا تكن من المشتبهين . ويجوز للصائم أن يمس امرأته أو يقبلها في رمضان عندنا إذا كان يأمن على نفسه

فإن خاف على نفسه الجماع أو الإنزال بنفس المس لا يجوز ذلك . وقال سعيد بن المسيب لا يباح للصائم التقبيل والمس خاف أو لم يخف لما روي عن ابن عباس أن شاباً قام إلى ابن عباس فقال له أأقبل وأنا صائم فقال لا فقام إليه الشيخ فقال أأقبل وأنا صائم فقال نعم لأنه نعم فعاد إليه الشاب فقال له أتحل له ما حرمت علي ونحن على دين واحد فقال لأنه شيخ يملك إربه وأنت شاب لا تملك إربك يعني عضوك وعورتك (روضة العلماء) قيل المراد بالصوم تجير عدو الله فإن وسيلة الشيطان بالشهوة وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب فلا يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وكسر الشهوات إلا بتذليل النفس بقلة الأكل ولذا روي في مشروعية الصوم إن الله تعالى خلق العقل فقال أقبل فأقبل ثم قال ادبر فأدبر ثم قال من أنت ومن أنا قال العقل أنت ربي وأنا عبدك الضعيف فقال الله تعالى يا عقل ما خلقت خلقاً أعز منك ثم خلق الله تعالى النفس فقال لها أقبلي فلم تجب ثم قال لها من أنت ومن أنا فقالت أنا أنا وأنت أنت فعذبها بنار جهنم مائة سنة ثم أخرجها فقال من أنت ومن أنا فأجابته كالأول ثم جعلها في نار الجوع مائة سنة فسألها فأقرت بأنها العبد وأنه الرب فأوجب الله تعالى عليها الصوم بسبب ذلك (مشكاة) قيل الحكمة في فرضية الصوم ثلاثين يوماً أن أبانا آدم عليه السلام لما أكل في الجنة من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوماً فلما تاب إلى الله تعالى أمره بصوم ثلاثين يوماً بلياليها لأن لذة الدنيا أربعة : الطعام والشراب والجماع والنوم فإنها حجاب للعبد عن الله تعالى وفرض على محمد وأمته بالنهار وأبيح الأكل بالليل وهو فضل من الله تعالى وكرم علينا (بهجة الأنوار) حكي أن مجوسياً رأى ابنه في رمضان يأكل في السوق فضرب ابنه فقال لم لم تحفظ حرمة المسلمين في رمضان فمات المجوسي فرآه عالم في المنام على سرير العزة في الجنة فقال ألست مجوسياً فقال بلى ولك أن سمعت وقت الموت نداء من فوقي يا ملائكتي لا تتركوه مجوسياً فأكرموه بالإسلام بحرمته رمضان .
فالإشارة أن المجوسي لما احترم رمضان وجد الإيمان فكيف بمن صامه واحترمه (زبدة المجالس) روي عن رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى : « كل حسنة يعملها ابن آدم يضاعف له أجرها من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » .
اختلف العلماء في قوله تعالى الصوم لي وأنا أجزي به مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال . أحدها أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره لأن الرياء يقع لابن آدم وإنما الصوم شيء في القلب وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم فإنما هو بالنية التي تخفى عن الناس . وثانيها أن المراد بقوله وأنا أجزي به أنه انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف أجره وأما غيره من العبادات فقد يطلع عليها بعض الناس . وثالثها معنى قوله

الصوم لي وأنا أجزي به أي أنه أحب العبادة إليه . ورابعها الإضافة إليه وهي إضافة تشريف وتضعيف كما يقال بيت الله . وخامسها أن الإستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب فلما تقرب الصائم إلى الله بما يوافق صفاته أضافه إليه . وسادسها أن المعنى كذلك لكن بالنسبة إلى الملائكة لأن ذلك صفاتهم . وسابعها أن جميع العبادات يوفى منها مظالم العباد إلا الصيام . واتفق العلماء على أن المراد بالصوم في قوله الصوم لي وأنا أجزي به صيام من سلم صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً (مفتاح الصلاة) روي عن النبي عليه الصلاة والسلام : « أنه قال من قام رمضان إيماناً وأحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » . صدق رسول الله فيما قال .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ إما بخلق علم ضروري بها فيه أو بإلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه أخيافاً ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمناً إذا التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه للدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيباً لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ ﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير في الموجودات وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الإستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴾ الذي لا يخفي عليه خافية ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ المحكم لمدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة (قاضي) .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليَّ صلاة» (شفاء شريف) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال من سلك طريقاً من العلم سلك الله به طريقا في الجنة وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر وإن العلماء ورثة الأنبياء وعن أبي ذر أنه قال قال : عليه السلام يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم باباً من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة . قال عليه السلام من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى له ثواب سبعين نبياً وقال عليه السلام من جلس عند العالم ساعتين أو أكل معه لقمتين أو سمع منه كلمتين أو مشى معه خطوتين أعطاه الله تعالى جنتين كل جنة مثل الدنيا مرتين (مشكاة الأنوار) عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال : « سألت جبريل عن صاحبي العلم فقال هم سراج أمتك في الدنيا والآخرة طوبى لمن عرفهم والويل لمن أنكرهم وأبغضهم » (كواشي) روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى الصلاة مع الجماعة وجلس في حلقة العلم وسمع كلام الله وعمل به أعطاه الله ستة أشياء الرزق من الحلال وينجو من عذاب القبر ويعطيَ كتابه بيمينه ويمرّ على الصراط كالبرق الخاطف ويحشر مع النبيين ويبني الله له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء له أربعون باباً » (زبدة) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة سنة . يقال العلم أفضل من العمل بخمسة أوجه الأول العلم بغير عمل يكون والعمل بغير علم لا يكون والثاني العلم بغير عمل ينفع والعمل بغير علم لا ينفع والثالث العمل لازم والعلم منور كالسراج والرابع العلم مقام الأنبياء كما قال عليه السلام علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل والخامس العلم صفة الله والعمل صفة العباد وصفة الله أفضل من صفة العباد (تفسير تيسير) عن ابن عباس رضيّ الله عنهما أنه قال خير سليمان عليه السلام بين العلم والملك فاختار العلم فأعطى له العلم والملك وقال بعض الحكماء العلم ثلاثة أحرف عين ولام وميم واشتقاق العين من عليين واشتقاق اللام من اللطف واشتقاق الميم من الملك فالعين يجاوز

صاحبه إلى عليين واللام يجعله لطيفا والميم يجعله ملكا على الخلق ويقال يدل على شرف العلم أمره تعالى لمحمد عليه السلام وقل رب زدني علماً لأن الله تعالى أعطى محمداً كل العلوم ولم يأمر بطلب زيادة غير العلم (مجالس الأبرار) حكى أن النبي ﷺ جاء إلى باب المسجد فرأى الشيطان عند بابه فقال : « ﷺ يا إبليس ما تصنع هنا فقال الشيطان أريد أن أدخل المسجد وأفسد صلاة هذا المصلي ولكن أخاف من هذا الرجل النائم » قال : « ﷺ يا إبليس لم لا تخاف من المصلي وهو في العبادة والمناجاة مع ربه وتخاف من النائم في الغفلة قال الشيطان المصلي جاهل وإفساده أسهل ولكن النائم عالم إذا أغويت المصلي وأفسدت صلاته أخاف من يقظته وإصلاحه عجلاً فقال عليه الصلاة والسلام نوم العالم خير من عبادة الجاهل » (منهاج المتعلمين)) قال عليه السلام من أراد أن يحفظ العلم فعليه أن يلازم خمس خصال . الأولى صلاة الليل ولو ركعتين . والثانية دوام الوضوء . والثالثة التقوى في السر والعلانية . والرابعة أن يأكل للتقوى لا للشهوات . والخامسة السواك . وقال النبي عليه السلام خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرف الدنيا والآخرة مع العلم والعالم الواحد أكبر من جهة الفضل عند الله تعالى من ألف شهيد والمراد من العالم في هذا الحديث هو عالم عمل بعلمه قال عليه السلام إن الله خلق تحت العرش مدينة مكتوباً على بابها من زار العلماء فكأنما زار الأنبياء ولذا قال : « ﷺ جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة . وروى عن النبي عليه السلام إن الله تعالى خلق مدينة من نور تحت العرش مثل الدنيا عشر مرات فيها ألف شجرة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ومرجان وإذا كان يوم القيامة فتحت أوراقها ثم ينادي مناد من قبل الرحمن أين الذين صلوا الصلوات الخمس مع الجماعة فجلسوا في حلقة العلم جيئوا إلى ظل هذه الأشجار اليوم فيجيئون فيجلسون تحت هذه الأشجار ثم يوضع بين أيديهم مائدة من نور فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين فيقال لهم كلوا منها جميعاً » (كذا في مكاشفة الأسرار) وقال النبي عليه الصلاة والسلام ما من مؤمن يحزن بموت العالم إلا كتب الله له ثواب ألف عالم وألف شهيد كذا قال عليه السلام موت العالم موت العالم وفي الكواشي من شتم امرأ من أهل العلم بكلمة الجماع يكفر وتطلق امرأته طلاقاً بائناً عند محمد وعند أهل الفقه وقال صدر الشهيد في فتاوى بديع الدين من استخف بالعالم يكفر وتطلق امرأته بائناً . وقال عليه السلام سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء والفقهاء فيبتليهم الله تعالى بثلاث بليات أولاها يرفع البركة من كسبهم والثانية يسلط الله تعالى عليهم سلطاناً ظالماً والثالثة يخرجون من الدنيا بغير إيمان (كذا في مكاشفة الأسرار) وروى أن النبي عليه السلام قال إذا كان يوم القيمة يؤتى بأربعة نفر عند باب الجنة بغير رؤية

الحساب والعذاب الأول العالم الذي عمل بعلمه والثاني الحاج الذي حج بغير عمل الفساد والثالث الشهيد الذي قتل في المعركة والرابع السخي الذي اكتسب مالاً حلالاً وأنفقه في سبيل الله بغير رياء فينازع بعضهم بعضاً لدخول الجنة أولاً فيرسل الله تعالى جبرائيل ليحكم بينهم فيسأل أولاً الشهيد فيقول له ما عملت في الدنيا وأنت تريد دخول الجنة أولاً فيقول قتلت في المعركة لرضى الله تعالى فيقول ممن سمعت ثواب الشهيد فيقول من العلماء فيقول احفظ الأدب لا تقدم على معلمك ثم يرفع رأسه إلى الحاج فيقول مثل ذلك ثم إلى السخي فيقول مثل ذلك ثم يقول العالم إلهي ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخي بسبب إحسانه فيقول الله عز وجل : صدق العالم يا رضوان افتح أبواب الجنة حتى يدخل السخي الجنة وهؤلاء بعده (كذا في مشكاة الأنوار) وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وكذا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام أنا عليم أحب علياً وقال حسن رحمة الله عليه مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء فيترجح مداد العلماء على دم الشهداء وكذا قال النبي عليه السلام كن عالماً أو متعلماً أو سامعاً ولا تكن رابعاً فتهلك قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله لأن قليل العمل ينفع من العلم وأن كثير العمل لا ينفع مع الجهل فعلم من هذا أن العلم أشرف جوهراً من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم وإلا لكان عمله هباء منثوراً ، وقال النظر إلى وجه العالم عبادة ، وقال عليه السلام إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحوت في البحر ليصلون على معلم الناس خيراً (زبدة الواعظين) قال النبي ﷺ إن الله جعل بني آدم على ثماني خصال : منها أربع لأهل الجنة : وجه مليح ، ولسان فصيح وقلب تقي ، ويد سخي ، وأربع لأهل النار : وجه عابس ، ولسان فاحش ، وقلب شديد ويد بخيل ، صدق رسول الله . وقال النبي عليه السلام احذروا ثلاثة أصناف من الناس وهم : العلماء الغافلون ، والفقراء المداهنون ، والمتصوفون الجاهلون . وقال النبي ﷺ قوام الدنيا بأربعة أشياء : أولها بعلم العلماء ، والثاني بعدل الأمراء . والثالث بسخاوة الأغنياء ، والرابع بدعوة الفقراء ، ولولا علم العلماء لهلك الجاهلون ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لهلك الأغنياء ولولا عدل الأمراء لأكل بعض الناس بعضاً كما يأكل الذئب الغنم .

وقال النبي عليه السلام من أنفق درهماً على طالب العلم فكأنما أنفق مثل جبل أحد من الذهب الأحمر في سبيل الله تعالى . قال النبي عليه السلام من صلى صلاة في الجماعة مع المسلمين أربعين يوماً لم تفته ركعة كتب الله له براءة من النفاق . قال النبي عليه السلام من صلى الصبح ثم جلس ليذكر الله تعالى يعطيه الله تعالى في الفردوس سبعين قصراً من ذهب

وفضة وقال النبي عليه السلام إنما مثل الصلاة كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى عليه وسخ قالوا لا قال كذلك الصلاة تغسل الذنوب (دقائق الأخبار) .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم وأطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى أن أعرابياً جاء إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم ﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ أمر بالثبات والمداومة عليه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرىء بفتح الشين وكسرها . وأعلم أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً لهم وحثاً عليه . (قاضي) .

عن ابن مالك عن النبي عليه السلام أنه قال ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على النبي عليه السلام فإذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ويدخل الدعاء وإذا لم يفعل ذلك رجع دعاؤه . حكي أن واحداً من الصلحاء جلس للتشهد ونسي الصلاة على النبي عليه السلام فرأى رسول الله في نومه فقام عليه السلام فقال له لم نسيت الصلاة عليَّ ، فقال يا رسول الله اشتغلت بثناء الله وعبادته فنسيت الصلاة عليك ، فقال عليه السلام أما سمعت قولي الأعمال موقوفة والدعوات محبوسة حتى يصلى عليَّ ، ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها صلاة عليَّ ؛ ردت عليه حسناته فلم يقبل منها شيءٌ ؟(زبدة) روى أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال إلهي هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتني حيث أسمعتني كلامك ؟ قال الله تعالى يا موسى إن لي عباداً أخرجهم في آخر الزمان فأكرمهم بشهر رمضان وأنا أكون أقرب إليهم منك فإني كلمتك وبيني وبينك سبعون ألف

حجاب فإذا صامت أمة محمد وابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت الإفطار ، يا موسى طوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه في رمضان فلا أجازيهم دون لقائي . فينبغي للعاقل أن يعرف حرمة هذا الشهر ويحفظ قلبه فيه من الحسد والعداوة للمسلمين ومع ذلك يكون خائفاً وخاشعاً من الله أيقبل صومه أم لا حيث قال إنما يتقبل الله من المتقين يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون صيامهم يتلقون بالموائد والتحف والأباريق يقال لهم كلوا قد جعتم حين شبع الناس واشربوا قد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فيأكلون ويشربون والناس في الحساب (تنبيه الغافلين) عن علي بن أبي طالب رضيَ الله تعالى عنه أنه قال سئل النبي عليه السلام عن فضائل التراويح في شهر رمضان فقال : « يخرج المؤمن من ذنبه في أول ليلة كيوم ولدته أمه ، وفي الليلة الثانية يغفر له ولأبويه إن كانا مؤمنين وفي الليلة الثالثة ينادي ملك من تحت العرش استخلص العمل غفر الله ما تقدم من ذنبك وفي الليلة الرابعة له من الأجر مثل قراءة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وفي الليلة الخامسة أعطاه الله تعالى مثل من صلى في المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى وفي الليلة السادسة أعطاه الله تعالى ثواب من طاف بالبيت المعمور ويستغفر له كل حجر ومدر وفي الليلة السابعة فكأنما أدرك موسى عليه السلام ونصره على فرعون وهامان وفي الليلة الثامنة أعطاه الله تعالى ما أعطى إبراهيم عليه السلام وفي الليلة التاسعة فكأنما عبد الله تعالى عبادة النبي عليه السلام وفي الليلة العاشرة يرزقه الله خير الدنيا والآخرة وفي الليلة الحادية عشر يخرج من الدنيا كيوم ولد من بطن أمه وفي الليلة الثانية عشر جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وفي الليلة الثالثة عشر جاء يوم القيامة آمنا من كل سوء وفي الليلة الرابعة عشر جاءت الملائكة يشهدون له أنه قد صلى التراويح فلا يحاسبه الله يوم القيامة وفي الليلة الخامسة عشر يصلى عليه الملائكة وحملة العرش والكرسي وفي الليلة السادسة عشر كتب الله له براءة النجاة من النار وبراءة الدخول في الجنة وفي الليلة السابعة عشر يعطي مثل ثواب الأنبياء وفي الليلة الثامنة عشر نادى ملك يا عبد الله أن الله رضي عنك وعن والديك وفي الليلة التاسعة عشر يرفع الله درجاته في الفردوس وفي الليلة العشرين يعطي ثواب الشهداء والصالحين وفي الليلة الحادية والعشرين بنى الله له بيتاً في الجنة من النور وفي الليلة الثانية والعشرين جاء يوم القيامة آمناً من كل غم وهم . وفي الليلة الثالثة والعشرين بنى الله له مدينة في الجنة ، وفي الليلة الرابعة والعشرين كان له أربع وعشرون دعوة مستجابة وفي الليلة الخامسة والعشرين يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر وفي الليلة السادسة والعشرين يرفع الله له ثواب أربعين عاماً . وفي الليلة السابعة والعشرين جاز يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف ؛ وفي

. . . .

الليلة الثامنة والعشرين يرفع الله له ألف درجة في الجنة ، وفي الليلة التاسعة والعشرين أعطاه الله ثواب ألف حجة مقبولة ، وفي الليلة الثلاثين يقول الله يا عبدي : كل من ثمار الجنة واغتسل من ماء السلسبيل واشرب من الكوثر أنا ربك وأنت عبدي » (مجالس) عن عائشة رضيَّ الله عنها عن النبي عليه السلام أنه قال : « من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (ق) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان النبي عليه السلام يعتكف العشر الأخير من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه بعده أي اعتكفن في بيوتهن ولذا قال الفقهاء يستحب للنساء أن يعتكفن في مكانهن (شرح المشارق) .

***

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ بأني قادر على الأحياء بإعادة التركيب والحياة ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بلىٰ آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب بإضافة العيان إلى الوحي والاستدلال ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ قيل طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ فأملهنَّ وأضممهنَّ إليك لتعلمها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الأحياء ﴿ ثُمَّ اجعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً﴾ اي ثم جزئهنَّ ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ قل لهنَّ تعالين بإذن الله ﴿ يَأْتِيَنَّكَ سَعْياً﴾ ساعيات مسرورات طيراناً أو مشياً ﴿ واعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجز عما يريده ﴿ حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره (قاضي) .

وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى . قال الحسن كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار على ساحل البحر فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلن منها فما وقع منها يصير في البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها في التراب يصير تراباً ذهبت السباع عنها جاءت الطيور فأكلت منها فما سقط منها رفعة الريح في الجو فلما رآى ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعاين فأزداد يقيناً فلاطفه الله

(قال أو لم تؤمن قال بلى) يا رب علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد أخذ طاووساً وديكاً وحمامة وغراباً وقيل بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكاً أحمر (فصرهنّ إليك) أي قطعهنّ ومزقهنّ وقيل اجمعهنّ واضممهنّ إليك (ثم اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً) قال المفسرون أمر الله تعالى إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ثم أمره أن يجعل أجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الجبال فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر أن يجعل طائراً أربعة أجزاء ويجعلها على أربعة جبال وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقيل جزأهنّ سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبل وأمسك رؤسهن ثم دعاهنّ بقوله فتعالين بإذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها إلى بعض في السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رؤسهن سعياً فكلما جاء طائر طار برأس فإن وجد رأسه دنا منه وإن لم يجده تأخر حتى يلقى كل طائر رأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهنّ يأتينك سعياً) قيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل المشي كما قال الله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة وقيل السعي الطيران (واعلم أن الله عزيز حكيم) . (تفسير معالم) روى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف السموات والأرض ثم نظر إليها نظرة بهيبة فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وبخار وارتعد من خشية الله فمن ثمة يرتعد ذلك الماء إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء وخلق من ذلك الزبد الأرض ثم بعث الله ملكاً من تحت العرش فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه واحدى يديه كانت بالمشرق والأخرى كانت بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس ثوراً له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فأهبط الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة في الجنة غلظتها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى ذنبه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ولكن ذلك الثور في البحر فهو يتنفس في كل يوم نفسين فإذا تنفس مدّ البحر وإذا أمسك نفسه رجع فلم يكن لقوائم الثور موضع

قرار فخلق الله صخرة كغلظة سبع سموات وأرضين فاستقرت قوائم الثور عليها ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم اسمه نون وكنيته يلهوت ولقبه يهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال فالحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة ، قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي كان على ظهره الأرض كلها والشجر والدواب وغيرها وقال له الق عن ظهرك هذه الأثقال أجمع قال فهمّ الحوت أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فصاح إلى الله تعالى منها فأذن الله لها فخرجت قال كعب إنه لينظر إليها وتنظر إليه فإن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت هو الذي أقسم الله به فقال (نَ والقلم وما يسطرون) صدق الله العظيم (تفسير ثعلبي رحمه الله تعالى) هذه كلها من قدرة الله العلي الكبير المتعال . نوع آخر متعلق بأحوال الدنيا والآخرة . ذكر في الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليطلب من المظلوم أن يهبها له أو يستحل منه أو يقضي منه قبل أن يأخذ منه خصماؤه يوم لا يوجد دينار ولا درهم » (حكاية) حكى أن صياداً في الزمن الأول أخذ سمكة فأخذها منه العوان وضربه وقال الصياد يا رب خلقتني ضعيفاً وخلقته قوياً حتى ظلمني سلط عليه خلقاً من خلقك فاجعله عبرة للمسلمين فلما ذهب العوان إلى داره شوى السمكة فلما وضعها على المائدة وأراد أن يتناولها لدغته السمكة بإذن الله تعالى وأخذ الدود يده فلم يقدر على الصبر حتى قطعها ثم سرى إلى ذراعه حتى قطعها ثم نام فرأى في المنام من يقول له رد الحق إلى صاحبه حتى تنجو من هذه العلة فلما استيقظ علم ذلك فجاء إلى الصياد فأعطاه عشرة آلاف درهم واستحل منه فلما جعله في حل تناثر منه الدود فصارت يده كما كانت بقدرة الله تعالى (مكاشفة القلوب) عن أبي أمامة الباهلي رضيً الله تعالى عنه أنه قال إذا توفيً الرجل ووضع في قبره جاءه ملك وقعد عند رأسه وعذبه وضربه ضربة واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه إلا قطع وتلهب في قبره ثم قيل له قم بإذن الله فإذا هو يقوم مستوياً فيصيح صيحة يسمعها ما بين السماء والأرض إلا الجن والإنس ثم يقول الميت له لم فعلت هذا ولم تعذبني وأنا أقيم الصلاة وأؤدي الزكاة وأصوم رمضان فيقول أعذبك بأنك مررت يوماً بمظلوم وهو يستغيث بك فلم تغثه وصليت يوماً ولم تتنزه من بولك ولذا قيل نصرة المظلوم واجبة كما روي عنه عليه الصلاة والسلام من رآى مظلوماً فاستغاث به فلم يغثه ضرب في قبره بسوط من نار (مكاشفة القلوب) قال : « النبي عليه الصلاة والسلام من زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة كانت أو أمة فمات بغير توبة فتح الله له في قبره ثلاثمائة باب من نار يعذب فيها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يدخل

النار مع الداخلين » (حياة القلوب) حكي أن الحسن البصري ومالك بن دينار وثابت البناني دخلوا على رابعة العدوية فقال الحسن يا رابعة اختاري منا واحداً فإن النكاح سنة النبي عليه الصلاة والسلام قالت لي مسائل من أجابها زوجت نفسي منه فسألت الحسن أولاً ما تقول حيث قال يوم الميثاق هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي من أي صنف أكون فقال لا أدري فقالت حين صورني الملك في رحم أمي هل كنت شقية أو سعيدة قال لا أدري قالت إذا قيل لواحد أن لا تخافوا ولا تحزنوا ولواحد لا بشرى لكم من أي صنف أكون قال لا أدري قالت القبر يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران كيف يكون قبري قال لا أدري قالت يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كيف يكون وجهي قال لا أدري قالت إذا نادى المنادي يوم القيامة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة وفلان بن فلان قد شقي شقاوة فممن أكون أنا قال لا أدري فبكوا جميعاً وخرجوا من عندها (بهجة الأنوار) وحكي أيضاً أنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن في الدخول عليه الحسن البصري وأصحابه فأذنت لهم في الدخول عليه وأرخت الستر وجلست وراء الستر فقال لها الحسن وأصحابه إنه قد مات بعلك ولا بد لك منه فقالت نعم ولكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي فقالوا الحسن فقالت إن أجبتني في أربع مسائل فأنا لك فقال سلي إن وفقني الله تعالى أجبتك قالت ما تقول لو مت وخرجت من الدنيا أأخرج على الإيمان أم لا قال هذا غيب لا يعلم الغيب إلا الله ثم قالت ما تقول لو وضعت في القبر وسألني منكر ونكير أأقدر على جوابهما أم لا قال هذا غيب لا يعلم الغيب إلا الله قالت إذا حشر الناس يوم القيامة وتطايرت الكتب أعطى كتابي بيميني أم بشمالي فقال هذا غيب أيضاً ثم قالت إذا نودي للناس فريق في الجنة وفريق في السعير كنت أنا من أي الفريقين قال هذا غيب أيضاً قالت من كان له غم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزويج ثم قالت يا حسن أخبرني كم جزء خلق الله العقل قال عشرة أجزاء تسعة للرجال وواحد للنساء ثم قالت يا حسن كم جزء خلق الله الشهوة قال عشرة أجزاء تسعة للنساء وواحد للرجال ثم قالت يا حسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لا تقدر على حفظ جزء واحد من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل فبكى الحسن وخرج من عندها (مشكاة الأنوار) .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف ﴿ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي

كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ﴾ أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البرفي الأرض المغلة في بعض الأراضي ﴿ والله يُضَاعِفُ ﴾ تلك المضاعفة ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب ﴿ وَٱللهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة ﴿ عَلِيْمٌ﴾ بنية المنفق وقدر إنفاقه (قاضي) .

نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف وأربعة آلاف أقرضتها لربي فقال له رسول الله بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له فنزلت هذه الآية ﴿ مثل الذين ينفقون ﴾ الآية (أبو الليث) قال الكلبي ومقاتل نزلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب رضيَّ الله عنه كانت له أربعة دراهم ولم يملك غيرها فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم في السر وبدرهم في العلانية فنزلت ﴿ الذين ينفقون ﴾ الآية (أبو الليث) قال : « عليه السلام إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » . روي عن علي بن أبي طالب رضيَّ الله عنه أنه قال قال عليه السلام ما من دعاء إلا بينه وبين الله حجاب حتى يصلي صاحبه على محمد فإذا فعل ذلك خرق الحجاب واستجيب له الدعاء . وعن أنس رضيَّ الله عنه أنه قال قال عليه السلام لما خلق الله تعالى الأرض وتحركت خلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فتعجب الملائكة وقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله فهو أشد منه لكن بعد رعاية أمور ، أحدها أن تخفى الصدقة كما قال الله تعالى ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ وبهذا السبب بالغ السلف في إخفاء صدقتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم من المتصدق وبعضهم ربط في ثوب

. . . .

الفقير نائماً وبعضهم ألقى في طريق الفقراء ليأخذوها . والثاني أن تحذر من المن والأذى كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس) والثالث أن تخرجها من أطيب أموالك كما قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) حتى لا تكون ممن قال الله تعالى فيهم (ويجعلون لله ما يكرهون) الآية ؛ ولذا قال : رسول الله ﷺ « إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب » أي الحلال كما قال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر إلا بالماء الطاهر والذنب لا يطهر إلا بالحلال . والرابع أن تعطى بوجه طليق مستبشر غير مستكره كما قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ولذا قال عليه السلام : « سبق درهم على مائة ألف » يعني أن درهماً واحداً من الحلال بالاستبشار فضل من مائة ألف مع الكراهة . والخامس أن تتحرى بصدقتك محلاً وتعطى العالم المتقى الذي يستعين بها على طاعة الله تعالى ويتقوى به أو الصالح المقل ولذا قال الله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها تكلمت بخمس كلمات : الأولى كنت صغيرة فكبرتني ، والثانية كنت حارسي فالآن صرت حارستك ، والثالثة كنت عدواً فأحببتني ، والرابعة كنت فانية فأبقيتني ، والخامسة كنت قليلة فكثرتني » كما قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال : رسول الله ﷺ « ما من مسلم يطعم أخاه حتى يشبعه ويسقيه حتى يرويه إلا أبعده الله تعالى من النار وجعل بينه وبينها سبعة خنادق بين كل خندقين خمسمائة عام ونادت جهنم : يا رب ائذن لي بالسجود شكراً لك فقد أردت أن تعتق أحداً من أمة محمد من عذابي لأني كنت أستحي من محمد أن أعذب المتصدق من أمته فلا بدّ لي من طاعتك : ثم أمر الله تعالى : ليدخل الجنة المتصدق بلقمة خبز أو بقبضة تمر . » وقد حكى أنه كان في بني إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في فمها لتأكل فنادى السائل في الباب : أعطيني لله لقمة فأخرجتها من فمها فدفعتها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لتحتطب وكان لها ابن صغير معها فيها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم في أثر الذئب ، فبعث الله تعالى جبرائيل فأخرج الصبي من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال لها يا أمة الله : أرضيت ؟ لقمة بلقمة (كذا في تفسير حنفي) وكذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أتت امرأة إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقد يبست يدها اليمنى فقالت يا نبي الله أدع الله حتى يصلح يدي ، فقال : لها النبي عليه الصلاة والسلام « ما الذي أيبس يدك ؟ » قالت رأيت في المنام قد قامت القيامة والجحيم سعرت والجنة أزلفت ، فرأيت في نار

جهنم والدتي في يدها قطعة من الشحم وفي الأخرى خرقة صغيرة تتقي بها النار ، قلت ما لي أراك في هذا الوادي وكنت مطيعة لربك وراضياً عنك زوجك ؟ قالت يا ابني كنت في الدنيا بخيلة وهذا الموضع للبخلاء ، قلت لها وما هذه الشحمة والخرقة في يديك؟ قالت هما اللتان تصدقت بهما في الدنيا وما تصدقت في جميع عمري إلا بهما ؛ فقلت أين أبي ؟ فقالت هو سخي وهو في موضع الأسخياء ؛ ثم جئت إلى الجنة وإذا والدي قائم على حوضك يسقي الناس فقلت يا أبي إن والدتي كانت امرأتك مطيعة لربها وأنت راض عنها وهي في نار جهنم تحترق وأنت تسقي الناس من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فأعطها شربة من الحوض ، فقال يا ابنتي حرم الله تعالى على البخلاء والمذنبين حوض النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذت منه كأساً بلا إذن أبي فسقيت به أمي العطشى ثم سمعت صوتاً يقول : أيبس الله تعالى يدك حيث سقيت العاصية البخيلة من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فانتبهت فإذا يدي قد يبست ، ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام قولها وضع عصاه على يدها فدعا لها فصلحت يدها فصارت كما كانت . قال : النبي عليه الصلاة والسلام : « السخاء شجرة في الجنة أغصانها مدليات في الدنيا فمن أخذ غصناً منها قاده إلى الجنة والبخل شجرة في النار أغصانها مدليات في الدنيا فمن أخذ غصناً منها قاده إلى النار . » وكذا قال : عليه الصلاة والسلام « السخي قريب إلى الحق والخلق ، والبخيل بعيد من الحق والخلق ، » كما قال : عليه السلام : « البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهداً . » حكي أن حدأة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت إن رجلاً له شجرة وأنا أفرخ على تلك الشجرة وهو يرفع أفراخي ، فدعا سليمان عليه السلام . صاحب الشجرة فمنعه منه وقال للشيطانين إني آمركما إذا كان العام القابل ورفع هذا الرجل فرخ هذا الطير فخذاه واجعلاه نصفين وارميا نصفه إلى المشرق ونصفه إلى المغرب . فلما كان العام القابل نسي صاحب الشجرة قول سليمان عليه السلام وأراد أن يصعد الشجرة وقد تصدق بلقمة فرفع فرخ الطير فجاء الطير إلى سليمان عليه السلام وشكا الطائر من صاحب الشجرة فدعا سليمان عليه السلام الشيطانين ، فأراد أن يعاقبهما وقال لهما : لم لا تفعلان ما أمرتكما ؟ فقالا يا خليفة الله : إن صاحب الشجرة لما أراد أن يصعد الشجرة قصدنا أن نأخذه ولكن تصدق على رجل مسلم بقطعة خبز فبعث الله إليه ملكين من السماء حتى أخذا كل واحد منا فرمى أحدنا إلى المشرق والآخر إلى المغرب ودفع شرنا عنه ببركة صدقته . وحكي أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير على باب غني فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغني خبزاً حاراً فدفعته إليه وجاء الغني الشؤوم الدار فقطع يد ابنته فحول الله حاله وأذهب ماله وافتقر ومات في حال ذلة

وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة وجاءت يوماً إلى باب رجل كريم فخرجت والدته فنظرت إليها وجمالها وأدخلتها إلى بيتها فقصدت تزويجها إلى ابنها فلما زوجتها زينتها وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجي يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى مرة أخرى فرد عليها مرات فهتف هاتف من زاوية البيت أخرجي يدك اليمنى يا أمتي لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا جرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى تامة بقدرة الله تعالى وأكلت مع زوجها فاعتبروا يا أولى الأبصار وأنفقوا في سبيل الله حتى تنالوا سعادة الدارين (كذا في زبدة الواعظين)

قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « من أكرم الضيف فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ومن أبغض الضيف فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله تعالى ، » قال : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخل معه ألف بركة وألف رحمة . . » قال : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد يأتيه الضيف فيكرمه بما وجد من الطعام إلا فتح الله له باباً في الجنة ومن عمر خراباً يعني أشبع جائعاً وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله تعالى فضله عنه يوم القيامة وعذبه في النار ومن أطعم جائعاً لوجه الله تعالى وجبت له الجنة . » قال عليه الصلاة والسلام : أفضل الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة طلب العلم والجهاد والكسب من الحلال فطالب العلم حبيب الله والمجاهد ولي الله والكاسب من الحلال كريم على الله . صدق رسوله الله (دقائق الأخبار) وقال : النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اتقوا النار) أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية أي حجاباً من الصدقة (ولو بشق تمرة) أي جانبها أو نصفها فإنه يسد الرمق سيما للطفل فلا يحتقرن المتصدق ذلك . اتفق البخاري ومسلم على الرواية عن عدى بن حاتم (كذا في الجامع الصغير) فالحاصل أن الإنفاق في سبيل الله سبب الوصول إلى الأجر الجزيل والنجاة من المخاوف والشدائد والبلايا في الدنيا والآخرة كما روى الخطيب عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص ﴿ كذا في الجامع الصغير ﴾

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي الآخذون له وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى أجل او في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه ﴿ لاَ

يَقُومُونَ﴾ إذا بعثوا من قبورهم ﴿ إلَّا كما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطهُ الشَّيْطَانُ﴾ إلَّا قياماً كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط ضرب من غير استواء كخبط العشواء ﴿ مِنَ المَسِّ﴾ أي الجنون وهذا أيضاً من زعماتهم أن الجني يمسه فيخلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكل الربا أو بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم ﴿ ذٰلِكَ بِأنَّهم قَالُوا إنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا﴾ اي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله فكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلاً وقاسوا به البيع والفرق بيِّن فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً ومن اشترى سلعة تساوي درهماً بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن ﴿ وَأحَلَّ اللّٰهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا﴾ إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس بمعارضة النص (قاضى).

عن زيد بن الحباب أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال اللهم صلي على محمد وأنزله المنزل المقترب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي (شفاء) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق وعاق الوالدين رواه الحاكم ففيه تأويلان أحدهما انه محمول على من فعله ثم استحله والثاني أن لا يدخلهم الجنة أولاً عند دخول الفائزين وأهل السلامة ثم إنه قد يجازي بمنعه عن دخوله أوّلاً ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازي بل يعفو الله تعالى عنه ». عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه إنه قال : قال النبي عليه السلام :« اجتنبوا السبع الموبقات قالوا ما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ـ الحديث . » وعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال النبي عليه السلام : « الربو ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه رواه الحاكم . » وقال عليه الصلاة والسلام : « نصيب الربا أعظم عند الله تعالى من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها الرجل في الإسلام » وقال عليه السلام :

« درهم الربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » (حياة القلوب) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله عليه السلام : « إذا باع الرجل الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين فقد رابى فإذا عمل شيئاً من الحيلة فقد رابى وخادع الله عز وجلّ واتخذ آيات الله هزواً » (فردوس أكبر) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده رواه مسلم . عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام في قصة الإسراء ﴿ فانطلق بي جبرائيل إلى رجال كثيرة كل رجل منهم بطنه مثل بطن البعير الضخم منضدين بعضهم على بعض على سابلة آل فرعون يطأهم آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقبلون مثل الإبل المنهومة ﴾ أي مثل الإبل التي صيح بها لتجدّ في سيرها أو كذا والنهم بالتحريك إفراط الشهوة للطعام من الجوع ﴿ يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا حس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقدم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يرجعوا ﴾ أي أن يزايلوا مكانهم (حتى يغشاهم آل فرعون ﴾ أي يطأوهم مقبلين ومدبرين ﴿ فذلك عذابهم في البرزخ ﴾ أي بين الدنيا والآخرة . قال عليه السلام وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبداً أي يوم القيامة يقول الله تعالى أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء آكلوا الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس : الآية . وعن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه أنه قال كان عليه السلام إذا صلى الغداة أقبل علينا بوجهه فقال لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤ يا فقص عليه ما شاء الله أن يقص فيوماً قال هل رأى أحد منكم من رؤ يا الليلة قلنا لا قال عليه السلام لكني رأيت الليلة شخصين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل الذي على الشط بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا الذي رأيته في النهر قال آكل الربا . رواه البخاري . وعن أبي رافع رضي الله عنه أنه قال بعت خلخال فضة من أبي بكر فوضع الخلخال في كفه والدراهم في كفه الأخرى فكان الخلخال أثقل منها قليلاً فأخذ مقراضاً ليقطعه فقلت الزيادة لك يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر سمعت عن النبي عليه السلام : « الزائد والمستزيد في النار » (موعظة) وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع الرجل ثوباً يساوي عشرة بعشرين فقد حصل ذلك الثوب مقابلاً للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلاً للآخر في المالية عندهما فلم يكن آخذ صاحبه شيئاً بغير عوض أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ

. . . .

العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل فإن الإمهال ليس مالاً أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين (حياة القلوب) وذكر في سبب تحريم الربا وجوه أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقداً أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام . والوجه الثاني إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارة وطلب الإرباح . والوجه الثالث أن الربا هو سبب انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثلها الطلب الأجر من الله تعالى . والوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك وهذا تصريح بأن النص يبطل القياس لأنه جعل تحليل الله وتحريمه دليلاً على بطلان قياسهم (حياة القلوب) عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه أنه قال عليه السلام : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء عينا بعين يداً بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والتمر بالملح يداً بيد كيف شئتم من التفاضل لأن تفضلها لا يكون ربا لأن الجنسية معدومة فاحفظ ولا تكن من الغافلين وما نص على تحريم الربا فيه إن كيلا فهو كيلي أبداً كالبر والشعير والتمر أو نص على تحريمه وإن وزنا فهو وزني أبداً كالذهب والفضة ولو تعورف خلافه لأن النص قاطع وهو أقوى من العرف والأقوى لا يترك بالأدنى وما لا نص فيه حمل على العرف كغير الستة المذكورة » وهو قوله عليه السلام : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلى آخره » . واعلم أن الحيل الشرعية للاحتراز عن الربا وإن كانت جائزة عند بعض الفقهاء إلا أنها مكروهة عند البعض وهو الأرجح ؛ صورتها : رجل أراد أن يستقرض عشرة دراهم من آخر بعشرة ونصف مدة شهر مثل أن يبيع الرجل ثوباً يساوي عشرة بعشرة لآخر ويسلمه ويأخذ منه عشرة ثم أن يقول الآخر في ذلك المجلس أبيع هذا الثوب بعشرة ونصف ويشتري المستقرض منه بتلك القيمة بمدة معلومة والربا في هذه الصورة مندفعة ولكن الأولى أن لا يفعل مثل هذه الحيلة لأن التقوى خير من الفتوى أو أن يعطي المقرض إلى المستقرض ثوباً يساوي اثني عشر درهماً بقيمته في مدة معلومة ثم يبيع المستقرض من الأجنبي بعشرة ثم الأجنبي من البائع الأول وهو المقرض بعشرة أيضاً ويقول له أعط العشرة إلى فلان الذي اشتريت هذا الثوب منه فإذا أعطى البائع الأول الذى

هو المشتري من الأجنبي والمقرض من وجه عشرة دراهم إلى المستقرض منه كان المستقرض مديوناً له باثني عشر درهماً والزيادة أيضاً في هذه الصورة ليست بربا ولكن ينبغي للمؤمن أن يحترز عن المعاملة غير الشرعية حتى لا يؤاخذ في دار الآخرة وتفصيل هذا في الكتب الفقهية فعليك بمطالعة أصل هذه المنقولة من الترجمة إلى العربية وأدع لناقلها الفقير بالأدعية الخيرية تنل الشفاعة المصطفوية بعد التمسك بالسنة السنية ولا تشككن في نعم الله الجليلة المفاضة على العباد المذنبة حتى لا تحرم من السعادة السرمدية وابصر ما أحضرتك بالإمعان والدقة النظرية .

قال النبي عليه الصلاة والسلام : « ليس لأهل الربا نور على وجوههم ولا بهاء ولم يجعل الله في أرزاقهم بركة وهم عند الله تعالى أنتن من الجيفة وليس في النار أشد عذاباً من أهل الربا ، صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم » (دقائق الأخبار) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه ، والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه ، صدق رسول الله . » قال النبي عليه الصلاة والسلام : « سيأتي زمان على أمتي يكون أمراؤهم على الجور وعلماؤهم على الطمع وعبادهم على الرياء وتجارهم على أكل الربا ونساؤهم على زينة الدنيا . » صدق رسول الله ﴿ دقائق الأخبار ﴾ .

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بالله ورسله وبما جاءهم ﴿ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من آت ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على فائت (قاضي بيضاوي) .

روي عن النبي عليه السلام أنه كان جالساً في المسجد فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجنبه فوق أبي بكر رضي الله عنه ثم اعتذر النبي عليه السلام إليه فقال : « يا أبا بكر إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا أحد يصلي عليّ أكثر منه فإنه يقول كل غداة وعشية اللهم صل على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلي عليه وصل على محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وصل على محمد كما ينبغي الصلاة عليه فلذلك أجلسته أعلى منك . » روي عن النبي عليه السلام من صلى الصلوات الخمس مع الجماعة فله خمسة أشياء . الأول لا يصيبه فقر في الدنيا . والثاني يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر . والثالث يعطي كتابه بيمينه . والرابع يمرّ على الصراط

كالبرق الخاطف . والخامس يدخله الله تعالى الجنة بلا حساب ولا عذاب (مصابيح) قال عليه السلام : « صلاة الرجل مع الجماعة خير من صلاة أربعين سنة في بيته منفرداً . » وروي أن الجماعة تفضل على المنفرد بسبع وعشرين درجة . وفي الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يحشر الله قوماً وجوههم كالكواكب فيقول لهم الملائكة ما أعمالكم فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة والوضوء ولا نشتغل بغيره ، وقوماً وجوههم كالقمر فيقال لهم ما أعمالكم فيقولون كنا نتوضأ قبل الأذان ، وقوماً وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع النداء في المسجد » (درة الواعظين) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا كبر العبد للصلاة يقول الله تعالى للملائكة ارفعوا ذنوب عبدي عن رقبته حتى يعبدني طاهراً فتأخذ الملائكة الذنوب كلها فإذا فرغ العبد من الصلاة تقول الملائكة يا ربنا أنعيدها عليه فيقول الله تعالى يا ملائكتي لا يليق بكرمي إلا العفو قد غفرت خطاياه . » عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى يحشر مساجد الدنيا يوم القيامة كأنها بخت بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورؤوسها من المسك وآذانها من الزبرجد الأخضر والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها فيمرون في عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول أهل القيامة أهؤلاء من الملائكة المقربين أم من الأنبياء والمرسلين فينادي لا بل هؤلاء من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يحفظون الصلوات بالجماعة » ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « من توضأ بالماء الجاري وصلى خلف الإمام القاري فقد استحق رحمة الباري » (زبدة الواعظين) .

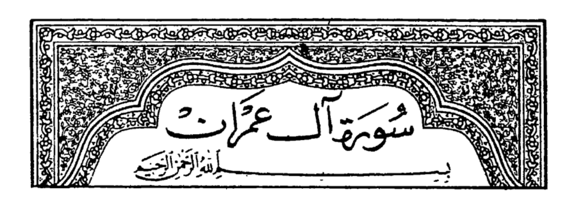
روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لما خلق الله تعالى جبرائيل عليه السلام على أحسن صورة وجعل له ستمائة جناح طول كل جناح ما بين المشرق والمغرب نظر إلى نفسه فقال إلهي هل خلقت أحسن صورة مني فقال الله تعالى لا فقام جبرائيل وصلى ركعتين شكراً لله تعالى فقام في كل ركعة عشرين ألف سنة فلما فرغ من الصلاة قال الله تعالى يا جبرائيل عبدتني حق عبادتي ولا يعبدني أحد مثل عبادتك لكن يجيء في آخر الزمان نبي كريم حبيب إلي يقال له محمد وله أمة ضعيفة مذنبة يصلون ركعتين مع سهو ونقصان في ساعة يسيرة وأفكار كثيرة وذنوب كبيرة فوعزتي وجلالي إن صلاتهم أحب إليَّ من صلاتك لأن صلاتهم بأمري وأنت صليت بغير أمري قال جبرائيل يا رب ما أعطيتهم في مقابلة عبادتهم فقال الله تعالى أعطيتهم جنة المأوى فاستأذن من الله تعالى أن يراها فأذن الله تعالى له فأتى جبرائيل وفتح جميع أجنحته ثم طار فكلما فتح جناحين قطع مسيرة ثلاث آلاف سنة وكلما ضم قطع مثل ذلك فطار على هذا ثلاثمائة عام فعجز ونزل في ظل شجرة وسجد لله تعالى فقال في سجوده إلهي هل بلغت نصفها أو ثلثها أو ربعها فقال الله تعالى يا جبرائيل لو طرت

ثلاثمائة ألف عام ولو أعطيتك قوة مثل قوتك وأجنحة مثل أجنحتك فطرت مثل ما طرت لا تصل إلى عشر من أعشار ما أعطيته لأمة محمد في مقابلة ركعتين من صلاتهم » (مشكاة الأنوار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى عليَّ تعظيماً لي جعل الله تعالى من تلك الصلاة ملكاً له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت الأرض السابعة وعنقه متصل بالعرش ويقول الله تعالى لهذا الملك صل على عبدي كما صلى على نبيي محمد عليه السلام فيصلي عليه إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) قال رسول الله ﷺ يورى عن الله تعالى أنه قال : « ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي لي حقاً ومن ضيعهن فهو عدو لي حقاً قيل يا رسول الله وما هن قال الصلاة والصوم وغسل الجنابة قال هن أمانة بين الله وبين عبده أمر بالمحافظة عليهن ، والمراد منها إقامتها في أوقاتها مع إتمام الفرائض والواجبات والسنن حتى إن الرجل إذا صلى في غير وقتها فقد ضيعها عليَّ » ما روى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت رجالاً ونساء يضربون على رؤوسهم فيسيل دماغهم كالنهر العظيم يقولون يا ويلاه ويا ثبوراه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال الذين يصلون الصلاة في غير وقتها والدليل عليه قوله تعالى » ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ﴾ الآية وكذا إذا لم يصلها بالجماعة كما روى أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام فقال إني رأيت في المنام كأن في إحدى يدي عشرون ديناراً وفي الأخرى أربعة فسقط عشرون من يدي واحمرّت الأربعة فقال عليه السلام : « هل صليت العشاء بالجماعة » قال لا قال : « الساقط من يدك فضل الجماعة التي فاتتك وأما الأربعة فالتي صليت في بيتك لم تقبل منك » (زهرة الرياض) قال عليه السلام :« من حافظ على الصلوات كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ونجاة » (تبيين المحارم) قال عليه السلام : « عشرة نفر لا يقبل الله صلاتهم رجل صلى وحيداً بغير قراءة ورجل يصلي ولا يؤدي زكاته ورجل يؤم قوماً وهم له كارهون ورجل مملوك آبق ورجل شارب الخمر مدمناً وامرأة زوجها ساخط عليها وامرأة صلت بغير خمار والإمام الجابر الجائر ورجل آكل الربا ورجل لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر . » قال عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقتاً وبعداً . » وقال الحسن إذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء فلست بمصل وردت صلاتك يوم القيامة على وجهك كالخرقة الثخينة المتوسخة (مكاشفة القلوب) وعن معاذ بن جبل وجابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا لما عرج بالنبي عليه السلام ليلة المعراج إلى السموات رأى في السماء الأولى ملائكة يذكرون الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى وفي الثانية رأى ملائكة يركعون لله تعالى منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون رؤوسهم وفي الثالثة رأى ملائكة يسجدون لله تعالى منذ خلقهم

. . . .

الله لا يرفعون رؤ وسهم إلا حين سلم عليهم نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرفعوا رؤ وسهم وردوا سلام النبي عليه الصلاة والسلام ثم سجدوا ثانياً إلى يوم القيامة ولذلك صارت السجدة اثنتين وفي الرابعة رأى ملائكة يتشهدون وفي الخامسة رأى ملائكة مسبحين وفي السادسة رأى ملائكة مكبرين ومهللين وفي السابعة رأى ملائكة مسلمين منذ خلقهم الله تعالى فهم قلب النبي عليه السلام واشتهى أن يكون له ولأمته هذه العبادات كلها فعلم الله تعالى همه واشتياقه عليه السلام فجمع عبادة ملائكة السموات السبع وأكرم نبيه عليه السلام بها وقال من أدى الصلوات الخمس نال عبادة ملائكة السموات السبع (روضة العلماء) روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال الصلاة مرضاة الرب وسنة الأنبياء وحب الملائكة ونور المعرفة وأصل الإيمان وواجبات الدعاء وقبول الأعمال وبركة في المال والكسب وسلاح على الأعداء وكراهة الشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره إلى يوم القيامة وظل على رأسه يوم القيامة وتاج على رأسه ولباس على بدنه وستر بينه وبين النار وحجة بين يدي الرب وثقل في الميزان وجواز على الصراط ومفتاح للجنة ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه حريش من ولد العقرب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام يا حريش إلى أين تذهب فيقول إلى العرصات فيقول جبرائيل لمن تطلب فيقول خمسة نفر الأول تارك الصلاة والثاني مانع الزكاة والثالث عاق الوالدين والرابع شارب الخمر والخامس المتكلم في المسجد بكلام الدنيا » فلذا قال الله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ فاعتبروا يا أولى الأبصار ولا تكونوا من الغافلين (زبدة الواعظين) .





﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها ﴿وَالمَلاَئِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وأُولُوا العِلْمِ﴾ بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد ﴿قَائماً بِالقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وإنما جاز إفراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى (ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة) أو من هو والعامل معنىٰ الجملة اي تفرد قائماً او أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفىٰ وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرىء القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر لمحذوف ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ كرره للتأكيد ولمزيد الأعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبتني عليه وقوله ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد وقد روىٰ في فضائلها أنه صلّى الله عليه وسلم قال: يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة. وهي دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله ﴿إِنَّ الدِّيْنَ عندَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للأولىٰ أي لا دين مرضي عند الله سوىٰ الإسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به النبي عليه

السلام ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الذِيْنَ اوتُوا الكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق وقال قوم إنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقاً أو في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير بن الله وقيل هم قوم موسىٰ عليه السلام اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسىٰ عليه السلام ﴿ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ﴾ أي بعد ما علموا حقيقة الأمر او تمكنوا من العلم بها بالأيات والحجج ﴿ بَغياً بَيْنَهُمْ﴾ حسداً بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء في الأمر ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ الله فَإنَّ الله سَريعُ الحِسَابِ﴾ وعيد لمن كفر منهم (قاضى) .

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « أتاني جبرائيل وإسرافيل وعزرائيل وميكائيل عليهم السلام فقال جبرائيل يا رسول الله من صلى عليك عشر مرات أنا آخذ بيده وأمره على الصراط وقال ميكائيل أنا أسقيه من حوضك وقال إسرافيل أنا أسجد لله تعالى ما أرفع رأسي حتى يغفر الله له وقال عزرائيل أنا أقبض روحه كما قبضت أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل أعلم الله أنه لا إله إلا هو وذلك بيان الدلائل حيث أمكن التوصل إلى معرفة الوحدانية فهو تعالى أرشد عباده إلى معرفة توحيده » (تفسير لباب) قيل معنى شهادة الله الإخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار والاعتراف بوحدانية الله تعالى واختلفوا في « أولو العلم » فقيل هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم أعلم بالله تعالى وقيل هم علماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من المهاجرين والأنصار وقيل هم علماء جميع المؤمنين (تفسير خازن) وقال بعضهم إن في هذه الآية دليلاً على العلم فضل وشرف العلماء فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرن الله اسمه باسم الملائكة دون العلماء وعن البزار عن النبي عليه السلام أنه قال : « نزل قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام حين افتخر المشركون بأديانهم وقال كل فريق منهم لا دين إلا ديننا وهو دين الله منذ بعث الله تعالى آدم عليه السلام فكذبهم الله تعالى بقوله إن الدين عند الله الإسلام الذي جاء به محمد عليه السلام وهو دين الحق » (شيخ زادة) عن النبي عليه السلام أنه قال : « لما نزل الحمد لله رب العالمين وآية الكرسي وشهد الله أنه لا إله إلا هو الآية وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وقلن يا ربنا أتنزلنا على قوم يعملون بمعاصيك فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا يتلوكنّ عبد عند دبر كل صلاة مكتوبة إلا غفرت له وأسكنته جنة الفردوس وأنظر إليه كل يوم سبعين مرة وأقضي له سبعين حاجة أدناها المغفرة وقرأ هذه الآية شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا

إله إلا هو العزيز الحكيم فقال وأنا على ذلك من الشاهدين » لفظ الطبراني وأنا أشهد أنك لا إله إلا أنت العزيز الحكيم . عن عبادة بن الصامت أن النبي عليه السلام قال . من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله حرم الله النار عليه » (الدر المنثور للإمام السيوطي) عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا قال العبد المؤمن لا إله إلا الله محمد رسول الله يخرج من فمه ملك مثل طير أخضر له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب إذا انشرهما تجاوزا المشرق والمغرب فيرتفع إلى السماء حتى ينتهي إلى العرش وله دوي كدوي النحل فيقول له حملة العرش اسكن بعزة الله وعظمته فيقول لا أسكن حتى يغفر الله لقائله فيعطيه الله سبعين ألف لسان فيستغفرون لصاحبه إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الملك فيأخذ بيد صاحبه فيجاوزه الصراط ويدخله الجنة » (روضة العلماء) عن جابر بن عبدالله عن النبي عليه السلام أنه قال : « لما عرج بي ليلة المعراج إلى السماء رأيت مدينة من النور مثل الدنيا ألف مرة معلقة بسلاسل من النور تحت العرش ولها مائة ألف باب مستقل في كل باب بستان مفروش برحمة الله وفي كل بستان قصر من النور وفي كل قصر دار من النور وفي كل دار سبعون حجرة من النور وفي كل حجرة بيت من النور وفوق كل بيت غرفة من النور ولكل غرفة أربعمائة باب لكل باب مصراعان مصراع من الذهب ومصراع من الفضة وفي مستقبل كل باب سرير من النور وعلى كل سرير فراش من النور وفوق كل فراش جارية من الحور العين لو أبدت واحدة خنصرها إلى دار الدنيا لغلب نور خنصرها الشمس والقمر فقلت يا رب أهذا لنبي أم لصديق قال الله تعالى هذا للذاكرين آناء الليل وأطراف النهار وإن لهم عندي لمزيداً وأنا أوسع » ﴿ تنبيه الغافلين ﴾ عن النبي عليه السلام أنه كان ذات يوم جالساً حزيناً فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد ما هذا الحزن أعطى الله تعالى لأمتك خمسة أشياء ولم يعطها لأحد قبلك ، الأول : قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي ولا يخالف ظنه ، والثاني من ستر عليه في الدنيا لا يفضحه يوم القيامة ، والثالث لم يغلق على أمتك باب التوبة ما لم يغر غروا ، والرابع من أتى بملء الأرض خطيئة يغفرها بعد أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والخامس يرفع العذاب عن الأموات بدعاء الأحياء (زهرة الرياض) قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة فشهد الله لنفسه بنفسه قبل أن خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر فقال الله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (تفسير الخازن) عن سعيد بن جبير أنه قال كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فلما نزلت هذه الآية خرّوا سجداً وقيل نزلت في نصارى نجران فيما ادعوا في عيسى عليه السلام (أبو السعود) وقاا

الكلبي قدم المدينة على النبي عليه السلام حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قالا ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له أنت محمد قال عليه السلام : « نعم » وقالا أنت أحمد قال : « أنا محمد وأحمد » قالا فإنا نسألك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام فاسألا فقال أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فأنزل الله هذه الآية فآمنا وأسلما (أبو السعود) عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « تجيء الأعمال يوم القيامة لتحج لصاحبها وتشفع فتجيء الصلاة وتقول يا رب أنا الصلاة فيقول الله تعالى إنك على خير فتجيء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول الله تعالى إنك على خير فيجيء الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول الله تعالى جئتم على خير ثم يجيء الإسلام فيقول يا رب أنا الإسلام وأنت السلام فيقول الله تعالى جئت على خير وبك آخذ وبك أعطي وإنما يقول ذلك لأن الإسلام جامع هذه الخصال كلها » (سنانية) روى أن عيسى عليه السلام مرّ بقرية وفي تلك القرية قصار فقال أهل القرية لعيسى عليه السلام إن هذا القصار يحبس الماء ويبصق فيه ويدنسه فادع الله أن لا يردّه من حيث ذهب فقال عيسى عليه السلام اللهم أبعث إليه حية لا تردّه حياً وكان القصار ذهب لقصارة الثياب عند الماء ومعه ثلاثة أرغفة فلما استقر في موضع الماء نزل إليه عابد كان يتعبد في جبل ثمة فسلم وقال هل من شيء تطعمني أو تريني حتى أنظر إليه أو أشم ريحه فإني لم آكل شيئاً منذ كذا وكذا فأعطاه رغيفاً فقال يا قصار غفر الله ذنبك وطهر قلبك فأعطاه الثاني فقال يا قصار غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأعطاه الثالث فقال يا قصار بنى الله لك قصراً في الجنة فرجع القصار إلى القرية فقال أهل القرية لعيسى عليه السلام إن هذا القصار قد رجع فقال عيسى عليه السلام ادعوه إليّ فدعوه فأتاه فقال عيسى عليه السلام يا قصار أخبرني ما فعلت اليوم من الحسنات فأعلمه قصة الماء والأرغفة والدعوات التي دعاها العابد فقال عيسى عليه السلام هات رزمتك فأتاه بها ففتحها فإذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلام يا سوداء فقالت لبيكّ يا نبي الله فقال ألست بعثت إلى هذا قالت بلى ولكن جاء السائل من ذلك الجبل واستطعمه فأطعمه فدعا له ثلاث دعوات وكان ملك قائم يقول آمين فبعث الله إليّ ملكاً فألجمني بلجام من حديد فقال عيسى عليه السلام يا قصار استأنف العمل فقد غفر الله لك (تنبيه الغافلين) .

حكي أن إبراهيم الواسطي رحمه الله كان واقفاً بعرفات وفي يديه سبعة أحجار فقال لها أيتها الأحجار اشهدي أني أقول (لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) فنام تلك الليلة فرآى في منامه أن القيامة قد قامت وأنه حوسب وأمر به إلى النار فذهبوا به إلى باب من النار

فإذا حجر من تلك الأحجار ألقى نفسه على باب النار فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يقدروا ثم ساقوه إلى باب آخر فإذا عليه حجر آخر من السبعة فلم يقدروا على رفعه حتى ساقوه إلى سبعة أبوابها وكان على كل باب حجر من تلك الأحجار وهم يقولون كلهم (نشهد أنه شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) ثم ساقوه إلى العرش فقال الرب تبارك وتعالى أشهدت الأحجار فلم يضيعوا حقك فكيف أضيع أنا حقك وأنا شاهد على شهادتك ثم قال الله تعال أدخلوه الجنة فلما دنا من الجنان وجد أبوابها مغلقة فجاءت شهادة (أن لا إله إلا الله) وفتحت الأبواب كلها فدخل الرجل (كذا في المواعظ)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِيْنَ اذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ فعلة بالغة في القبح كالزنا ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بأن أذنبوا أي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ﴿ ذَكَرُوا اللهَ ﴾ تذكروا وعيده أو حكمه أو حقه العظيم ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ بالندم والتوبة ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ﴾ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الإستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾ اي ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام « ما أصرَّ من استغفر إن عاد في اليوم سبعين مرة» ﴿ وَهُمْ يَعلمُونَ ﴾ حال من لم يصروا اي ولم يصروا على قبح فعلهم عالمين به ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنهَارُ خَالِدِيْنَ فِيهَا ﴾ خبر للذين إن ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها إن عطفته على المتقين أو على الذين ينفقون ولا يلزم من إعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من إعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير ؟ ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قاضي).

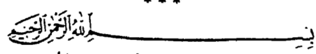
. . . .

وعن سعيد عن النبي عليه السلام أنه قال : « لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي عليه الصلاة والسلام إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب . روى عيسى الترمذي عن بعض أهل العلم أنه قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة في مجلس أجزأت عما كان في ذلك المجلس (شفاء شريف) قيل نزلت هذه الآية في رجل تمار جاءت امرأة تشترى منه تمراً فأدخلها في الحانوت وقبلها ثم ندم على ذلك فعم في كل من اذنب ذنباً وطلب التوبة مما فعل من الكبائر من الزنا وغيره . قوله والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والتائبين وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ وخبره أولئك (كشاف) قوله فاستغفروا فيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط وترغيب إلى التوبة وحث عليها وردع عن اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وإن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم (كشاف) قوله لذنوبهم يعني لأجل ذنوبهم فتابوا منها وأقلعوا عنها عازمين على أنهم لا يعودون إليها وهذه شروط التوبة المقبولة (تفسير خازن) قوله وهم يعلمون قال ابن عباس وهم يعلمون أنها معصية وقيل وهم يعلمون أن الأصرار ضار وقيل وهم يعلمون أن الله تعالى يملك مغفرة الذنب وأن لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون أن الله تعالى لا يتعاظم العفو عن الذنوب وإن كثرت وقيل وهم يعلمون أنهم إن استغفروا غفر لهم (تفسير لباب) عن ابن عمر عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » (من المصابيح) والغرغرة تردد الروح في الحلق والمعنى إن توبة المذنب مقبولة ما لم يبلغ الروح الحلقوم إذ عند الغرغرة عاين ما يصير إليه من رحمة أو هول وشدة ولا ينفعه حينئذ توبته ولا إيمانه لأن شرط التوبة العزم على ترك الذنب وعدم المعاودة إليه وإنما يتحقق ذلك إذا أمكن من التائب وذا لا يتحقق منه لأنه لا يقدر (مجالس رومي) عن علي بن أبي طالب عن النبي عليه السلام أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل خلق آدم عليه السلام بأربعة آلاف سنة وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً » (تنبيه الغافلين) روى أن جبرائيل عليه السلام جاء إلى النبي عليه السلام فقال يا محمد إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول من تاب من أمتك قبل موته بسنة قبلت توبته فقال النبي عليه السلام : يا جبرائيل « السنة لأمتي كثيرة » لغلبة الغفلة وطول الأمل فذهب جبرائيل عليه السلام ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يقول من تاب قبل موته بشهر قبلت توبته فقال عليه السلام : « يا جبرائيل الشهر لأمتي كثير » فذهب ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يقول من تاب قبل موته بيوم قبلت توبته فقال عليه السلام : « يا جبرائيل اليوم لأمتي كثير » فذهب جبرائيل عليه السلام ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يقول من تاب قبل موته بساعة قبلت

توبته فقال عليه السلام : « يا جبرائيل الساعة لأمتي كثيرة » فذهب ثم رجع فقال يا محمد إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول، من مضى جميع عمره في المعاصي ولم يرجع إليّ قبل موته بسنة أو شهر أو يوم أو ساعة حتى بلغ الروح الحلقوم ولم يكن له النطق والاعتذار بلسانه وندم بقلبه قد غفرت له (زبدة الواعظين) عن عمر بن الخطاب أنه قال دخلت مع النبي عليه السلام على رجل من الأنصار وهو في حالة النزع فقال له النبي عليه السلام : « تب إلى الله » فلم يعمل بلسانه وأجال عينيه نحو السماء فتبسم النبي عليه السلام فقلت يا رسول الله ما حملك على التبسم فقال النبي عليه السلام : « إن هذا المريض لم يعمل بلسانه التوبة وأومى ببصره إلى السماء وندم بقلبه فقال الله تعالى يا ملائكتي إن عبدي عجز عن التوبة بلسانه وندم بقلبه فلا أضيع توبته وندامته بقلبه اشهدوا أني قد غفرت له » (درة المجالس) قال الله تعالى في سورة النور ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ وقال بعض الحكماء يعرف توبة الرجل بأربعة أشياء . أولها أن يمنع لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب . والثاني أن لا يرى في قلبه حسداً ولا عداوة لأحد من الناس . والثالث أن يترك أصحاب السوء ولا يصاحب أحداًمنهم . والرابع أن يكون مستعداً للموت نادماً على الذنب ومستغفراً لما سبق من ذنوبه مجتهداً على طاعات ربه وقال تعالى في آية أخرى ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ يعني صادقين في التوبة ويقال تنصحون لله فيها . سئل عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح فقال هو أن يتوب الرجل من عمل السوء ولا يعود إليه . وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ قال التوبة النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإضمار أن لا يعود إليه أبداً كما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « المستغفر باللسان المصر على الذنب كالمستهزىء بربه » (روضة العلماء) عن ثابت البناني أنه قال : « بلغني أن إبليس عليه اللعنة بكى حين نزلت هذه الآية الكريمة » ﴿ تفسير اللباب ﴾ عن أبي بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال أهلكت الناس بالذنوب والمعاصي وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالهوى وهم يحسبون أنهم مهتدون » (در المنثور) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : قال « إبليس يا رب وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروا . » عن عطاء بن خالد أنه قال بلغني أنه لما نزل قوله تعالى ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ صاح إبليس عليه اللعنة بجنوده وحثا التراب على رأسه ودعا بالويل حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر فقالوا مالك يا سيدنا فقال آية نزلت في كتاب الله تعالى لا يضر

بعدها أحداً من بني آدم ذنب قالوا وما هي فأخبرهم قالوا نفتح لهم أبواب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ويظنون أنهم على الحق فرضى بذلك (در منثور) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة (أخرجه الترمذي) وقد جاء في الحديث أنه عليه السلام قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب . وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة . وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة . وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال عليه السلام هلك المسوفون . والمسوف من يقول سوف أتوب وهو هالك لأنه يبني الأمر على البقاء الذي ليس مفوضاً إليه فلعله لا يبقى وإن بقى فإنه كما لا يقدر على ترك الذنب اليوم لا يقدر على تركه غداً لأن عجزه عن الترك في الحال ليس إلا لغلبة الشهوة عليه والشهوة لا تفارقه غداً بل تتضاعف وتتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالاعتياد كالتي لم يؤكدها فانظروا يا أهل المجلس ويا أهل الإنصاف إذا كان النبي عليه السلام يستغفر ويتوب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فالذي لم يظهر حاله أغفر له أم لا كيف لا يتوب إلى الله تعالى في كل وقت ولا يجعل لسانه أبداً مشغولاً بالاستغفار وكيف لا يذكر الملك الغفار الذي هو المنجي من عذاب النار (هذا ملخص من مجالس الأبرار) قال النبي عليه السلام : « إذا أراد الله تعالى بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإن أراد بعبده الشر أمسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة » .

* * *



﴿ وَسَارِعُوا﴾ بادروا وأقبلوا ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى ما يستحق به المغفرة كالإسلام والتوبة والإخلاص ﴿ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ والأَرْضُ﴾ أي عرضها كعرضهما وذكر الأرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لأنه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض

﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنّة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم. (قاضي).

﴿ وسارعوا ﴾ قرأ أهل المدينة والشام سارعوا بلا واو وقرأ الآخرون بالواو ﴿ إلى مغفرة من ربكم ﴾ أي بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة قال ابن عباس إلى الإسلام وروى عنه إلى التوبة وقال عكرمة وعلي بن أبي طالب إلى أداء الفرائض وقال أبو العالية إلى الهجرة وقال الضحاك إلى الجهاد وقال مقاتل إلى الأعمال الصالحات وروي عن أنس بن مالك أنها التكبيرة الأولى ﴿ وجنة ﴾ أي وإلى جنة ﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ أي عرضها كعرض السموات والأرض كما قال الله تعالى في سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أي سعتها وإنما خص العرض على المبالغة لأن طول كل شيء في الأغلب أكبر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهري أما صفة عرضها فهذه فأما طولها فلا يعلمه إلا الله وهذا على التمثيل لا أنها كالسموات والأرض لا غير بل معناه كعرض السموات والأرضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴾ يعني عند ظنكم وإلا فهما زائلتان وسئل أنس بن مالك عن الجنة أفي السماء أم في الأرض فقال فأي أرض وسماء تسع الجنة قيل فأين هي فقال فوق السموات السبع تحت العرش وإن جهنم تحت الأرضين السبع (معالم) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه السلام أنه قال : « جاءني جبرائيل وقال يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « التكبيرة الأولى يدركها المؤمن مع الإمام خير له من ألف حجة وعمرة وله من الأجر كمن تصدق بوزن جبل أحد ذهباً على المساكين ويكتب له بكل ركعة عبادة سنة وكتب الله له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة ويدخل الجنة بلا حساب » . واختلفوا في حد التكبيرة الأولى قال بعضهم إلى أن يفرغ الإمام من الفاتحة وقال بعضهم إلى أن يبدأ الإمام القراءة وذهب أكثر المفسرين إلى القول الأول (مجالس الأنوار) روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أحيا أول ليلة من رجب لم يمت قلبه إذا ماتت القلوب وصب الله الخير من فوق رأسه صبا وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ويشفع لسبعين ألفاً من أهل الخطايا قد استوجبوا النار كذا في لب الألباب للمولى تاج العارفين » (اعرجية) عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى بعد المغرب في ليلة من رجب عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب والاخلاص وسلم عشر تسليمات حفظه الله تعالى وأهل بيته وعياله من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة » (زبدة) روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا إن رجب شهر الله

الأصم فمن صام منه يوما إيماناً واحتساباً استوجب عليه رضوان الله الأكبر ومن صام يومين لا يصف الواصفون من أهل السماء والأرض ما له عند الله من الكرامة ومن صام ثلاثة أيام عوفي من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة والجنون والجذام والبرص ومن فتنة الدجال ومن صام سبعة أيام غلقت عليه سبعة أبواب جهنم ومن صام ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة ومن صام عشرة أيام لم يسأل من الله شيئاً إلا أعطاه ، ومن صام خمسة عشر يوماً غفر الله تعالى ذنوبه ما تقدم وبدل سيئاته حسنات ومن زاد زاد الله أجره » (زبدة) روي عن النبي ﷺ أنه قال : « رأيت ليلة المعراج نهراً ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك فقلت لجبرائيل لمن هذا ؟ قال لمن صلى عليك في رجب » . وعن مقاتل رضي الله عنه أنه قال : « إن وراء جبل قاف أرض بيضاء ترابها كالفضة سعتها مثل الدنيا سبع مرات مملؤة من الملائكة لو سقطت ابرة لسقطت عليهم وبيد كل منهم لواء مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) يجتمعون كل ليلة الجمعة من رجب حول جبل قاف يتضرعون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ويقولون ربنا ارحم أمة محمد ولا تعذبهم ويستغفرون ويتضرعون إلى الصبح فيقول الله تعالى يا ملائكتي وعزتي وجلالي قد غفرت لهم (مجالس الأبرار) .

قيل إن في رجب ثلاثة أحرف : راؤه يدل على رحمة الله وجيمه يدل على جرم العبد وباؤه يدل على بر الله تعالى كأنه يقول يا عبدي جعلت جرمك وجنايتك بين بري ورحمتي ولا يبقى لك جرم ولا جناية بحرمة شهر رجب (مجالس الأنوار) وقيل إن رجب بعدما يمضي يصعد إلى السماء فيقول الله تعالى يا شهري هل يحبونك ويعظمونك ؟ فيسكت ولا يتكلم حتى يسأل ثانياً وثالثاً ثم يقول : إلهي أنت ستار العيوب أمرت خلقك بأن يستروا عيوب غيرهم وسماني رسولك أصم أنا سمعت طاعتهم ولم أسمع معصيتهم فلذلك سمي الأصم ثم يقول الله تعالى أنت شهري معيب أصم وعبادي معيبون قبلتهم مع عيوبهم بحرمتك كما قبلتك وأنت معيب وأغفر لهم بندامة واحدة فيك ولا نكتب لهم المعاصي فيك (أعرجية) وقيل سمي أصم لأن الكرام الكاتبين يكتبون الحسنات والسيئات في سائر الشهور وفي هذا الشهر يكتبون الحسنات ولا يكتبون السيئات فلا يسمعون فيه شراً حتى يكتب (مشكاة الأنوار) وقال عليه الصلاة والسلام : « إن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي » . وأخرج أبو محمد الخلال في فضائل رجب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثاني كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر (كما في الجامع الصغير) قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه إنه عليه الصلاة والسلام لم يصم بعد رمضان إلا رجب وشعبان . أخرج البخاري ومسلم أنه قال

عليه الصلاة والسلام : « إن في الجنة نهرا يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر » (أعرجية) وإنما سمي رجباً لأن العرب ترجبه أي تعظمه تقول رجبت الشيء إذا عظمته ، ومن تعظيمهم له أن خدم الكعبة يفتحون باب الكعبة في هذا الشهر كله وفي سائر الشهور لا يفتحون إلا يوم الاثنين والخميس ويقولون الشهر شهر الله والبيت بيت الله والعبد عبد الله فلا يمنع عبد الله من بيت الله في شهر الله (أعرجية) حكي أن امرأة في بيت المقدس كانت عابدة إذا جاء رجب تقرأ كل يوم قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة تعظيماً له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس الثوب البلاس فمرضت في رجب وأوصت ابنها أن يدفنها مع بلاسها فكفنها ابنها في ثياب مرتفعة رياء للناس فرآها في المنام فقالت يا بني لم لم تأخذ وصيتي إني غير راضية عنك فانتبه فزعاً ونبش قبرها فلم يجدها وتحير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهرنا رجب لا نتركه في القبر فريداً وحيداً ؟ (زبدة الواعظين) روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول جمعة لا تبقى ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويجتمعون في الكعبة فينظر الله لهم ويقول يا ملائكتي اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال النبي ﷺ كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهلهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فأنهم شباع لا جوع لهم ولا عطش (زبدة الواعظين)

روى في الخبر إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : أين الرجبيون ؟ فيخرج نور فيتبع جبرائيل وميكائيل عليهما السلام ذلك النور ويتبع الرجبيون ثم يمرون على الصراط كالبرق الخاطف ثم يسجدون لله تعالى شكراً لتجاوزهم الصراط فيقول الله تعالى : أيها الرجبيون ارفعوا رؤوسكم اليوم قد قضيتم السجود في الدنيا في شهري ارتحلوا إلى منازلكم (رونق المجالس) حكي عن ثوبان أنه قال كنا مع النبي ﷺ فمررنا بمقبرة فوقف عليه الصلاة والسلام فبكى بكاء شديداً ثم دعا الله فقلت لم بكيت يا رسول الله ؟ فقال : « يا ثوبان هؤلاء يعذبون في قبورهم فدعوت لهم فخفف الله عنهم العذاب » ثم قال عليه الصلاة والسلام : « يا ثوبان لو صام هؤلاء يوماً من رجب وما ناموا منه ليلة ما عذبوا في قبورهم » فقلت يا رسول الله أصوم يوم وقيام ليلة منه يمنع عذاب القبر قال عليه السلام : « يا ثوبان والذي بعثني بالحق نبياً ما من مسلم ومسلمة يصوم يوماً ويقوم ليلة من رجب يريد بهما وجه الله إلا كتب الله له عبادة سنة صام نهارها وقام لياليها » (زبدة الواعظين) قالوا الأحاديث الواردة في صلاة الرغائب موضوعة والمتهم بوضعها ابن الجهم وبعد هذا التصريح لا اعتداد بكونها مذكورة في بعض الكتب والرسائل لأنا نعرف أمر الدين وحصول الثواب والعقاب من

. . . .

الشارع لعدم استقلال العقل فيه فتلك الصلاة في هذه الليلة لم يصلها النبي عليه السلام ولا أحد من أصحابه ولم يحث عليها فلا يحصل فيها الثواب بل يكون فعلها عبثاً يخشى منه العقاب (رومي) قال الماوردي في الإقناع يستحب صوم رجب وشعبان وأما الصلاة فلم يثبت فيه صلاة مخصوصة تختص به فعلى هذا ينبغي ممن له ديانة وإذعان أن لا يلتفت إلى ما انكب عليه الناس في هذا الزمان ولا يغتر بشيوعه في دار الإسلام وكثرة وقوعه في البلاد العظام من صلاة الرغائب في ليلة الجمعة الأولى منه لما روى أنه عليه السلام قال : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار » وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال : « شر الأمور محدثاتها وكل من هذين الحديثين يدل على كون تلك الصلاة في هذه الليلة بدعة وضلالة لكونها من محدثات الأمور لعدم وقوعها في عصر الصحابة والتابعين ولا في عهد الأئمة المجتهدين بل حدثت بعد المائة الرابعة من الهجرة النبوية ولذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها وقد ذمها العلماء من أعيان المتأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتملة على منكرات فاترك هذا واعتصم بالطاعات حتى تجد الجنات العاليات وعلو المراتب والدرجات » (مجالس رومي) كما قال صاحب مجمع البحرين في شرحه إن رجلاً يوم العيد في الجبانة أراد أن يصلي قبل صلاة العيد فنهاه علي كرم الله وجهه فقال الرجل يا أمير المؤمنين إني أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة فقال علي وإني أعلم أن الله تعالى لا يثيب على فعل حتى يفعله رسول الله ويحث عليه فتكون صلاتك عبثاً والعبث حرام فلعله تعالى يعذبك به لمخالفتك لرسوله خذ ما حررته ولا تكن من المشتبهين (من مجالس الرومي ملخصاً) وفي الخبر عن النبي ﷺ قال : « خلق الله تعالى وجوه الحور من أربعة ألوان أبيض وأصفر وأحمر وخلق بدنها من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القرنفل فمن أصابع رجلها إلى ركبتها من الزعفران الطيب ومن ركبتها إلى سرتها من المسك ومن سرتها إلى عنقها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ولو بصقت بصقة في الدنيا لصارت مسكاً مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى ما بين منكبيها فرسخ وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خواتم وفي رجليها خلاخل من الجوهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار)





﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُون عَلَى النِّسَاء﴾ يقومون عليهنَّ قيام الولادة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوهما والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق ﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ في نكاحهنَّ كالمهر والنفقة، روى ان سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشكا فقال عليه الصلاة والسلام « لتقتص منه» فنزلت فقال « أردنا امراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير» ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج ﴿ حافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ لمواجب الغيب أي يحفظنَّ في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال ﴿ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ بحفظ الله إياهنَّ بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذي حفظه الله لهنَّ عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهنَّ والذب عنهنَّ وقرىء بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة فإنها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنىٰ بالأمر الذي حفظ حق الله أو طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (قاضي).

نزلت في سعد بن ربيع الأنصاري لطم امرأته بنت محمد بن مسلمة فجاءت إلى رسول الله فأمر بالقصاص فنزل عليه جبرائيل من ساعته بهذه الآية ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ يعني مسلطون في أمور النساء وتأديبهن (أبو الليث) روى عن فضيل ابن عبيدة أنه قال دخل رجل فصلى صلاة فقال اللهم أغفر لي وارحمني فقال : رسول الله ﷺ « عجلت أيها المصلي إذا صليت فاقعد فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم أدعه ، ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه السلام له أيها المصلي ادع تجب كذلك من سمع اسمي فصلى علي استجاب الله كل دعائه » . روى عن أبي هريرة أنه قال قال عليه السلام : « خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك ، إن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها » ثم تلا عليه السلام ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ يعني مسلطون على تأديبهن وأمورهن . وروى عن أنس بن مالك أنه قال قال عليه السلام : « المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها تدخل من أي باب شاءت من أبواب الجنة » رواه أبو نعيم . عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال قال عليه السلام : « المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق عنها سبعة أبواب النار وفتحت لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت بغير حساب » . وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله عليه السلام : « ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت في أول اليوم الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب الله لها براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب ورفع الله تعالى لها بكل يوم وليلة درجة أربعين شهيداً إذا كانت ذاكرة لله تعالى في حيضها » . وقال الحسن البصري هذه للنساء الصالحة المطيعة لزوجها في الأمور الشرعية . حكى أن رجلاً في عهد النبي عليه السلام خرج غازياً فقال لامرأته لا تخرجي من هذا البيت حتى أرجع إليك فمرض أبوها فأرسلت رسولاً إلى رسول الله فقال عليه السلام : « أطيعي زوجك وكذا مرة بعد مرة فأطاعت زوجها ولم تخرج من البيت فمات أبوها ولم تره فصبرت على ذلك حتى رجع زوجها إليها » فأوحى الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن الله قد غفر لها بإطاعة زوجها ، وروى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألف حسنة وغفر لها ألف خطيئة واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة » رواه أبو منصور في مسند الفردوس ، وأما ذمهن فروي عن علي رضي الله عنه أنه قال دخلت أنا وفاطمة على رسول الله عليه السلام فوجدناه باكياً فقلنا ماذا يبكيك يا رسول الله فقال : « رأيت النساء ليلة أسري بي إلى السماء في شدة عذاب فذكرت شأنهن وبكيت » قلت يا رسول الله ما الذي رأيت قال : « رأيت امرأة

معلقة من شعرها ويغلي دماغ رأسها ورأيت امرأة معلقة بلسانها قد أخرجت يدها من ظهرها والقطران يصب من حلقها ورأيت امرأة معلقة بثدييها من وراء ظهرها والزقوم يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة قد شدت رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وقد سلطت عليها حيات وعقارب ورأيت امرأة تأكل جسدها والنار توقد من تحتها ورأيت امرأة يقطع جسدها بمقراض من النار ورأيت امرأة مسودة الوجه وتأكل أمعاءها ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغها من منخرها وبدنها منتن من البرص والجذام ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبدن الحمار لها ألف ألف نوع من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب تدخل العقارب والحيات من قبلها أو من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون على رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة وقالت يا أبي ويا قرة عيني أخبرني ما كانت أعمال هذه النساء ، » فقال عليه السلام : « يا فاطمة أما المعلقة بشعرها فكانت لا تكتم شعرها من الرجال ، وأما المعلقة بلسانها فكانت تؤذي زوجها بلسانها » ثم قال عليه السلام : « ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله بلسانها يوم القيامة سبعين ذراعاً ثم عقد خلف عنقها ، » وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله يقول أيما امرأة عذبت زوجها بلسانها فهي في لعنة الله وسخطه ولعنة الملائكة والناس أجمعين . وروى عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله يقول ما من امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً إلا أحبط الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل ، وأما المعلقة بثدييها فكانت ترضع أطفال الخلق من غير أمر زوجها . وأما المعلقة برجليهافكانت امرأة تخرج من بيتها بغير إذن الزوج ولا تغتسل من الحيض والنفاس ، وأما التي تأكلُ جسدها فكانت تتزين للرجال وتغتاب الناس ، وأما التي يقطع جسدها بمقراض من النار فكانت تشهر نفسها للناس يعني يرين زينتها وتحب كل من يراها بهذه الزينة من الرجال . وأما التي شد رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وسلطت عليها الحيات والعقارب فكانت تقدر على الصلاة والصيام ولم تتوضأ ولم تصل ولم تغتسل من الجنابة . وأما التي رأسها كرأس الخنزير وبدنها كبدن الحمار فكانت نمامة وكاذبة . وأما التي على صورة الكلب فكانت فتانة تبغض زوجها . وروى عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « أيما امرأة قالت لزوجها عليك لعنة الله وهي ظالمة لعنها الله تعالى من فوق سبع سموات وكل شيء خلقه الله تعالى إلا الثقلين أي الإنس والجن ، » وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما امرأة أدخلت على زوجها الغم في أمر النفقة أو كلفته ما لا يطيقه لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ، وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لو كان جميع ما في الأرض ذهباً وفضة حملته امرأة إلى بيت

زوجها ثم فخرت عليه يوماً من الأيام بقولها من أنت إنما المال لي ولا مال لك أحبط الله عملها ولو كان كثيراً ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول أيما امرأة خرجت من بيت زوجها بغير إذنه لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حتى ترجع إلى بيت زوجها ، وروى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عليه السلام المرأة إذا اخرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راضي بني لزوجها بكل قدم بيت في النار نعوذ بالله الملك الجبار ، وروى عن طلحة بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول أيما امرأة كلحت في وجه زوجها فتدخل عليه الغم فهي في سخط الله إلى أن تضحك في وجه زوجها فتدخل عليه السرور ، وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام: « إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه فامتنعت فبات الزوج غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وروى عن سلمان الفارسي أنه قال دخلت فاطمة رضي الله تعالى عنها على رسول الله فلما نظرت إليه دمعت عيناها وتغير لونها فقال عليه السلام : « مالك يا بنتي » قالت يا رسول الله كان بيني وبين علي في البارحة مزاح ونشأ من الكلام أن غضب علي بكلمة خرجت من في فلما رأيت أن علياً قد غضب ندمت وغممت فقلت له يا حبيبي أرضي عني وطفت حوله سبع مرات حتى رضي عني وضحك في وجهي مع الرضى وأنا خائفة من ربي فقال لها النبي عليها السلام يا بنتي والذي بعثني بالحق نبيا أنك لو مت قبل أن ترضي علياً لم أصل عليك ثم قال : « يا بنتي أما علمت أن رضا الزوج هو من رضا الله وغضب الزوج هو من غضب الله يا بنتي أيما امرأة عبدت عبادة كعبادة مريم بنت عمران ثم لم يرضَ عنها زوجها لا يقبل الله تعالى منها يا بنتي أفضل أعمال النساء طاعة الزوج وبعده ليس لها عمل أفضل من الغزل يا بنتي جلوس ساعة الغزل خير من عبادة سنة ويكتب لهن بكل طاقة أي بكل نوع من الثياب من غزلهن ثواب شهيد يا بنتي إن المرأة إذا غزلت حتى تكسو زوجها وصبيانها وجبت لها الجنة وأعطاها الله بكل من تسربل من أثوابها مدينة في الجنة » . قال النبي عليه السلام : « أيما رجل كان له امرأتان فلم يعدل بينهما في النفقة ولم يسوّ بينهما في المضجع والمطعم والمشرب فهو بريء مني وأنا بريء منه ولا نصيب له في شفاعتي إلا أن يتوب » . وقال عليه السلام : « من كان له امرأتان فمال إلى أحدهما دون الأخرى وفي رواية ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » (كذا في مرشد المتأهلين)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ صنماً أو غيره أو شيئاً من الإشراك جلياً أو خفياً ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ واحسنوا بهما إحساناً ﴿ وَبِذِي القُرْبَىٰ ﴾ وبصاحب القرابة ﴿ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْجَارِ ذِيْ القُرْبَى ﴾ الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحفظه ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام .وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ﴾ الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة أو سفر فإنه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة ﴿ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ المسافر أو الضيف ﴿ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ العبيد والاماء ﴿ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً ﴾ يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه لا يلتفت إليهم ﴿ فَخُوراً ﴾ يتفاخر عليهم (قاضى بيضاوي).

وعن عامر بن ربيعة أنه قال سمعت رسول الله عليه السلام يقول : « من صلى عليّ صلاة صلت عليه الملائكة كما صلى علي فليقلل من ذلك العبد أو ليكثر » (شفاء شريف) قال الله تعالى ﴿ وقضى ربك ﴾ أي أمر أمراً مقطوعاً به ﴿ أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ بأن تحسنوا بالوالدين لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ﴾ فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر ﴿ ولا تنهرهما ﴾ ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾ جميلاً ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ تذلل لهما وتواضع اليهما ﴿ من الرحمة ﴾ من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ﴿ وقل رب ارحمهما ﴾ وأدع الله تعالى بأن يرحمهما برحمته الباقية ﴿ كما ربياني صغيراً ﴾ رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وإرشادهما لي في حال صغري (قاضي) (ت) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « اعبدوا الرحمن أي افردوه بالعبادة لأن المستحق للعبادة هو الله تعالى فمن أشرك في عبادة ربه شيئاً لا يقبل منه عمله وهو في الآخرة من الخاسرين كما قال الله تعالى » ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ فعلى العاقل أن يخلص في عبادة ربه كما قال الله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة

ربه أحداً ﴾ (زبدة الواعظين) يقال للوالد على الولد عشرة حقوق الطعام إن احتاج والخدمة إن احتاج والإجابة إن دعا والطاعة إن أمر غير معصية والتكلم معه باللين دون الغلظة وإن احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها والمشي خلفه والإرضاء له بما رضي لنفسه والإكراه له بما يكره لنفسه والدعاء له بالمغفرة كلما دعا لنفسه (تنبيه الغافلين) عن الفقيه أنه قال سئل عن الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكن أن يرضيهما بعد وفاتهما قيل يمكن بثلاثة أشياء أولها أن يكون صالحاً والثاني أن يصل قرابتهما وأصدقاءهما والثالث أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق عليهما (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل المؤمن الجنة حتى يأمن جاره من لسانه » وقال عليه الصلاة والسلام : « من أكرم جاره وجبت له الجنة ومن آذى جاره لعنه الله والملائكة والناس أجمعون » (حياة القلوب) عن النبي عليه السلام أنه قال : « من أنفق على الضيف درهماً فكأنما أنفق ألف درهم في سبيل الله » ، وقال النبي عيه السلام : « ما من أحد يأتيه الضيف فأكرمه إلا فتح الله له باباً من الجنة » . حكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه ضيف قام بنفسه يخدمه فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الملائكة يقومون في منزل فيه ضيف فأنا أستحي أن أجلس والملائكة قائمون (أعرجية) عن النبي عليه السلام أنه قال : « أخبرني جبرائيل عليه السلام أنه قال إن الضيف إذا دخل على أخيه المسلم دخلت معه ألف بركة وألف رحمة وغفر الله ذنوب أهل ذلك البيت ولو كان ذنوبهم أكثر من زبد البحر وورق الأشجار وأعطاه الله تعالى ثواب ألف شهيد وكتب له بكل لقمة أكلها الضيف ثواب حجة مبرورة وعمرة مقبولة وبنى الله تعالى له مدينة في الجنة ومن أكرم ضيفاً فكأنما أكرم سبعين نبياً » (كنز الأخبار) روي عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالمغفرة » (تنبيه الغافلين) قال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار » وروي عن بعض أهل العلم أنه قال أفضل الأعمال إجاعة بطن شبعان بالصيام (اخلص الخالصة) روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حث النالس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم وأقرضت منها لربي أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام : « يا عبد الرحمن بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت » . وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له فنزلت هذه الآية ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله

يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ قال الفقيه المتصدق كمثل الزارع فإن كان الزارع حاذقاً في عمله ويكون البذر جيداً وتكون الأرض عاملة يكون الزرع طيباً كثيراً فكذلك إذا كان المتصدق صالحاً والمال طيباً حلالاً ووضع موضعه فيكون الثواب أكثر (شفاء أندوعي) وقال الفقيه أبو الليث قد ذكر الله تعالى في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وجميع كتبه وأمر في جميعها وأوحي إلى جميع رسله بجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين وسئل النبي عليه السلام أي الأعمال أفضل فقال عليه السلام : « الصلاة في وقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله » (كذا في التنبيه) ويقال ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة منها بغير الأخرى الأولى قوله تعالى ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا تقبل الصلاة منه والثانية قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ فمن أطاع الله تعالى ولم يطع الرسول لا تقبل طاعته لله والثالثة قوله تعالى ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لا يقبل الله تعالى شكره والدليل على ذلك قول النبي ﷺ من أرضى والديه فقد أرضى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه (تنبيه الغافلين) روى أن سليمان عليه السلام سافر بين السماء والأرض حتى بلغ بحراً عميقاً فرأى في البحر موجاً هائلاً فأمر الريح أن تسكن فسكنت الريح فأمر عفريتاً بأن يغوص في البحر فغاص العفريت فلما بلغ قعره رأي قبة من ردة بيضاء لا ثقب لها فأخرجها ووضعها بين يدي سليمان عليه السلام فتعجب من ذلك فدعا الله فأنفتح باب القبة فإذا فيها شاب ساجد فقال سليمان عليه السلام من أنت أمن الملائكة أم من الجن أم من الأنس قال بل أنا من الإنس فقال سليمان عليه السلام بأي سبب نلت هذه الكرامة قال ببر الوالدين لما كانت والدتي عجوزاً كنت أحملها على ظهري وكان دعاؤها إليّ ؛ اللهم أرزقه القناعة واجعل مكانه بعد وفاتي في موضع لا في الأرض ولا في السماء ، ولما توفيت كنت أدور على ساحل فرأيت فيه قبة من درة فقربت إليها فانفتحت القبة لي فدخلت فيها فانطبقت القبة بإذن الله تعالى فكنت لا أدري أفي الهواء أنا أم في الأرض ورزقني الله فقال سليمان عليه السلام كيف يرزقك الله فيها قال إذا جعت خلق الله فيها شجرة وعليها تمر فرزقني منه وإذا عطشت ينبع منها ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج فقال سليمان عليه السلام كيف تعلم الليل والنهار فيها قال إذا انفجر الصبح ابيضت القبة فأعرف أنه نهار وإذا غربت الشمس تكون القبة في الظلام فأعرف أنه جاء الليل فدعا الله تعالى فانطبقت القبة وهو فيها كما كانت (مجمع اللطائف) حكي أن موسى عليه السلام قال إلهي أرني جليسي في الجنة فقال الله تعالى اذهب إلى البلد الفلاني إلى السوق الفلاني فهنالك رجل قصاب وجهه كذا فهو جليسك في الجنة فذهب موسى عليه السلام إلى ذلك الدكان فوقف

هناك إلى وقت الغروب فأخذ القصاب قطعة لحم وطرحها في زنبيل فلما انصرف قال موسى عليه السلام هل لك من الضيف قال نعم فمضى معه حتى دخل داره فقام الرجل وطبخ من ذلك اللحم مرقة طيبة ثم أخرج من داره زنبيلاً فيه عجوز ضعيفة كأنها فرخ حمامة فأخرجها منه فأخذ ملعقة وكان يضع الطعام في فمها حتى شبعت وغسل ثوبها وجففه وألبسها ثم وضعها في الزنبيل فحركت العجوز شفتيها قال موسى عليه السلام قد رأيت شفتيها قالت اللهم اجعل ابني جليس موسى في الجنة ثم أخذها الرجل فعلقها على الوتد فقال موسى عليه السلام ما الذي صنعت قال إن هذه والدتي فضعفت حتى لا تقدر على القعود فقال موسى عليه السلام لك البشارة أنا موسى وأنت جليسي في الجنة يسرنا الله بحرمة أسمائه الطيبة وبحرمة من هو أفضل البرية . هذه حكاية لطيفة في الزبدة فعليك بالصدق والعمدة . حكي . أن مجوسياً أتى إبراهيم عليه السلام فاستضافه فقال له إبراهيم عليه السلام ما اضيفك حتى تخرج عن دينك وتترك المجوسية وانصرف فاوحى الله يا إبراهيم ما تضيفه حتى يخرج عن دينه ما ضرك لو أضفته هذه الليلة ونحن نطعمه ونسقيه سبعين سنة وهو يكفر بنا فلما أصبح إبراهيم عليه السلام طلب المجوسي فوجده فحلف عليه فقال له المجوسي ما أعجب أمرك بالأمس تطردني واليوم تطلبني فأخبره إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليّ في أمرك كذا وكذا فقال المجوسي أيعاملني رب الأرباب بهذه المعاملة وأنا أكفره امدد يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله (كذا في بعض كتب الموعظة وذكره أيضاً الشيخ سعدي في ببستانه) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن في الصدقات خمس خصال الأولى تزيدهم في أموالهم والثانية دواء للمرض والثالثة يرفع الله تعالى عنهم البلاء والرابعة يمرون على الصراط كالبرق الخاطف والخامسة يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . صدق رسول الله » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أفضل الأعمال الصلوات الخمس وأفضل الأخلاق التواضع » . صدق رسول الله (دقائق الأخبار)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُوْلَ فَاولَئِكَ مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً ﴿ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِنَ والشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ بيان للذين حال منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حدَّ الكمال إلى درجة

التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتّى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذي أدّى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق حتّى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالىٰ ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ﴿ وَحَسُنَ أولٰئِكَ رَفِيقاً﴾ في معنى التعجب ورفيقاً نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع والجمع كالصديق او لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقاً (قاضى بيضاوي).

روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى عليّ عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى آمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة وكان مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين » (زبدة الواعظين) من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عليه السلام لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لا شتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغيرالأعصار (أبو السعود) والصالحين الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها الخ (أبو السعود) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال إن هذه الآية نزلت في حق ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على مفارقته فأتى النبي يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع ولا مرض غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فلا أراك أبداً فكيف يكون فيها حالي فنزلت (ومن يطع الله والرسول) الآية (تفسير) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت من أحب الله تعالى أكثر ذكره وثمرته أن يذكره الله في رحمته وغفرانه ويدخله الجنة مع انبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ومن أحب النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من الصلاة عليه وثمرته الوصول إلى شفاعته وصحبته في الجنة (كذا في الجامع الصغير) عن أنس رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة » فمن أراد أن ينال رؤية النبي عليه السلام فليحبه حباً شديداً وعلامة الحب الإطاعة في سنته السنية وإكثار

الصلاةعليه لأن النبي ﷺ قال : « من أحب شيئاً أكثر من ذكره » (رواه في الفردوس) (هق) عن عمر بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه أنه قال جاء رجل من قضاعة إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت أني شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمت لياليه وأديت الزكاة فممن أنا ؟ فقال النبي ﷺ له « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه لأن عاق الوالدين بعيد من الرحمن » (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا أراد الله تعالى أن يدخل المؤمنين الجنة يبعث اليهم ملكاً ومعه هدية وكسوة من الجنة فإذا أرادوا الدخول قال لهم الملك قفوا فإن معي هدية من رب العالمين فقالوا ما تلك الهدية ؟ فيقول الملك هي عشرة خواتم مكتوب في أحدها ﴿ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ وفي الثاني ﴿ ادخلوها بسلام آمنين ﴾ وفي الثالث ﴿ أذهبت عنكم الأحزان والهموم ﴾ وفي الرابع ﴿ ألبسناكم الحلل ﴾ وفي الخامس ﴿ وزوجناكم بحور العين ﴾ وفي السادس ﴿ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ﴾ وفي السابع ﴿ صرتم شباباً لا تهرمون أبداً ﴾ وفي الثامن ﴿ صرتم آمنين لا تخافون أبداً ﴾ وفي التاسع ﴿ رفيقكم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ﴾ وفي العاشر ﴿ كنتم في جوار الرحمن ذي العرش الكريم العظيم ﴾ فيدخلون الجنة فيقولون ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ (سفينة الأبرار) (هق) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » (ت) عن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الدين بدأ غريباً وسيرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي » (الطريقة المحمدية) قال مقاتل : عشرة من الحيوانات يدخل الجنة : عجل إبراهيم وكبش اسماعيل وناقة صالح وحوت يونس وبقرة موسى وحمار عزير ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وناقة محمد عليهم السلام فكلهم يصيرون على صورة كبش ثم يقضي بين العباد فلا يبقى يومئذ ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شهيد إلا ظن أن لا ينجو لما يرى من شدة العذاب والحساب وهول ذلك اليوم إلا من عصمه الله (مشكاة الأنوار) عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت بهرام العجمي يوماً من الأيام ينبش المقابر ويأخذ رؤوس الموتى ويطعن بالعصا في ثقب الأذن فإن نفذت عصاه من ثقب الأذن إلى الثقب الآخر رمي ذلك الرأس وإن لم تنفذه أصلاً رماه أيضاً وإن قرت موضع الدماغ قبله ودفنه فسألته عن ذلك فقال أما الذي تنفذ فيه العصا من الأذن إلى الأذن الأخرى فهو الذي سمع النصيحة والقول الحق فدخلا في أذن وخرجا من الأذن الأخرى ولم تقر في دماغه ولم يأخذهما فلا خير فيه وأما

الذي لا تنفذ فيه أصلا فهو الذي لم يسمعها لشغله بمراد نفسه وشهواتها فلا خير فيه وأما الـذي قرت العصا في دماغه فهو الـذي أخذ النصيحة والقول الحق وثبتت في دماغه فهو المقبول عند الله فأقبله وأدفنه (حياة القلوب) روى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كما في الجامع الصغير أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ قال الله تعالى أعددت ﴾ أي هيأت وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن كذا قاله المناوي ﴿ لعبادي الصالحين ﴾ أي القائمين بما وجب عليهم من حق الحق والخلق ﴿ ما لا عين رأت ﴾ أي ما لا رأت العيون كلها فإن العين في سياق النفي تفيد الاستغراق ومثله قوله ﴿ ولا أذن سمعت ﴾ بتنوين عين وأذن وروى بفتحها ﴿ ولا خطر على قلب بشر ﴾ معناه أن الله تعالى أدخر في الجنة من النعيم والخيرات واللذات ما لم يطلع عليه أحد من الخلق بطريق من الطرق (كذا ذكره المناوي).

اعلم أن للعبد ثلاثة أمور هي أصناف حسناته وهي : عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع بل يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل أعضائه وهو يرى ، فإذا أتى العبد بهذه الأشياء عملاً صالحاً يجعل الله لمسموعه ما لا أذن سمعت ولمرئيه ما لا عين رأت ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب بشر . فعلى العبد أن يواظب على الطاعات لأن الله تعالى لا ينقص شيئاً من أجور الحسنات بل يعطي الجنة والدرجات (سنانيه) روى عن حاتم الزاهد أنه قال من ادعى حب مولاه من غير ورع فهو كذاب ومن ادعى دخول الجنة من غير إنفاق مال فهو كذاب ومن ادعى حب النبي عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب ومن ادعى حب الدرجات من غير صحبة مع الفقراء والمساكين فهو كذاب (تنبيه الغافلين) وعن سعدون المجنون أنه كان يكتب في كفه « الله » فقال له السري السقطي ما تصنع يا سعدون ؟ فقال أنا أحب الله تعالى وقد كتبت اسم ربي في قلبي حتى لا يسكنه غيره وكتبته على لساني حتى لا يذكر غيره والآن كتبته على كفي حتى أنظر إليه بعيني فيكون نظري مشغولاً به (مشكاة الأنوار) حكي أن سمنون تزوج بامرأة في آخر عمره فولدت بنتاً فلما بلغت ثلاث سنين وجد في قلبه تعلقاً بها فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت ونصبت علائم كل نبي وولي ووراءهم علم رفيع نوره قد سد الأفق فسأل عنه فقالوا هو علم المحبين الخالصين فرأى سمنون نفسه بينهم فجاء واحد من الملائكة فأخرجه من بينهم فقال سمنون أنا محب لله تعالى وهذا علم المحبين فلم تخرجني فقال نعم أنت من المحبين لله تعالى فلما حلت محبتك لولدك في قلبك محونا اسمك من المحبين لله تعالى فبكى سمنون وتضرع في نومه فقال إلهي إن كان الولد مانعاً لي عنك فادفعه عني حتى أقرب إليك بلطفك وكرمك فسمع

صائحاً يقول واويلاه فانتبه فقال ما هذه الصيحة قالوا إن بنتك سقطت من السطح فماتت فقال الحمدلله الذي أذهب المانع عني (مشكاة الأنوار) وعن ذي النون المصري أنه قال رأيت رجلاً في الهواء جالساً متربعاً وهو يقول الله فقلت من أنت قال أنا عبد من عباد الله فقلت بم وجدت هذه الكرامة قال تركت هواي لهواه فأجلسني الله تعالى على الهواء . وكذا روي عن سمنون المجنون أنه كان مشهوراً بمحبة مولاه وكان يسمونه الناس سمنون المجنون وسماه الخواص سمنون المحب وهو يسمي نفسه سمنون الكذاب فارتقى يوماً على المنبر ليعظ الناس فلم يلتفتوا إلى قوله فترك الناس والتفت إلى قناديل المسجد فقال اسمعوا أنتم يا قناديل خبراً عجيباً عن لسان سمنون فرأوا أن القناديل قد دخلوا في الرقص وتقطعوا وتساقطوا لتأثير كلام سمنون (كذا في زبدة الواعظين)

فالحاصل أن الإطاعة لله تعالى ولرسوله سبب لمرافقة النبيين والأولياء والصالحين . عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما أيلحق بهم فقال ﷺ : « المرء مع من أحب » (كذا في المصابيح) .

فمن أحب الله تعالى أكثر ذكره فثمرته أن يذكر الله تعالى برحمته وغفرانه ويدخله الجنة مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ومن أحب النبي عليه الصلاة والسلام أكثر الصلاة عليه فثمرته الوصول إلى شفاعته وصحبته والجنة (سنانيه)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منها وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية وإما برد مثله لما روىٰ أن رجلاً قال لرسول الله عليه السلام السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه السلام إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أو للترديد بين أن

يحيى المسلم ببعض التحية وبين أن يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها إنَّ الله كان عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسْيباً ﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها (قاضى) .

روي عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون عليّ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » (شفاء شريف) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم وفي رواية إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة فإن لم يرد عليه رد عليه من هم معه ثم يلعنونه سبعين مرة وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول لا يمنعني من السلام عليهم إلا أني أخشى أن لا يردوا عليّ فتلعنهم الملائكة (من بحر العلوم) وذكر في بستان العارفين إذا مررتم بقوم فسلموا عليهم فإذا سلمتم عليهم وجب عليهم الرد وقال يسلم الماشي على القاعد والصغير على الكبير والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار ويسلم الذي يأتيك من خلفك ويسمع الراد جوابه لأنه إذا لم يسمع لم يكن جواباً ويسلم على أهل بيته حين يدخله فإن دخل بيتاً ليس فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة يردون سلامه فتحصل تلك البركة أزيد وأتم واختلف العلماء في التسليم على الصبيان فقال بعضهم يسلم عليهم وقال بعضهم لا يسلم عليهم وقال بعضهم التسليم أفضل من تركه وبه نأخذ وفي زبدة المسائل إن قال رجل السلام عليك يا زيد فرد عليه عمرو لا يسقط عن زيد . وفي روضة العلماء إذا استقبل واحد لواحد اختلف الفقهاء قال بعضهم يسلم الذي جاء من المصر على الذي جاء من القرية لأنه جاء من الأمان فيسلم على الذي جاء من القرية ليكون إخباراً عن سلامة حال المصر وقال بعضهم يسلم الذي جاء من القرية على الذي جاء من المصر لأن الذي جاء من المصر جاء من أفضل المواضع وكفى بهذا هادياً إن كنت من القانع وانشر بين الناس ضياء الطالع وكن مخوف العلماء بالسيف اللامع (شرح) وقال عليه السلام : « من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب قيل إن الابتداء بالسلام قبل الكلام أو الحاجة سنة مستحبة ليس بواجب واستماعه مستحب بل واجب على الصحيح وهو سنة على الكفاية ورده فرض كفاية فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفي عن جميعهم وسلام كلهم أفضل وأكمل وكذا ردّه واجب بحيث لو لم يسمعه لا يسقط عنه هذا الفرض حتى قيل لو كان المسلم عليه أصم يجب على المسلم أن يحرك شفتيه ويريه بحيث لو لم يكن أصم لسمعه انتهى وقيل إذا قال الرجل

السلام عليك بالإفراد فقل وعليكم السلام بالجمع لأن المؤمن لا يكون وحده بل معه الملك فلا ينبغي أن يقول المسلم عليك بالإفراد لأنه إذا قال ذلك فقد حرم الملائكة وحرم نفسه من جواب الملائكة وإن كانوا مستغنين عن تسليمنا فلست بمستغن عن جوابهم بالرحمة ، وأما صفة الردّ فالأفضل أن يقول وعليكم السلام بالواو فلو حذفها جاز وكان تاركاً للأفضل ومن أراد أن يسلم إن شاء سلم بالتعريف وإن شاء بالتنكير وأما في سلام الصلاة فالتعريف ويشترط أن يكون الردّ على الفور فإن أخره ثم ردّ لم يعد جواباً وكان آثماً بترك الردّ لأن في تركه إهانة للمسلم ولو أتى سلام من غائب مع رسوله أو في ورقة وجب الردّ على الفور ولا سلام على أهل البدعة والكفر واللعب واختلف العلماء في ردّ السلام على الكفار وابتدائهم به فمذهبنا تحريم ابتدائهم ووجوب ردّه عليهم بأن يقول عليك بلا واو وعليك مثله فقد ورد دليلنا في عدم الابتداء من قوله عليه الصلاة والسلام لا تبتدئوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه لأن الابتداء بالسلام إعزاز لهم ولا يجوز الإعزاز للكفار ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا) إيماناً كاملاً (ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينك) رواه مسلم وأبو داود وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف انتهى ، قال فى التتار خانية ويكره تحريماً عند قراءة القرآن جهراً لكن يردّ جوابه لكونه قادراً على تحصيل فضيلتي القرآن وردّ السلام وعلى مستمع القرآن وكذلك عند مذاكرة العلم ولا يسلم على أحد ممن تذاكروا العلم وإن سلم فهو آثم وكذا عند الأذان والإقامة والصحيح أنه لا يردّ السلام أيضاً في هذه المواضع وإن كان بالإخفاء انتهى .

(وروي) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال خدمت رسول الله عشر سنين فلم يقل لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لم تفعله وقال يا أنس إني موصيك بوصية فاحفظها أكثر الصلاة في الليل تحبك الحفظة وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم يزد الله في بركاته وان استطعت أن لا تأوى إلى فراشك إلا على طهارة فافعل فإنك إن مت مت شهيداً وإذا خرجت من عند أهلك فسلم على من لقيت يزد الله حسناتك ووقر كبير المسلمين وارحم صغيرهم أكن أنا وأنت في الجنة كهاتين وشبك بين السبابة والوسطى واعلم يا أنس أن الله يرضي عن العبد باللقمة يأكلها فيحمد الله عليها والشربة من ماء يشربها فيحمد الله ـ الحديث ، وعن ابن سلام رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة

بسلام » ، وروي عن رسول الله أنه قال : « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قالوا يا رسول الله لمن تلك الغرف قال : « لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » قلنا ومن يطيق ذلك يا رسول الله قال : « سأخبركم عن ذلك من لقى أخاه وسلم عليه فقد أفشي السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان وستا من شوال فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الأخيرة والغداة أي الفجر مع جماعة فقد صلى الليل والناس نيام وهم اليهود والنصارى والمجوس كما صرح به الإمام الأندلسي رحمه الله انتهى » ، ويكره السلام عند رواية الحديث وعند الأذان وعند الإقامة إذا كان القوم مشغولين بثناء الأذان والإقامة والمسلم يأثم ولكن يردون جوابه وعلى من كان في الخلاء فعند أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه يردّه بقلبه لا بلسانه وقال أبو يوسف لا يردّه مطلقاً وعند محمد يردّه بعد الفراغ من الحاجة وعلى المصلي والمسلم يأثم ولا يردّ جوابه وعلى السائل وإن سلم السائل فلا يجب ردّه وعلى القاضي في المحكمة ولا يجب الردّ عليه وعلى أستاذه عند الدرس ولو سلم لا يجب ردّه وعلى لاعب الشطرنج وعلى لاعب النرد وغيره وعلى المبتدعة وعلى الملاحدة وعلى الزنادقة وعلى المضحك وعلى قارىء القصة الكاذبة وعلى أهل اللغو وعلى أهل السب وعلى أهل الهجو وعلى القاعد على رؤوس الطريق لينظر إلى المرأة الحسناء أو إلى الأمرد الصبيح وعلى العريان سواء كان في الحمام أو غيره وعلى الممازح والكذاب وعلى من يسب الناس وعلى المشتغل في السوق وعلى آكل الطعام في السوق أو على الدكان والناس ينظرون وعلى المغني وعلى مطير الحمام وعلى الكافر (قاله ابن كمال باشا يسر الله له ما شاء في شرح الحديث السلام قبل الكلام) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم من تكلم قبل السلام فلا تجيبوه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن إبليس عليه اللعنة يبكي عند سلام المؤمن ويقول واويلاه لا يفترق هذان المؤمنان حتى يغفر لهما الحديث . قالوا تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الإشارة بالأصبع وتحية المجوس الانحناء وتحية العرب حياك الله وتحية المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهي أشرف التحيات (من المنقولات) وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام فقال السلام عليكم فرد عليه فقال لك عشر حسنات ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال لك عشرون حسنة ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال لك ثلاثون حسنة ثم أتى آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد عليه فقال لك أربعون حسنة (كذا في مشكاة المصابيح).



﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوفيق على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلَامَ ﴾ اخترته لكم ﴿ دِيناً ﴾ من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير (قاضي بيضاوي).

روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « قال لي جبرائيل يا محمد إن الله خلق بحراً من وراء جبل قاف وفي البحر سمك يصلي عليك فمن أخذ منه سمكة يبست يداه وتصير السمكة من جملة الأحجار » . هذا إشارة إلى أن العبد إذا صلى على محمد وصلى الصلوات الخمس بالجماعة ينجو من أيدي الزبانية ومن عذاب النار . روي أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله تعالى عنه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فإذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص فقال عليه السلام صدقت (أبو السعود) قوله اليوم اللام للعهد والمراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية وقد روي أن هذه الآية نزلت بعد عصر يوم الجمعة بعرفات في حجة الوداع والنبي عليه السلام واقف بعرفة على الإبل ولم ينزل بعدها شيء من الفرائض فحين نزلت لم يطلق الناقة فبركت وقد قال رجلٌ من اليهود لعمر رضي الله عنه نزلت عليكم اليوم آية لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً لأنفسنا ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فقال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم

والمكان الذي نزلت فيه نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة ، أشار عمر رضي الله عنه إلى أن ذلك اليوم كان عيداً لنا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان في ذلك اليوم خمسة أعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم يجتمع أعياد أهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروى هارون ابن عنزة عن أبيه قال لما نزلت هذه الآية بكى عمر وضحك غيره من الصحابة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا عمر قال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله عليه السلام وعاش بعدها احدا وثمانين يوماً ومات يوم الاثنين بعدما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكانت هجرته في الثاني عشر منه ، قوله تعالى ﴿ اليوم ﴾ يعني وقت نزول هذه الآية ﴿ أكملت لكم دينكم ﴾ يعني الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ويروي عنه أن آية الربا نزلت بعدها وقال سعيد بن جبير وقتادة رضي الله تعالى عنهما أكملت لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل أظهرت دينكم وأمنتكم من العدو ، قوله عز وجل ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ﴾ يعني وأنجزت وعدي في قولي ولأتم نعمتي عليكم وكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وعليها ظاهرين وحجوا مطمئنين ولم يخالطهم أحد من المشركين ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ روي عن جابر بن عبدالله يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « قال جبرائيل عليه السلام قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وقيل لما نزل قوله تعالى » ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ الآية عاش عليه الصلاة والسلام بعدها خمسين يوماً ولما نزل قوله تعالى « لقد جاءكم رسول من انفسكم » عاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً ولما نزل قوله تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ الآية عاش بعدها إحدى وعشرين يوماً وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزولها صعد يوماً المنبر فخطب خطبة فبكت منها العيون ووجلت منها القلوب واقشعرت منها الأبدان وبشر وأنذر .

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لما قربت وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أمر بلالاً أن ينادي الناس للصلاة فنادى فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى ركعتين خفيفتين بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة بليغة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال : « يا معشر المسلمين إني كنت لكم نبياً وناصحاً وداعياً إلى الله بإذنه وكنت لكم كالأخ المشفق والأب الرحيم من كانت

له عندي مظلمة فليقم وليقتص مني القصاص في القيامة فلم يقم إليه احد حتى قال ثانياً وثالثاً » فقام رجل يقال له عكاشة بن محصن فوقف بين يدي النبي عليه السلام فقال فداك أبي وامي يا رسول الله لولا أنك ناشدتنا مرة بعد مرة ما كنت أقدم على شيء من ذلك ولقد كنت معك في غزوة حاذت ناقتي ناقتك فنزلت عن الناقة ودنوت منك حتى أقبل فخذك فرفعت القضيب الذي تضرب به الناقة للسرعة في المشي وضربت به خاصرتي فلا أدري «أعمداً كان منك يا رسول الله أم أردت به ضرب ناقتك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « حاشا يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله بالضرب فقال النبي عليه السلام لبلال يا بلال انطلق إلى منزل فاطمة فآتني بقضيبي » فخرج بلال من المسجد ويده على رأسه فقال هذا رسول الله أعطى القصاص من نفسه فقرع باب فاطمة فقالت من هو على الباب فقال جئتك لقضيب رسول الله فقالت فاطمة يا بلال ما يصنع أبي بالقضيب فقال يا فاطمة إن أباك يعطي القصاص من نفسه فقالت فاطمة يا بلال من الذي يطيب قلبه أن يقتص من رسول الله فأخذ بلال القضيب ودخل المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله والرسول دفعه إلى عكاشة فلما نظر أبو بكر وعمر قاما فقالا يا عكاشة نحن بين يديك فاقتص منا ولا تقتص من النبي عليه السلام فقال رسول الله اقعدا قد عرف الله تعالى مكانكما فقام علي رضي الله تعالى عنه فقال يا عكاشة أنا في الحياة بين يدي النبي عليه السلام لا يطيب قلبي أن تقتص من رسول الله عليه السلام فهذا ظهري وبطني فاقتص مني بيدك واجلدني بيدك فقال عليه السلام يا علي قد عرف الله مكانك ونيتك فقام الحسن والحسين فقالا يا عكاشة الست أنت تعرفنا إنا سبطا رسول الله والقصاص منا كالقصاص من رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لهما اقعدا يا قرتي عيني ثم قال النبي عليه السلام يا عكاشة اضرب إن كنت ضارباً فقال يا رسول الله ضربتني وأنا عار عن ثوبي فكشف رسول الله عن ثوبه فصاح المسلمون بالبكاء فلما نظر عكاشة إلى بياض جسم رسول الله انكب عليه وقبل ظهره وقال فداك روحي يا رسول الله من يطيب قلبه أن يقتص منك يا رسول الله وإنما فعلته رجاء أن يمس جسمي بجسمك الشريف ويحفظني ربي بحرمتك من النار فقال عليه الصلاة والسلام ألا من يحب أن ينظر إلى أهل الجنة فلينظروا إلى هذا الشخص فقام المسلمون يقبلون بين عينيه ويقولون طوبى لك نلت الدرجات العلى ومرافقة محمد عليه السلام في الجنة انتهى اللهم يسر لنا شفاعته بعزتك وجلالك (من الموعظة الحسنة) قال ابن مسعود لما دنا وفاة النبي عليه السلام جمعنا في بيت أمنا عائشة ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال مرحباً بكم رحمكم الله أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وقرب المنقلب إلى الله تعالى وإلى الجنة المأوى فليغسلني علي وليصب الماء فضل بن عباس وأسامة بن زيد يعينهما وكفنوني في ثيابي إن شئتم أو حلة يمانية

بيضاء فإذا غسلتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي عليّ الله عز وجل ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم سائر الملائكة ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً وصلوا عليّ فلما سمعوا فراق النبي عليه السلام صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله أنت رسولنا وشمع جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نرجع ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « تركتكم على المحجة والطريقة البيضاء وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً فالناطق القرآن والصامت الموت إذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قست قلوبكم فلتتفكروا بالاعتبار في أحوال الموت » فمرض رسول الله ﷺ في آخر شهر صفر وكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس وكان ابتداء مرضه الذي مات فيه صداعاً عرض له عليه الصلاة والسلام وبعث عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ومات فيه ، فلما كان يوم الاثنين ثقل مرضه فأذن بلال أذان الصبح وقام بباب رسول الله ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله فقالت فاطمة إن رسول الله مشغول بنفسه فدخل بلال المسجد ولم يفهم كلامها فلما أسفر الصبح جاء بلال ثانياً وقام بالباب فقال كذلك فسمع رسول الله ﷺ صوته فقال : « ادخل يا بلال إني مشغول بنفسي وثقل عليّ مرضي يا بلال مر أبا بكر أن يصلي بالناس فخرج بلال باكياً ووضع يده على رأسه وهو ينادي وامصيبتاه واانقطاع رجاه واانكسار ظهراه يا ليتني لم تلدني أمي فدخل المسجد فقال يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس وهو مشغول بنفسه ، فلما رأى أبو بكر محراب رسول الله ﷺ خالياً عنه لم يتمالك نفسه فصرخ صراخاً وخر مغشياً عليه فضج المسلمون معه فسمع النبي ﷺ ضجيجهم فقال : « يا فاطمة ما هذا الصياح والضجيج ؟ » فقالت ضج المسلمون لفقدك منهم فدعا رسول الله ﷺ علياً وفضل بن عباس واتكأ عليهما فخرج إلى المسجد وصلى بهم ركعتي الفجر من يوم الاثنين ثم ولى بوجهه إلى الناس فقال : « يا معشر المسلمين أنتم في وداع الله تعالى وكنفه عليكم بتقوى الله وطاعته فاني مفارق الدنيا وهذا أول يومي من الآخرة وآخر يومي من الدنيا » ، فقام وذهب إلى بيته فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي بأحسن صورة وارفق به في قبض روحه فان أذن لك أن تدخل فادخل وإن لم يأذن فلا تدخل وارجع ، فهبط ملك الموت على صورة أعرابي فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أأدخل فأجابت فاطمة فقالت يا عبد الله إن رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية فقال السلام عليكم يا رسول الله ويا أهل بيت النبوة أأدخل فسمع عليه الصلاة والسلام صوته فقال : « يا فاطمة من على الباب » فقالت رجل اعرابي نادي فقلت إن رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثانية والثالثة فقلت مثله فنظر إليّ نظرة فاقشعر جلدي وخاف قلبي وارتعدت

فرائضي وتغير لوني فقال عليه السلام أتدرين من هو يا فاطمة قالت لا قال عليه السلام هو هاذم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور فبكت فاطمة رضي الله تعالى عنها بكاء شديداً فقالت واويلتاه لموت خاتم الأنبياء وامصيبتاه لممات خير الأتقياء ولانقطاع سيد الأصفياء واحسرتاه لانقطاع الوحي من السماء فقد حرمت اليوم من كلامك ولا أسمع بعد اليوم سلامك فقال عليه السلام لا تبكي فانك أول أهلي لحوقاً بي ثم قال عليه السلام ادخل يا ملك الموت فدخل فقال السلام عليك يا رسول الله فقال عليه السلام وعليك السلام يا ملك الموت أجئت زائراً أم قابضاً فقال جئت زائراً وقابضاً إن أذنت لي وإلا فأرجع فقال يا ملك الموت أين تركت جبرائيل فقال تركته في السماء الدنيا والملائكة يعزونه فلم يلبث ساعة حتى هبط جبرائيل عليه السلام وجلس عند رأسه فقال ﷺ ألم تعلم أن الأمر قد قرب فقال بلى يا رسول الله قال ﷺ بشرني ما لي عند الله من الكرامة فقال إن أبواب السماء قد فتحت والملائكة صفوا صفوفاً ينتظرون في السماء لروحك الشريفة وأبواب الجنان قد فتحت والحور كلها قد تزينت ينتظرون لروحك فقال ﷺ الحمد لله ثم قال بشرني يا جبرائيل كيف يكون أمتي يوم القيامة قال أبشرك أن الله تعالى قال إني حرمت الجنة على سائر الأنبياء حتى تدخلها أنت وحرمتها على سائر الأمم حتى تدخلها أمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبي وزال غمي ثم قال عليه السلام يا ملك الموت ادن مني فدنا يعالج قبض روحه فلما بلغ الروح منه السرة قال عليه السلام ياجبرائيل ما أشد مرارة الموت فولى جبرائيل وجهه عنه فقال عليه السلام يا جبرائيل أكرهت النظر إلى وجهي فقال يا حبيب الله من يطيق قلبه أن ينظر إلى وجهك وأنت في سكرات الموت قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه كان روح النبي عليه السلام في صدره وهو يقول أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم فما برح يوصي بهما حتى انقطع كلامه وقال علي رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر نفسه حرك شفتيه مرتين فالقيت سمعي فسمعته يقول خفية أمتي أمتي فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول

فلو كانت الدنيا تدوم لواحد   لكان رسول الله فيها مخلداً

وروي أن علياً وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام على السرير ليغسله فإذا بهاتف يهتف من زاوية البيت بأعلى صوت لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر مطهر فوقع في نفسه شيء من ذلك فقال علي من أنت فإن النبي أمرنا بذلك فإذا بهاتف آخر ينادي يا علي اغسله فإن الهاتف الأول كان إبليس عليه اللعنة حسداً على محمد وقصد أن لا يدخل محمد قبره مغسولاً فقال علي جزاك الله خيراً إذ أخبرتني أن ذلك إبليس عليه اللعنة فمن أنت قال أنا الخضر

حضرت جنازة محمد عليه السلام فغسله علي رضي الله تعالى عنه وصب الماء فضل بن عباس وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهم أجمعين وجبرائيل عليه السلام جاء بحنوط من الجنة وكفنوه ودفنوه في حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها ليلة الأربعاء وسط الليل وقيل ليلة الثلاثاء وهي قائمة على قبر النبي عليه السلام وتقول يا من لم يلبس الحرير . ولم ينم على الفرش الوثير . يا من خرج من الدنيا ولم يشبع بطنه من خبز الشعير . يا من اختار الحصير على السرير . يا من لم ينم طول الليالي من خوف السعير .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصَابُ ﴾ اي الأصنام التي نصبت للعبادة ﴿ وَالأَزْلَامُ ﴾ سبق تفسيره في أوّل السورة ﴿ رِجْسٌ ﴾ قذر تعاف منه العقول وإفراده لأنه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أو خبر لمضاف محذوف كأنه قال إنما تعاطي الخمر والميسر ﴿ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه ﴿ فَاجْتَنِبُوْهُ ﴾ الضمير للرجس او لما ذكر أو للتعاطي ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ ﴾ لكي نفلحوا بالاجتناب عنه وأعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بأن صدَّر الجملة فإنما وقرنهما بالأنصاب والأزلام وسماهما رجساً وجعلهما من عمل الشيطان تنبهاً على أن الأشتغال بهما شرٌّ بحت أو غالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سبباً يرجي منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين مافيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم (قاضي) .

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم إذا صلى المؤمن عليَّ قبض تلك الصلاة ملك بإذن الله تعالى وبلغها إلى قبري فيقول الملك يا محمد إن فلان ابن فلان من أمتك صلى عليك فأقول بلغه مني عشر صلوات وقل له حلت شفاعته لك ثم يصعد الملك حتى ينتهي إلى العرش فيقول يا رب إن فلان ابن فلان صلى على حبيبك محمد مرة فيقول الله تعالى بلغه مني عشر صلوات ثم يخلق الله تعالى من صلاته بكل حرف ملكاً له ثلاثمائة وستون رأساً وفي كل رأس ثلاثمائة وستون وجهاً وفي كل وجه ثلاثمائة وستون فماً وفي كل فم ثلاثمائة وستون لساناً يتكلم بكل لسان ويثني على الله تعالى

بثلاثمائه وستين نوعا فيكتب ثواب ذلك للمصلي على النبي عليه السلام إلى يوم القيامة . روي أن نوحاً عليه السلام لما غرس الكرمة ولم تخضر جاء إبليس عليه اللعنة فقال يا نبي الله إن أردت أن تخضر الكرمة فدعني أذبح عليها سبعة أشياء فقال افعل فذبح أسداً ودباً ونمراً وابن آوى وكلباً وديكاً وثعلباً وصب دماءهم في أصل الكرمة فاخضرت من ساعتها وحملت الكرمة من العنب سبعين لوناً وكانت تحمل من قبل لوناً واحداً فلذلك كان شارب الخمر شجاعاً كالأسد وقوياً كالدب وغضبان كالنمر ومحدثاً كابن آوى ومقاتلاً كالكلب ومتقلباً كالثعلب ومصوتاً كالديك (حياة القلوب) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها حين يشرب وهو مؤمن » (رواه البخاري) قوله وهو مؤمن الواو للحال تقديره هو حال كونه شارب الخمر ليس بمؤمن عند الشافعي لأن العمل جزء من الإيمان الكامل عنده وعندنا ليس بجزء في مطلق الإيمان ولا من الإيمان الكامل فلذلك كان تارك العمل مؤمناً عندنا لأنه سئل رسول الله عن قوله لا يشرب الخمر شاربها حين يشرب وهو مؤمن فأدار دائرة واسعة في الأرض ثم أدار في وسط الدائرة دائرة أخرى فقال الدائرة الأولى للإسلام والدائرة الثانية للإيمان فإن شرب العبد أو زنى أو سرق خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ولا يخرج من دائرة الإسلام إلا بالشرك نعوذ بالله تعالى . اعلموا أيها الإخوان أن الإيمان والإسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ أي من المغبونين لأنه اختار منزلة النار بدل منزلة الجنة . وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » رواه الطبراني . وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر نزع الله عنه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » رواه الحاكم . روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه السلام : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا فرغ من ذلك العمل رجع إليه الإيمان » رواه البخاري . قال الفقيه أبو الليث إياك وشرب الخمر فإن في شربها عشر خصال مذمومة . أولاها أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير ضحكة للصبيان ومذموماً عند العقلاء . والثانية أنها مذهبة للعقل ومتلفة للمال . والثالثة أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء . والرابعة أن شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة . والخامسة أن شربها يحمله على الزنا لأنه إذا شرب الخمر يمكن أن يطلق امرأته وهو لا يشعر . والسادسة أنها مفتاح كل شر لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصي . والسابعة أنها

تؤذي حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق . والثامنة أنه وجب عليه الحد ثمانين جلدة وإن لم يضرب في الدنيا يضرب في الآخرة بسوط من نار على رؤوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء . والتاسعة أنه أغلق باب السماء على نفسه لأنه لا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوماً . والعاشرة أنه مخاطر يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته فهذه العقوبات في الدنيا قبل موته وقبل أن ينتهي إلى عقوبات الآخرة فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة على لذة طويلة . وروي عن أبي أمامة عن النبي عليه السلام أنه قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق السحرة ومن مات مدمن الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجري من فروج الزانيات يؤذي أهل النار من نتن ريحه » رواه أحمد وابن عدي . وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله عليه السلام : « من شرب الخمر فلا تزوجوه وإن مرض فلا تعودوه وإن مات فلا تصلوا عليه فوالذي بعثني بالحق نبياً ما شرب الخمر إلا ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ومن أطعمه لقمة سلط الله على جسده حية وعقرباً ومن قضى حاجته فقد أعانه على هدم الإسلام ومن أقرضه فقد أعانه على قتل مؤمن ومن جالسه حشره الله يوم القيامة اعمى لا حجة له ـ الحديث » .

وقيل الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس بغير حق وشرب الخمر والزنا واللواطة وقذف المحصنين والمحصنات بالزنا وعقوق الوالدين المسلمين بقول أو بفعل والفرار من الزحف من رجل واحد أو رجلين في الحرب وأكل مال اليتيم ظلماً وشهادة الزور وأكل الربا وفطر رمضان بغير عذر عامداً ومقاطعة الرحم واليمين الفاجرة وأكل أموال الناس ظلماً والنقص في الكيل والميزان وتقديم الصلاة على وقتها وضرب المسلم بغير حق وشتم النبي عليه السلام والكذب على النبي متعمداً وكتمان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة وقتل نفسه أو قطع عضو من أعضائه والدياثة والسعاية بين الرجل والمرأة والسعاية عند الظالم والسحر ومنع الزكاة والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والوقيعة في أهل العلم وإحراق الحيوان بالنار وامتناع المرأة من زوجها بلا سبب فكلها كبائر . وروي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي عليه السلام يقول : « اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة سوء فأرسلت إليه خادماً فقال إنا ندعوك للشهادة فدخل فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى إذا أفضى أي بلغ إلى امرأة جالسة وعندها غلام وزجاجة فيها خمر فقالت إنا لم ندعك للشهادة ولكن ندعوك لقتل هذا الغلام أو تقع عليَّ أو تشرب كأساً من الخمر فإن أبيت صحت بك وفضحتك قال : فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال اسقني كأساً من الخمر فسقته كأساً من الخمر فزال عقله حتى وقع عليها أي جامعها وقتل الغلام . فاجتنبوا الخمر فإنه لا يجتمع إيمان وإدمان الخمر في صدر الرجل أبداً إلا ويوشك

أحدهما أن يخرج صاحبه رواه ابن حبان في صحيحه » . أما سمعت قصة برصيصا لعن أي بعد عن رحمة الله تعالى بسبب شرب الخمر وذلك أن برصيصا عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان له ستون ألفاً من تلاميذه يمشون في الهواء ببركة عبادته حتى تعجب الملائكة من عبادته قال الله تعالى ما تعجبون منه إني أعلم ما لا تعلمون إن برصيصا في علمي يكفر ويدخل النار أبد الآبدين يشرب الخمر فسمع إبليس عليه اللعنة ذلك القول فعلم أن هلاكه في يده فجاء إلى صومعته على صورة عابد قد لبس المسح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد قال أنا عابد جئت إليك لأكون عوناً على عبادتك لله تعالى فقال من أراد عبادة الله تعالى فالله يكفي صاحبها فقام إبليس يعبد الله تعالى ثلاثة أيام لم ينم ولم يأكل ولم يشرب قال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لا تأكل ولا تشرب واني عبدت مائتين وعشرين سنة ولم أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس أنا أذنبت ذنباً فمتى ذكرته سقط عني النوم والأكل والشرب قال برصيصا ما حيلتي حتى أكون مثلك قال اذهب فاعص الله ثم تب إليه فإنه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال أي شيء أفعل قال الزنا قال لا أفعله قال اقتل مؤمناً قال لا أفعله قال اشرب الخمر المسكر فإنه أهون وخصمك الله قال أين أجده قال اذهب إلى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشترى منها الخمر فشرب وسكر وزنى فدخل عليها زوجها فضربه وقتله ثم إن إبليس تمثل في صورة إنسان وسعى به إلى السلطان فأخذوه وجلدوه للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر له بالصلب لأجل الدم فلما صلب جاء إبليس إلى برصيصا في تلك الصورة قال كيف حالك قال من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا قال إبليس كنت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت أنزلتك قال أريد وأعطيك ما تريد قال اسجد لي سجدة واحدة قال لم أقدر أن أسجد لك على الخشب قال اسجد بالإيماء فسجد وكفر بالله وخرج من الدنيا بلا إيمان نعوذ بالله تعالى (حياة القلوب) روي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا أي سكروا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد بلا لام فنزلت ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ الآية ثم كانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل في تحريمها قوله ﴿ إنما الخمر والميسر ﴾ الآية ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم (كشاف) وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت ﴿ إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم

اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ﴾ الآية يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقول هل لك على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح وليس على أحد جناح في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً محسناً تريد أن زيداً تقي محسن وأنه غير مؤاخذ فيما فعل (من تفسير كشاف ملخصاً)

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَي آدَمَ ﴾ قابيل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأم الآخر فسخط منه قابيل لأن توأمه كانت أجمل فقال لهما آدم عليه السلام قربا قرباناً فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطاً وفعل ما فعل ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من ضمير اتل او من نبأ ابني آدم اي ملتبساً بالصدق موافقاً لما في كتب الأولين ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً ﴾ ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف المضاف اي أتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أرد أقمح عنده وهابيل صاحب درع وقرب جملاً سميناً ﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ لأنه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية في قربانه وقصدها هابيل إلى أحسن ما عنده ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ في جوابه اي إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ؟ وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلاّ من مؤمن متق (قاضي)

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه السلام انه قال : « لقيت جبرائيل فقال إلي

أبشرك أن الله تعالى يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه وقال عليه الصلاة والسلام من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي يوم القيامة » (شفاء شريف) قوله ابني آدم قيل لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وإنما هما رجلان من بني إسرائيل ولذا قيل في حقهم ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل ـ الآية ﴾ لكن الصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنهما من صلبه يدل عليه قوله تعالى ﴿ فبعث الله غراباً ﴾ الآية لأن القاتل لم يدر ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب (تفسير الخازن) قيل عمد هابيل إلى كبش أحسن ما في غنمه فقرّبه وأضمر في نفسه رضاء الله تعالى وقابيل قرّب أردأ قمح عنده فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت من السماء نار فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فغضب قابيل على هابيل وأضمر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم عليه السلام إلى مكة لزيارة البيت وغاب عنهما فقصد قابيل هابيل وهو في غنمه وقال لأقتلنك قال هابيل لم تقتلني ؟ قال إن الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس أنك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي (تفسير الخازن) وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم في الكتب الأول إن آدم عليه السلام كان تغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته ولم تجد عليهما وحما ولا صبا ولا طلقا ولم تدر ما وقت الولادة فلما هبطا إلى الأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمه فوجدت الوحم والوصب والطلق والدم وكان الرجل منهم يزوج ابنته لأي أخوانها شاء غير توأمها التي ولدت معه فلما كبر قابيل وهابيل وكان بينهما سنتان أمر الله تعالى آدم عليه السلام أن يزوج قابيل ليوذا ويزوج هابيل أقليما أخت قابيل وكانت أقليما أحسن من ليوذا فبلغ آدم عليه السلام ذلك ورضي هابيل وسخط قابيل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض إلى آخر القصة (تفسير الخازن) ذكر في الأخبار أن حواء كانت تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاماً وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قابيل وتوأمه أقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمه أمة المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس لم يمت آدم عليه السلام حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم عليه السلام حواء بعد إهباطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمه أقليما في بطن ثم هابيل وتوأمه ليوذا في بطن (تفسير الخازن) وعن ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس عليه اللعنة وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر وأسقط حجراً آخر عليه وقابيل ينظره فعلمه القتل ففعل مثله وقيل فعله وهابيل نائم واختلفوا في موضع قتله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على جبل ثور

. . . .

وقيل عند عقبة جبل حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم (تفسير الخازن) فلما قتله أصبح من النادمين على قتله لما كانْ فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل ولتعلمه من الغراب أسود لونه وتبرأ أبوه منه إذ روي أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عليه الصلاة والسلام عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته فلذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله (قاضي) قيل هرب بعده إلى عدن من أرض اليمن فأدركه إبليس عليه اللعنة فقال إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه يعبد النار فاصنع أنت مثل ذلك ففعل فهو أول من اتخذ آلات اللهو وانهمك في المعاصي من شرب الخمر وعبادة الأوثان والزنا وغيرها من الفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في أيام نوح عليه السلام ومن ارتكب مثل تلك الأفعال حشر مع قابيل وأولاده يوم القيامة (رونق المجالس) وفي الحديث لا تقتل نفس ظلماً إلا وعلى قابيل كفل أي نصيب من دمها فإنه أول من سنّ القتل وكذا قيل إن أول من حسد في السموات كان إبليس عليه اللعنة فجرى عليه ما جرى وأول من حسد في الأرض كان قابيل حيث حسد أخاه هابيل فجرى عليه ما جرى ويكفي في النصيحة للعاقل حالهما . قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن لنعم الله تعالى أعداء قيل من هم يا رسول الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » . قال بعض الحكماء أمهات الخطايا ثلاثة الحسد والحرص والكبر . أما الكبر فكان أصله من إبليس حيث تكبر وأبى من السجدة فلعن . وأما الحرص فكان أصله من آدم عليه السلام حيث قيل له الجنة كلها مباح لك إلا هذه الشجرة فحمله الحرص فأخرج منها . وأما الحسد فكان أصله من قابيل حيث قتل أخاه هابيل فصار كافراً بسبب حسده وكذا قال الفقيه أبو الليث ثلاثة لا تستجاب دعوتهم آكل الحرام ومكثار الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين . وعن عطية بن عوذة السعدي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ . وقال عليه السلام إن فيكم من يكون سريع الغضب سريع الفيء وفيكم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء فخيركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء وشركم من كان سريع الغضب بطيء الفيء » (زبدة الواعظين) اعلم أن للحاسد ثمان آفات . الأولى إفساد الطاعة إذ روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والعشب أو يؤديه إلى الكفر » . والثانية الإفضاء إلى فعل المعاصي إذا الحاسد لا يخلو عن الغيبة والكذب والسب والشماتة عادة (طب) عن ضمرة بن ثعلبة أنه قال لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا . والثالثة حرمان الشفاعة (طب) عن عبد الله بن بشر عن

النبي عليه السلام أنه قال : « ليس مني ذو حسد ولا ذو نميمة ولا ذو كهانة ولا أنا منهم ثم تلا عليه السلام هذه الآية » ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ والرابعة دخول النار (ديلمي) عن ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم أنه قال عليه السلام ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل من هم يا رسول الله قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد . والخامسة الإفضاء إلى إضرار الغير فلذا أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم حيث قال ومن شر حاسد إذا حسد . وقال النبي عليه السلام استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود . والسادسة التعب والهم من غير فائدة بل مع وزر ومعصية . قال ابن السماك لم أر ظالماً بالمظلوم من الحاسد نفس ذائم وعقل هائم وغم لازم . والسابعة عمه القلب حتى يكاد لا يفهم حكماً من أحكام الله تعالى ، قال سفيان لا تكن حاسداً تكن سريع الفهم . والثامنة الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده وينصر على عدوه فلذا قيل الحسود لا يسود (طريقة محمدية)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوارِيِّينَ﴾ أي أمرتهم على ألسنة رسلي ﴿ أَنْ آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة ﴿ قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُوْنَ﴾ مخلصون ﴿ إِذْ قَالَ الحَوارِيُّونَ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيهاً على أن ادِّعاءهم الإخلاص مع قولهم ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الإستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللهَ﴾ من أمثال هذا السؤال ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِيْنَ﴾ بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادِّعاء الإيمان ﴿ قَالُوا نُرِيْدُ أن نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوْبُنَا﴾ بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال

بكمال قدرته ﴿ وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ في ادّعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً ﴾ اي يكون يوم نزولها عيداً نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيداً ﴿ لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ بدل من لنا بإعادة العامل أي عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا ﴿ وَآيَةً ﴾ عطف على عيداً ﴿ مِنْكَ ﴾ صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي ﴿ وَارْزُقْنَا ﴾ المائدة والشكر عليها ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أي خير من يرزق لأنه خالق الرزق ﴿ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ إجابة إلى سؤالكم ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً ﴾ أي تعذيباً ﴿ لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً ﴾ الضمير للمصدر أو للعذاب ﴿ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ اي عالمي زمانهم العالمين مطلقاً (قاضي).

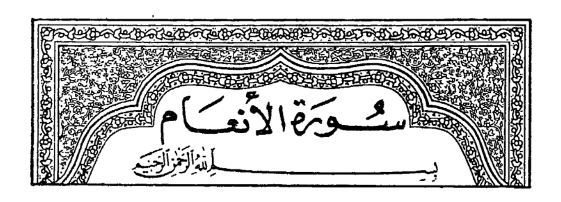
روي في الأخبار ثلاثة أشياء لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة أحدها الصلاة بلا خضوع وخشوع والثاني الذكر بالغفلة لأن الله تعالى لا يستجيب دعاء قلب غافل والثالث الصلاة على النبي عليه السلام من غير حرمة ونية كما قال عليه السلام إنما الأعمال بالنيات (زبدة) . روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا لو عملنا لأحد فقضينا لأطعمنا ثم سألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها . عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من أثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء واختلف في أن عيسى سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وإن كان أضافها إلى نفسه في الظاهر ولكن كلاهما يحتمل طلب نزولها (نيسابوري) قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد وهو قوله تعالى ﴿ فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه ﴾ الآية خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت كما روي أن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس صوفاً وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره ثم دعا بما دعا وأجيب بما أجيب وإذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام

وتوضأ وصلى وبكى ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رئيس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اية أخرى فقال يا سمكة أحيي بإذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوماً غباً يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غني مدة عمره ولا مريض إلا بريء ولن يمرض أبداً ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة والحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤ وسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا . يا أيها الإخوان سأل قوم عيسى عليه السلام طعاماً فاسألوا عقيب صومكم رحمة الله ومغفرته وإنما سمي العيد عيداً لأنه يعود في السنة مرتين ولهذا روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى إلى الملائكة يا ملائكتي إن كل عامل يطلب أجره وعبادي الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أني قد غفرت لهم فينادي المنادي يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيآتكم بالحسنات من فضل الله تعالى كما قال عليه السلام إذا كان يوم الفطر وخرج الناس الى المصلى وسجدوا لربهم يقول الله تعالى يا عبادي لي صمتم ولي أفطرتم ولي صليتم فقوموا مغفورا لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اجتهدوا يوم الفطر في الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة وأكثروا التسبيح والتهليل فإنه اليوم الذي يغفر الله فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة والمغفرة » . قال وهب ابن منبه يحزن إبليس في كل عيد فيجتمع عنده الأباليس فيقولون يا سيدنا من أغضبك من

. . . .

السماء أو من الأرض حتى نكسره فيقول لا ولكن الله غفر لهذه الأمة في هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم بـاللذات المحظورات وشـرب الخمر حتى يبغضهم الله فيعـذبهم (كذا في الـزبدة) وعليك بالعمدة فتخرج من أداء ما في العهدة وتدخل في سرير الجنة





سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ أي عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله تعالى وقرأ يعقوب عشراً بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ قضية للعدل ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب. (قاضي بيضاوي)

روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: « من صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) أخرج (م) عن أبي هريرة وأبي أيوب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله وهو معنى قوله تعالى » ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ لأن السنة ثلاثمائة وستون يوماً وصوم رمضان ثلاثون يوماً وهو يعدل ثلاثمائة يوم فبقي ستون يوماً فإن صام ستا من شوال وهو تعدل ستين وقد أكمل السنة وهي معنى قوله عليه السلام من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله. وحكي عن بعض كراهته حذرا من التشبه بأهل الكتاب في زيادتهم على الفرض وأجيب عنه بأنه قد زال التشبيه بفضل يوم الفطر ولأن الأول فرض والآخر نافلة (درة الواعظين) روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من شوال فمن صام تلك الستة كتب الله تعالى له بعدد كل خلق من خلقه حسنة ويمحو عنه سيآته ويرفع درجاته ». قال النبي عليه الصلاة والسلام: « إن للميت ستمائة عضو على

كل عضو من أعضائه ألف غم إلا على القلب فإنه موضع المعرفة فمن صام هذه الستة هون الله عليه سكرات الموت كشرب الماء البارد للعطشان (درة الواعظين) قيل من غرس شجرة رجاء لثمراتها يسقيها عند زمانها فعلامة إمساكها غسلت أوراقها فإذا اخضرت ومضى مدة ثم أصابها حر الشمس وجفت أوراقها علم أنها لم تمسك وإذا لم تجف أوراقها بل زادت علم أنها تمسك فكذا حال العبد في رمضان يسارع إلى الصوم والصلاة والخيرات رجاء لقبولها ببركة رمضان فعلامة قبولها أن «يكون العبد بعد رمضان على الطاعات والعبادات (حياة القلوب) وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت بمكة ثلاث سنين فكان رجل من أهل مكة يجيء إلى البيت الحرام كل يوم عند الظهر ويطوف بالبيت ويصلي ثم يسلم عليّ ويرجع حتى ألفت به وألفني فمرض يوماً ودعاني وقال لي إذا مت فاغسلني بنفسك وصل عليّ وادفني ولا تتركني في تلك الليلة فريداً في قبري وبت عند قبري ولقني التوحيد حين سؤال منكر ونكير فضمنت له فلما فعلت ما أمرني به وبت عند قبره فكنت بين النوم واليقظة إذ سمعت منادياً يا سفيان فلا حاجة له إلى حفظك وتلقينك فقلت بماذا قال بصيام رمضان وتباعه ستاً من شوال فاستيقظت فلم أر أحداً فتوضأت وصليت حتى نمت ثم رأيت ذلك ثلاث مرات فعرفت أنه من الرحمن لا من الشيطان الرجيم فانصرفت من عند قبره وأنا أقول اللهم وفقني لصيام رمضان وإتباعه ستا من شوال فوفقني الله الكبير المتعال (بدر الدرر) (حق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفرار أي من فرغ من الصوم ثم رجع إليه يكون كمن هرب من القتال ثم عاد إليه والمراد أن يصوم ستاً من شوال ولهذا كان الشعبي يقول صوم يوم بعد رمضان أحب إلى من صوم الدهر كله (مناوي) عن عبد الوهاب أنه قال السر في مشروعية الصوم في هذه الأيام أن النفس ربما اقبلت بهمتها على الشهوات في يوم العيد وحصل لها فيه شيء من الغفلة والحجاب فكانت هذه الستة كأنها جوابر لما نقص من الأداء والخلل في صوم رمضان كالسنن التابعة للفرائض أو السجود للسهو وكيفيتها أنها متوالية وقد قال بعض العلماء المحققين وزمرة الواصلين الأفضل أن يكون صيام الستة متوالياً غير متفرق لأن المتوالي أقرب في جلاء الباطن من المتفرق ولذا قال سيد على زاده ينبغي في صوم هذه الستة ما ينبغي في صوم رمضان بل هي أشد منه لأنها جوابر والكلام في أفضليته فإن فرّقها وأخرها عن أوائل الشهر حصلت له فضيلة الاتباع (صط) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه السلام : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (كذا في الترغيب والترهيب) عن كعب الأحبار أنه قال مرضت فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاء علي إلى منزلها فقال يا فاطمة ما يريد قلبك من حلوات الدنيا فقالت يا علي اشتهي رماناً فتفكر ساعة

لأنه ما كان معه شيء ثم قام وذهب إلى السوق واستقرض درهماً واشترى به رمانة فرجع إليها فرأى شخصاً مريضاً مطروحاً على قارعة الطريق فوقف علي فقال له ما يريد قلبك يا شيخ فقال يا علي خمسة أيام هنا وأنا مطروح ومرّ الناس عليّ ولم يلتفت أحد إليّ يريد قلبي رماناً فتفكر في نفسه ساعة فقال لنفسه اشتريت رمانة واحدة لأجل فاطمة فإن أعطيتها لهذا السائل بقيت فاطمة محرومة وإن لم أعطه خالفت قوله تعالى ﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تردّوا السائل ولو كان على فرس فكسر الرمانة فأطعم الشيخ فعوفي في ساعته وعوفيت فاطمة رضي الله تعالى عنها وجاء علي وهو مستحي فلما رأته فاطمة رضي الله تعالى عنها قامت إليه وضمته إلى صدرها فقالت أما إنك مغموم فوعزة الله تعالى وجلاله إنك لما أطعمت ذلك الشيخ الرمانة زال عن قلبي اشتهاء الرمان ففرح علي بكرمها فأتى رجل فقرع الباب فقال علي من أنت فقال أنا سلمان الفارسي افتح الباب فقام علي وفتح الباب ورأى سلمان الفارسي وبيده طبق مغطى رأسه بمنديل فوضعه بين يديه فقال علي ممن هذا يا سلمان فقال من الله إلى الرسول ومن الرسول إليك فكشف الغطاء فإذا فيه تسع رمانات فقال يا سلمان لو كان هذا إليّ لكان عشراً لقوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ فضحك سلمان فأخرج رمانة من كمه فوضعها في الطبق فقال يا علي والله كانت عشراً ولكن أردت بذلك أن أجرّبك (روضة المتقين) والحكمة في تضاعف حسنات هذه الأمة ثلاثة أشياء . أحدها أنه كان أعمار الأمم الماضية طويلة وطاعتهم كثيرة وأعمار هذه الأمة قصيرة فكانت طاعتهم قليلة وفضل الله هذه الأمة على الأمم السالفة بتضعيف الأعمال وتفضيل الأوقات وليلة القدر لتكون طاعتهم أكثر من طاعات الأمم الماضية كما روي أن موسى عليه السلام قال يا رب إني وجدت في التوراة أمة تكتب حسناتهم عشراً وسيآتيهم مثلاً فاجعلهم أمتي قال الله تعالى يا موسى تلك أمة محمد تجيء في آخر الزمان . والثاني درجات الجنة تستحق بطاعة خالصة من غير تقصير وطاعة هذه الأمة مع التقصير فوضع الله تعالى أضعافاً من فضله وكرمه ليكون تقصير طاعة هذه الأمة كاملاً بالأضعاف حتى يعلم أنهم ينالون درجات الجنة بالأضعاف . والثالث وضع الأضعاف فإن الخصماء يوم القيامة يتعلقون بخصومهم فيذهبون بأعمالهم فيبقى لهم الأضعاف فيقول الخصم يا رب أعطني من أضعافه فيقول الله تعالى إنها ليست من فعله بل هي من رحمتي وأنا لا أقبض منه رحمتي بل أعطيتك فعله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة (روضة العلماء) حكاية قال عبد الله بن المبارك حججت سنة من السنين فكنت في حجر اسماعيل ونمت فيه فرأيت في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال : « إذا رجعت إلى بغداد فادخل في محلة كذا واطلب بهرام المجوسي واقرأ عليه مني السلام وقل له إن الله تعالى عنك راض فانتبهت وقلت

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذه رؤ يا من الشيطان فتوضأت فطفت بالكعبة ما شاء الله فغلبني النوم فرأيت كذلك ثلاث مرات فلما تم الحج رجعت إلى بغداد فدخلت تلك المحلة فطلبت دار بهرام المجوسي فوجدت شيخاً كبيراً فقلت أنت بهرام المجوسي قال نعم قلت هل لك عند الله خير قال نعم أسلفت الناس سلفاً جديداً بين الناس وهذا عندي خير فقلت هذا حرام عند محمد عليه السلام فقلت هل لك خير غير ذلك قال نعم كان لي أربع بنات وأربعة بنين فزوجتهن من أبنائي فقلت هذا أيضاً حرام ثم قلت هل عندك خير غير ذلك قال نعم جعلت وليمة للمجوس وقت تزويج البنات لأبنائي فقلت هذا أيضاً حرام فقلت هل عندك غير ذلك قال نعم كان عندي بنت من أجمل النساء ما وجدت لها كفؤاً فزوجتها من نفسي وجعلت وليمة لك الليلة وكان في تلك الليلة من المجوس أكثر من الألف فقلت هذا أيضاً حرام هل عندك غير ذلك قال نعم ليلة من الليالي وطئت ابنتي على فراشي فجاءت امرأة مسلمة من أهل دينك تسرج من سراجي فأوقدت السراج فخرجت وأطفأت السراج ثم دخلت ثانياً وأوقدت السراج وخرجت ثم اطفأته فقلت في نفسي لعل هذه جاسوسة لصوص فخرجت خلفها فدخلت منزلها فرأيت لها أربع بنات فلما دخلت قلن لها يا أماه هل جئت لنا بشيء فإنه لم يبق لنا طاقة وصبر على الجوع فدمعت عيناها وقالت لهن استحييت من ربي أن أسأل شيئا من أحد دونه وأطلب حاجة من عدو الله تعالى وهو مجوسي قال بهرام فلما سمعت كلامها رجعت إلى داري فأخذت طبقاً وجعلته ملآنا من كل شيء فذهبت به بنفسي إلى دارها وأعطيتها إياها ففرحت قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه قلت هو هذا الخير ولك البشارة وبشرته بالرؤ يا التي رأيتها وقصصت عليه الرؤ يا قال بهرام المجوسي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فخر من ساعته ومات فلم أبرح حتى غسلته وكفنته وصليت عليه وكان عبد الله بن المبارك يقول يا عباد الله استعملوا السخاوة مع خلق الله تعالى فانه ينقل الأعداء إلى درجة الأحباء وله الملك في الأرض والسماء غفر الله لنا بحق أعظم الأسماء وبحرمة معاشر الأنبياء (زبدة) قال النبي عليه الصلاة والسلام إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل .

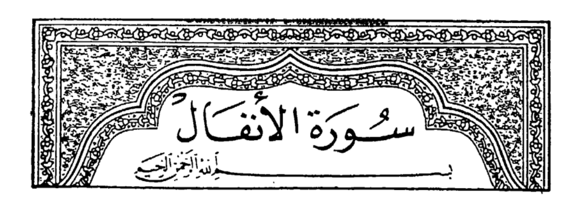


﴿ ادْعوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ أي ذوي تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل على الإخلاص ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي ﷺ سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين (قاضي) .

وعن أمية بن خالد بن عبدالله بن أسد أن رسول الله ﷺ كان يستفتح أي يطلب الفتح والظفر على الكفار من الله بصعاليك المهاجرين أي بفقرائهم يعني ببركة دعائهم بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحرمة عبادك الفقراء المهاجرين وهذا يدل على تعظيم الفقراء والرغبة في دعائهم والتبرك بوجودهم (من حسان المصابيح) وقع في ترغيبات الأبرار قوام الدنيا بأربعة أشياء بعلم العلماء وبعدل الأمراء وبسخاء الأغنياء وبدعاء الفقراء ولولا العلماء لهلك الجهلاء ولولا عدل الامراء لأكل الناس بعضهم بعضاً كما يأكل الذئب الغنم ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ولولا دعاء الفقراء لخربت السموات والأرض (موعظة) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابة لا شك فيهنّ دعوة الوالد لولده ودعوة المسافر ودعوة

المظلوم حتى روي عن النبي عليه الصلاة والسلام اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء يقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين يعني لا أضيع حقك ولا أرد دعاءك ولو مضى زمان طويل لأني حليم لا أعجل عقوبة العباد فلعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة (مجالس) قيل في فضيلة الدعاء أن منصور بن عمار كان يعظ الناس فقام سائل فطلب أربعة دراهم فقال منصور من يعطيه ما سأله حتى أدعو له أربع دعوات فكان مملوك أسود في طرف المسجد وكان سيده يهودياً وكان معه أربعة دراهم جمعها فقام وقال أيها الشيخ أنا أعطيت أربعة دراهم على شرط أن تدعو لي أربع دعوات كما أقول وأريد فقال نعم فأعطاه وقال يا شيخ أنا مملوك فادع لي بالعتق ومولاي يهودي فادع له بالإسلام وأنا فقير فادع لي بالغنى حتى يغنيني الله من فضله عن خلقه وادع الله لي أن يغفر لي ذنوبي فدعا له فلما رجع رأي مولاه فأخبره بالقصة فاستطاب اليهودي ذلك وقال قد أعتقتك من مالي وإلى الآن كنت مولاك فأنت اليوم مولاي فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قد شاركتك في جميع مالي وأما الحاجة الرابعة أعني الغفران فهو ليس في يدي وإلا كنت أغفر الجميع فسمع هاتفاً يقول من السماء من زاوية البيت قد أعتقتكما من النار وغفرت لكما والمنصور معكما (رونق المجالس) قيل الدعاء من أقوى الأسباب في رفع المكروه وحصول المرام ولكن قد لا يتحقق أثره إما لضعفه لنفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله تعالى لما فيه من العدوان وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله تعالى وجمعيته عليه وقت الدعاء وإما الحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو والهوى كما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « واعلموا أن الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب غافل » (من المواهب) قيل أربعة أشياء تزيد في العمر : الأول تزوج الأبكار ، والثاني النوم على الشمال ، والثالث الاغتسال بالماء الحار ، والرابع أكل التفاح بالأسحار . حكي أنه كان رجل من الصالحين قد ضاق حاله من القوت والنفقة وكانت له امرأة فقالت لزوجها أدع الله يوسع علينا الدنيا فدعا الرجل فدخلت المرأة الدار فرأت في الزاوية لبنة من ذهب فأخذتها فقال الرجل انفقي كيف شئت فرأى الرجل في النوم أنه دخل الجنة فرأى قصراً قد نقص بمقدار لبنة قال لمن هذا ؟ فقيل لك فقال أين هذه اللبنة ؟ قيل بعثناها اليك ، فانتبه الرجل فقال للمرأة هاتي اللبنة فأخذها ووضعها عند رأسه ودعا فقال إلهي قد رددتها اليك فردها الله تعالى إلى موضعها ، وكذا قيل ما أخذ أحد لقمة من الدنيا إلا وقد نقص الله تعالى حصته من الآخرة كما قال الله تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ قال عمر رضي الله عنه رأيت رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذاهو مضطجع على حصير وقد أثر الحصير في جنبيه فقلت يا رسول الله أدع الله يوسع الدنيا عليك فإن ملوك فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال ﷺ قد أدخر هذا لنا يا ابن الخطاب وهؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في الدنيا . وفي رواية أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ وعن عمر بن شعيب أنه قال قال : « رسول الله ﷺ خصلتان من كانتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على ما تفضل الله به عليه كما قال الله تعالى ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ وعن شقيق الزاهد رحمة الله عليه أنه قال اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (زبدة الواعظين) .



﴿ إنما المُؤْمِنُونَ ﴾ أي الكاملون في الإيمان ﴿ الذِّينَ إذَا ذُكِرَ اللهِ وجَلَتْ قُلُوبُهُمْ فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وَقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه وقرىء وجلت بالفتح وهو لغة وفرقت أي خافت ﴿ وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إيمَاناً ﴾ لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الدلائل أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُون الصلاَةَ وَمِما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أولئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقاً ﴾ لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التيْ هي المعيار عليها كالصلاة والصدقة وحقاً صفة مصدر محذوف أي إيماناً حقاً أو مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ كرامات وعلو منزلة وقيل درجات يرتقونها بأعمالهم ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ لما فرط منهم ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ أعدلهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أبداً .

(قاضي بيضاوي)

عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب » (شفاء شريف) عن الحسن

البصري أنه قال رأيت أبا عصمة في المنام فقلت ما فعل الله بك ؟فقال غفر لي ربي فقلت بم ؟ قال ما ذكرت حديثه إلا صليت على النبي عليه السلام (زبدة) قوله إنما يفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (تفسير الخازن) قوله وجلت قلوبهم أي خافت قال أهل الحق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمته تعالى فيخافونه أشد الخوف ؛ أما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن إذا ذكر الله عز وجل وجل قلبه على قدر رتبته في ذكرالله تعالى (تفسير الخازن) قوله زادتهم إيماناً المعنى أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك إيماناً وتصديقاً لأن زيادة الإيمان بزيادته وذلك على وجهين : الأول هو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدي أنه قال كلما كانت الدلائل أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد إيمانه . والثاني أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الإقرار تصديقاً وإيماناً (تفسير الخازن) قوله أولئك هم المؤمنون حقاً : فيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً أو أنا مؤمن إن شاء الله أولاً ؟ فقال الإمام أبو حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين : الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسألة يجب فيها أن يقول المؤمن أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله . والثاني أن الله تعالى قال ﴿ أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾ قد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقاً وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله به وذلك لا يجوز (تفسير الخازن) قوله ومما رزقناهم ينفقون : عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلايا أهونها البرص . قوله » ﴿ لهم درجات ﴾ يعني مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فبهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال (وقال عط) درجات الجنة يرزقون فيها بأعمالهم (ت) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة وإن ما بين الدرجتين مائة عام » . وعن سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله

وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم » (خازن) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال هو ذكر الله تعالى » (مصابيح) قيل وإنما كان ذكر الله تعالى أرفع من سائر العبادات كلها لأن سائر العبادات وسيلة إلى ذكر الله فكان ذكر الله هو المطلب الأعلى والمقصد الأقصى إلا أنه ينقسم إلى قسمين أحدهما ذكر باللسان والآخر ذكر بالجنان فهو غير ملفوظ باللسان ولا مسموع بالآذان بل هو فكر وملاحظة قلب وهو أعلى مراتب الذكر لما جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وهو لا يحصل إلا بمداومة الذكر باللسان مع حضور القلب حتى يتمكن الذكر في قلبه ويحصل الصرف عن غيره (مجالس رومي) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان أمتي لرجح إيمان أبي بكر » وكذلك روي عن أبي هريرة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري قالوا عن النبي عليه السلام أنه قال : «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص وحجتنا أن الإيمان عبارة عن التصديق لما ذكرنا من الدلائل وهو لا يقبل الزيادة والنقصان وأما قوله تعالى في سورة الفتح ﴿ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ فقلنا ذلك في حق الصحابة لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون فيكون تصديقهم قلباً زيادة على الأول أما في حقنا فلا لأنه انقطع الوحي وأما قوله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الخ ﴾ فقلنا ذلك صفة المؤمنين والمؤمنون في الطاعات متفاوتون أما في الإيمان فلا وأما قوله تعالى ﴿ زادتهم إيماناً ﴾ فالمراد منه اليقين لا نفس الإيمان وأما حديث أبي بكر فقلنا كان ترجحاً في الثواب لأنه سابق في الإيمان وقد قال عليه السلام الدال على الخير كفاعله وأما قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه شعرة من الإيمان فقلنا روي في بعض الروايات يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من الإيمان فيجب حمله على هذا بما ذكرنا من الدلائل (كذا في بحر الكلام) وعن الحسن أن رجلاً سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله ﴿ إنما المؤمنون ﴾ الآية فوالله لا أدري أنا منهم أم لا . وعن الثوري من زعم بأنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان وكان أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي

فقال له هلا اقتديت به في قوله أو لم تؤمن قال بلى (كشاف) واعلم أنهم اختلفوا في جواز الاستثناء في الإيمان فذهب الشافعي وأصحابه إلى الجواز بأن يقول أنا مؤمن إن شاء الله كما مر هذا الاختلاف فيما سبق وتعلقوا بقول الثوري فإنه إذا لم يجز القطع بالإيمان جاز أن يقوله وهذا يتم لو كان المراد بالإيمان في الآية مجرد الإيمان وليس كذلك بل المراد الإيمان الكامل لأن قوله إنما المؤمنون الذين يفيد الحصر وكذا قوله أولئك هم المؤمنون حقاً كما سبق تفصيلها فلو كان المراد مجرد الإيمان يلزم من انتفاء إحدى الصفات انتفاء الإيمان. وليس مراد الحسن من الإيمانين إلا مجرد الإيمان الكامل فقد ظهر أن لا تعلق لمسألة الاستثناء بالآية أصلاً ولم يجوز أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء لأنه يوجب الشك فينافي الإيمان الذي هو اليقين وقد حمل على التبرك كقوله تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ والله تعالى منزه عن الشك أو الإيمان في المآل عند الموت وحاصل هذا النزاع أن الإيمان لو أريد به التصديق والعمل جاز الاستثناء لجواز الشك في الاتيان بالعمل الصالح والشك في الجزء مستلزم للشك في الكل وإن أريد به مجرد التصديق فإن كان المراد بالاستثناء الشك لم يجز وإن كان المراد غيره جاز فإذا النزاع لفظي وقوله اتباعاً لإبراهيم يعني أن إبراهيم رجا المغفرة ولم يجزم بها وهو مشعر بجواز الاستثناء وفيه منع لأن عدم القطع بالمغفرة لا يوجب عدم القطع بالإيمان كما مر في كلام الثوري وأما قوله بلى فهو جزم بالإيمان (كذا في حاشية الكشاف فعليك بمطالعتها وليس في قولنا انحراف) عن شقيق البلخي أنه قال كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يمشي في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له يا أبا إسحق قال الله تعالى في كتابه ادعوني أستجب لكم ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجاب لنا قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء كيف يستجاب دعاؤكم . الأول عرفتم الله تعالى ولم تؤدوا حقه . والثاني قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادّعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه ووافقتموه . والرابع تقولون إنكم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تعملوا بسنته . والخامس ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن الموت حق ولم تعدوا له . والثامن اشتغلتم بعيوب إخوانكم ولم تنظروا بعيوب أنفسكم . والتاسع أكلتم نعمة ربكم فلم تشكروا له . والعاشر دفنتم أمواتكم ولم تعتبروا منهم (حياة القلوب) .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو

بأن تضمر واخلاف ما تظهرون أو بـالغلول في الغنائم ﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو ﴿ وَأَنْتُمْ تَعلَمُونَ ﴾ إنكم تخونون أو أنتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو في العقاب أو في محنة من الله ليبلوكم فيه فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة ﴿ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه (قاضي) .

* * *

روي في سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاء عليه السلام فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث أي بأن تتصدق به . اعلم أن تعطيل السنة الترك قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقال عليه السلام : « ليأتين على الناس زمان تخلق سنتي فيه كما يخلق الثوب على الأبدان وتحدث البدعة فمن اتبع سنتي يومئذ صار غريباً وبقي وحيداً ومن أتبع بدعة الناس وجد خمسين صاحباً أو أكثر » فقالوا يا رسول الله هل بعدنا أحد أفضل منا قال بلى قالوا أفيرونك يا رسول الله قال لا قالوا فكيف يكونون فيه قال كالملح في الماء تذوب قلبوهم كما يذوب الملح في الماء قالوا كيف يعيشون في ذلك الزمان قال كالدود في الخل قالوا كيف يحفظون دينهم قال كالجمر في اليد إن وضعه طفىء وإن أمسكه وعصره أحرق اليد فاعتبروا يا أولى الأبصار بقول رسول الله الملك الغفار قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » وقال ﷺ : « عشرة مما علمهن وعمل بهن أبوكم إبراهيم خمس في الرأس وخمس في الجسد أما التي في الرأس فالسواك والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء

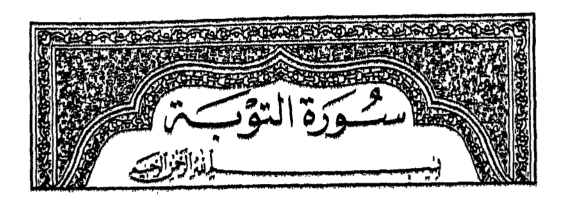
. . . .

اللحية » . وأما التي في الجسد فالختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الأظفار ولكل عضو عبادة حتى الختان للذكر . قال الله تعالى لآدم عليه السلام إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقنها فهل أنت آخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فحملها آدم عليه السلام فقال الله تعالى أما إن حملت فأعينك جعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فأغمض حجاب عينيك خوفاً من عقابي وأجعل للسانك باباً بمصراعين فإذا خشيت أن تتكلم الفحش فأغلق باب لسانك خوفاً من عقابي وأجعل لك أذنين فإذا خشيت أن تسمع الكلام الذي لا تحل لك استماعه فاحفظ أذنيك من الاستماع وأجعل لفرجك لباساً فإذا خشيت أن تكشف فاستتر به خوفاً من عقابي وكف يديك عن الحزام ورجليك عن المشي إلى ما لا يحل لك فاذكر عقابي وهذه المذكورات كلها أمانة الله تعالى .

﴿ موعظة ﴾ وقال وهب بن منبه لما ضرب الدرهم والدينار حملهما إبليس عليه اللعنة وقبلهما ووضعهما على عينيه وقال الويل لمن أحبكما من حلال والويل ثم الويل لمن أحبكما من حرام . قيل إن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أرض فسأله عن أرضه فأخبره بسعة أرضه وكثرة النعم فيها فقال عليه السلام له : « كيف تفعلون » قال إنا نتخذ ألواناً من الطعام ونأكلها ثم قال : « تصير إلى ماذا » قال إلى ما نعلم يا رسول الله يعني تصير بولاً وغائطاً فقال عليه السلام : « كذلك مثل الدنيا صدق من روي ونطق وقال الله تعالى في أسرار الوحي يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السموات والأرض وصام صيام أهل السموات والأرض ثم أرى في قلبه مقدار ذرة من حب الدنيا من رياستها وزينتها لا يجاورني في داري » ﴿ موعظة ﴾ قال عبدالله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه ، وقال هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والرجل أمانة واليد أمانة واللسان أمانة والعين أمانة والأذن أمانة ، ولا إيمان لمن لا أمانة له فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال لقوله تعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ﴾ قال لهن أتحملن هذه بما فيها قلن وما فيها قال إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يا رب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً قلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقمنه لا مخالفة لأمره ﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه ؛ فآثروا ما يبقى على ما يفنى » وروي أنه عليه السلام جلس يوماً يحدث أصحابه فبكوا غير أسامة بن زيد فقال أشكو إليك يا رسول الله قسوة قلبي

فوضع عليه السلام يده على صدره ثم قال : « أخرج يا عدو الله » فبكى ثم قال عليه السلام : « جمود العين من قسوة القلب وقسوة القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب من نسيان الموت ونسيان الموت من طول الأمل وطول الأمل من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة » . روي عن فضيل بن عياض قال جعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد . عليك بتركها تنل الدرجات العليا .





﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضنّ به وإن يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدّون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ هو الكيّ بهما ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ أي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها ﴿ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ لأن جمعهم وإمساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾ على إرادة القول ﴿ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه (قاضي).

عن أنس بن مالك أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «خرج من عندي جبرائيل آنفاً فأخبرني عن ربي عز وجل أنه قال أي مسلم صلى عليك مرة واحدة صليت أنا وملائكتي عليه عشراً فأكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإذا صليتم فصلوا عليّ تعظيماً» الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «من آتاه الله مالاً ولم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع وهي الحية التي لا شعر برأسها أي قشر جلد رأسها من كثرة سمها ولها نقطتان سوداوان فوق عينيها يطوق ذلك الشجاع طوقاً في عنقه فيعذبه عذاباً شديداً ويقول أنا مالك الذي كنزتني في الدنيا ولا تؤد زكاته كما قال الله تعالى» ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم

بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به ﴾ (مشكاة) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « من آتاه الله مالاً ولم يؤد زكاته إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من النار فأحمي عليها في نار جهنم فتحرق بها أي بتلك الأموال جبهته وجنباه وظهره وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره ألف سنة كما قال الله تعالى ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » (زبدة الواعظين) .

يقال إن الله قرن الصلاة بالزكاة في كتابه فقال أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وجه النظم بينهما أن الصلاة حق الله تعالى والزكاة حق العباد فالواجب مراعاتهما بأمر الله تعالى ومرجع جميع العبادات إلى هذين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية وجميع العبادات ينقسم إليهما ولذا قيل ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله واحدة منها بغير أخرى أولاها قوله تعالى ﴿ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا يقبل منه الصلاة والثانية قوله تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه طاعة الله تعالى والثالثة قوله تعالى ﴿ أن اشكر لي ولوالديك ﴾ فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لا يقبل منه شكره لله تعالى (تنبيه الغافلين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من منع نفسه عن خمس منع الله عنه خمساً ، الأول من منع الزكاة من ماله منع الله حفظ ماله من الآفات » . والثاني من منع العشر مما يخرج من الأرض منع الله تعالى البركة من كل كسبه . والثالث من منع الصدقة منع الله تعالى عنه العافية ، والرابع من منع الدعاء لنفسه منع الله تعالى عنه الإجابة ، والخامس من منع الحضور مع الجماعة منع الله عنه كمال الإيمان فلا يكون إيمانه كاملاً » (زبدة الواعظين) روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلايا بالدعاء والتضرع » صدق رسول الله فيما قال ، وروى الحسن عن النبي عليه السلام أنه كان يحدث هذا الحديث لأصحابه فمر عليه نصراني فستمع هذا الحديث فذهب وأدى زكاته وكان له شريك خرج للتجارة إلى مصر فقال إن كان محمد صادقاً في قوله يظهر صدقه ويصير مالي مع شريكي محصناً وأسلم وأومن به وإن ظهر كذبه فأخرج عليه بالسيف فأقاتله فإذا ورد من القافلة مكتوب أن اللصوص قد قطعوا علينا الطريق وسلبوا أموالنا ولباسنا وكل شيء معنا فسمع النصراني بذلك فاضطرب حاله وقال فيه ما قال فخرج عليه بالسيف بنية القتال فبعد ذلك ورد مكتوب آخر من شريكه أن لا تحزن ولا تهتم أنا كنت في خلف القافلة فوقع عليهم اللصوص وأنا في السلامة ومعي جميع مالنا فلما قرأ النصراني مكتوبه قال إنه صادق ونبي حق فجاء إليه فقال يا رسول الله اعرض عليّ الإسلام

فآمن وتشرف بشرف الإسلام (روضة العلماء) عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه حريش من ولد العقرب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المغرب إلى المشرق فيقول جبرائيل عليه السلام إلى أين تذهب يا حريش فيقول إلى العرصات فيقول من تطلب فيقول أطلب خمسة نفر ، الأول تارك الصلاة ، والثاني مانع الزكاة ، والثالث عاق الوالدين ، والرابع شارب الخمر ، والخامس المتكلم في المسجد كما قال الله تعالى » ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ (زبدة الواعظين) وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال لأن أدفع من فوق قصر فأنكسر أحب إليّ من مجالسة الغني لأني سمعت رسول الله يقول إياكم ومجالسة الموتى قيل يا رسول الله ومن الموتى قال الأغنياءوكذا قال عليه السلام : « أطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون الجنة سعياً ولم أر من الأغنياء من يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المبشرة بالجنة والعشرة المبشرة بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين » ، وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأبعدنهم ولأقربنكم » وتلا رسول الله : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وحكي أنه قيل لبعض أهل المعرفة كم يجب من الزكاة في مائتي درهم قال أما على العوام فأمر الشرع على كل مائتين خمسة وأما نحن فيجب علينا بذل جميع المال لقوله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ وسئل الشبلي رحمه الله تعالى فقيل ما الفرائض قال محبة الله قيل وما السنن قال ترك الدنيا قيل وما مقدار الزكاة قال بذل الجميع فقيل أليس خمسة دراهم من مائتي درهم قال ذلك على البخلاء قال السائل من إمامك في هذا المذهب قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث تصدق بجميع ماله فجلس في كساء حتى جاء جبرائيل بكساء مثله فقال له السائل هل لك حجة في القرآن قال نعم هي قوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ الآية ومن باع ماله فعليه تسليمه والأموال اسم عام . حكي أن قارون بن يصهر بن قاهس ابن لاوي كان ابن عم موسى وكان يقرأ التوراة عن قلبه ولكن ينافق لموسى عليه السلام كما نافق السامري له وكان عاملاً لفرعون ويؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته فلما نزلت آية الزكاة صالحه من كل ألف دينار على دينار ومن كل ألف درهم على

درهم والحال أن الزكاة عليهم كانت إخراج ربع المال فجمعها فصارت كالتل فرآها كثيرة فمنعها من البخل ولذا قيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً لكل خزانة مفتاح لا يزاد المفتاح على أصبع فقال لبني إسرائيل إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال ائتوني بفلانة الزنية حتى ترميه بنفسها فجاؤ وا بها فجعل قارون لها ألف دينار وقال لها قولي لموسى إنه وطئني وأنا حامل منه فجمع قارون الناس وكان اليوم يوم عيد لهم فقال قارون لموسى عليه السلام عظنا وأوجز فوعظ موسى عليه السلام فقال في أثناء كلامه من سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ومن زنى وهو محصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت فقال وإن كنت أنا فقام وقال إن بني إسرائيل يزعمون أنك زنيت بفلانة فقال ادعها فأحضرت وحلفها موسى عليه السلام فقال بالذي خلقك وخلق البحر وأنزل التوراة أن تصدقني فتداركها الله تعالى ووفقها فقالت يا موسى أنت بريء مما يقولون ان قارون جعل لي ألف دينار على أن أقذفك بنفسي وأخاف من الله تعالى أن أقذف رسوله فخرّ موسى ساجداً يبكي فقال يا رب إن كنت نبيك حقاً فأغثني فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني جعلت الأرض مسخراً في أمرك فمرها ما شئت فقال موسى عليه السلام من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزل الناس كلهم إلا رجلين فقال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال ثانيا خذيهم فأخذتهم إلى أوساطهم وهم يتضرعون إلى موسى عليه السلام ثم قال ثالثاً خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم وهم يتضرعون إليه وموسى عليه السلام لا يلتفت إليهم لشدة غضبه فقال رابعا خذيهم فانطبقت الأرض عليهم فأصبح بنو إسرائيل يتناجون بينهم فقالوا إنما دعا موسى على قارون ليرث داره وكنوزه فسمع موسى عليه السلام ذلك فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله كما قال الله تعالى ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ فهو يتحرك ويذهب كل يوم مقدار قامة رجل حتى إذا بلغ قعر الأرض الأسفل بقي إلى يوم ينفخ في الصور (مشكاة) قيل كان قارون يخرج في زينته على بغلة بيضاء عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلي والديباج فتكبر على موسى عليه السلام بتكذيبه ومخالفة أمره فخسف الله به وبداره الأرض (موعظة) قال عليه السلام رأيت ليلة المعراج وراء جبل قاف مدينة مملوءة من بني آدم فلما رأوني قالوا الحمد لله الذي أرانا وجهك يا محمد فآمنوا بي وعلمت لهم أحكام الشريعة وبعد ذلك سألت منهم من أنتم قالوا يا محمد نحن قوم من بني إسرائيل فلما مات موسى عليه السلام وقع الاختلاف بين بني إسرائيل وظهر الفساد فقتلوا في ساعة واحدة ثلاثة وأربعين نبياً وبعد قتل الأنبياء ظهر مائتا رجل عابد زاهد وأمروا الناس بالمعروف ونهوهم عن المنكر وفي ذلك اليوم قتلهم بنو إسرائيل كلهم

. . . .

فظهر بينهم فساد قوي ونحن خرجنا من بينهم وجئنا إلى ساحل البحر ودعونا الله تعالى أن يخلصنا من فسادهم فبينما نحن ندعو ونتضرع إذ ثقبت الأرض ووقعنا وكنا تحت الأرض ثمانية عشر شهراً وبعد ذلك خرجنا إلى ذلك المكان وكان موسى عليه السلام قد وصانا إذا رأى أحدكم وجه محمد عليه السلام نبي آخر الزمان فسلموا عليه مني فقالوا الحمد لله الذي أرانا وجهك فعلمنا فعلم النبي عليه الصلاة والسلام لهم القرآن والصلاة والصوم وأداء صلاة الجمعة وسائر الأحكام (حماميه من يس الشريف) .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ ﴾ أي مبلغ عددها ﴿ عِنْدَ الله ﴾ معمول عدّة لأنها مصدر ﴿ اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ ﴾ في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لأثني عشرَ وقوله ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرض ﴾ متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدراً أو المعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر مذ خلق الله الأجرام والأزمنة ﴿ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ ﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما .فكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرّمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه وأخيه لم يهجه ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فيهِنَّ ﴾ في الحرم ﴿ انْفُسَكُمْ ﴾ أي بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأوّلوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم حال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم والأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا أو يؤيد الأول ما روى أنه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة ﴿ وَقَاتِلوا المُشْرِكِينَ كَافةً كَما يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ جميعاً وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿ وَاعْلَمُوا أَنّ الله مَعَ المُتّقِين ﴾ شهادة ضمان لهم بالنصرة لسبب تقويهم (قاضي بيضاوي) .

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « رأيت ليلة المعراج نهراً ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك فقلت لجبرائيل يا جبرائيل لمن هذا قال لمن صلى عليك في رجب قال عليه السلام أنيبوا إلى ربكم واستغفروا من ذنوبكم واجتنبوا عن المعاصي في الشهر الحرام وهو رجب كما قال الله تعالى﴿ يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ الآية فيه تقديم وتأخير يعني يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز أولا قل قتال فيه كبير والظلم فيه أقبح لحرمته عند الله كما أن الطاعة مضاعفة فيه وسماها حراماً لتحريم القتال ثم نسخ تحريم القتال فيهن بقول الله تعالى ﴿ فاقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ والحرمة باقية والذنوب مغفورة والطاعة مقبولة وثوابها مضاعف في الشهر الحرام لأن الحسنة الواحدة في سائر الشهور بعشر أمثالها كما قال الله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ الآية وفي رجب بسبعين وفي شعبان بسبعمائة وفي رمضان بألف وليس أضعاف الحسنة إلا لهذه الأمة خاصة (خزينة العلماء) قال النبي عليه السلام : « إن أردتم الراحة وقت الموت من العطش والخروج مع الإيمان والنجاة من الشيطان فاحترموا هذه الشهور كلها بكثرة الصيام والندم على ما سلف من الآثام واذكروا خالق الأنام تدخلوا جنة ربكم بسلام » (زهرة الرياض) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لقيت معاذ بن جبل رضي الله عنه فقلت له من أين جئت يا معاذ قال جئت من عند النبي عليه السلام فقلت ما سمعت منه قال سمعت من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة ومن صام يوماً من رجب يبتغي به وجه الله دخل الجنة ثم دخلت على رسول الله فقلت يا رسول الله إن معاذاً أخبرني بكذا فقال عليه الصلاة والسلام صدق معاذ (زهرة الرياض) واعلم أن ما سيتلى من القصص اللطيفة والكلام الشريف عن خاتم النبوة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبة يوم النحر في حجة الوداع : « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة يعني أن الزمان الذي انقسم إلى الشهور والأعوام عاد إلى ما كان عليه ورجعت السنة إلى أصل الحساب الذي اختاره الله تعالى يوم خلق السموات والأرض وعاد الحج إلى ذي الحجة بعدما كان أهل الجاهلية أزالوه من محله بالنسيء الذي أحدثوه وهو النسيء الذي ذكره الله تعالى في كتابه » وقال ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾ ومعناه تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر فإنهم في الجاهلية كانوا يعظمون الأشهر الحرم وراثة من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فكانوا يحرمون فيها القتال حتى أحدثوا النسيء فغيروا التحريم لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم

محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى ﴿ ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر وأربعة عشر شهراً ويروي أنه أحدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارات وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعاً في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحلل فحرموه ؛ جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفراً فزادتهم رجساً إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً وهم يستبشرون (كشاف) ليتسع لهم الوقت ولذلك ورد التنصيص على العدد في القرآن والحديث أما القرآن فما سبق آنفاً وهو قوله تعالى ﴿ إن عدة الشهور ﴾ الآية وأما الحديث فإنه عليه السلام بين فيه أن السنة اثنا عشر شهراً وإنما هي أشهر مقدرة بسير الشمس كما يفعل أهل الكتاب ومن هذه الأشهر القمرية أربعة حرم ثلاثة منها متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو شهر رجب وإنما أضيف إلى مضر فيما سبق في الحديث لأن قبيلته كانت تزيد في تعظيمه واحترامه ولذلك نسب إليهم وقد كان فيه لأهل الجاهلية أحكام منها أنهم كانوا يحرمون فيه القتال على ما سبق فكان تحريمه جارياً في ابتداء الإسلام واختلف العلماء في بقائه وذهب الجمهور إلى النسخ واستدلوا عليه بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي عليه السلام بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد فلم ينقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال في شيء من الأشهر الحرم وهذا يدل على إجماعهم على نسخه ومنها أنهم كانوا في الجاهلية يذبحون فيه ذبيحة يسمونها عتيرة واختلف العلماء في حكمها بعد الإسلام فالأكثرون على أن الإسلام أبطلها لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لا فرع ولا عتيرة والفرع بفتحتين أول ولد تلده الناقة فكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم في الجاهلية ويتبركون به والعتيرة ذبيحة كانت تذبح في العشر الأول من رجب وتسمى رجبية وكان يتقرب بها أهل الجاهلية في الجاهلية وأهل الإسلام في صدر الإسلام ثم نسخت بحديث لا فرع ولا عتيرة وقد روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه قال ليس في الإسلام عتيرة وإنما كانت العتيرة في الجاهلية كان أحدهم يصوم رجباً ويعتر فيه ويشبه الذبح باتخاذه موسم عيد . وروي عن طاوس رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه السلام قال : « لا تتخذوا شهراً عيداً ولا يوماً عيداً وأصل هذا أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتخذوا وقتاً من الأوقات عيداً إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيداً وهو في الأسبوع يوم الجمعة وفي العام يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وأما ما عدا

ذلك فاتخاذه عيداً وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة المحمدية بل هو من أعياد المشركين وقد كانت لهم أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الإسلام أبطلها الله تعالى وعوض عن أعيادهم الزمانية عيد الفطر وعيد النحر وأيام التشريق وعن أعيادهم المكانية الكعبة وعرفات ومنى ومزدلفة يسرنا الله لزيارتها وليس من غير هذه المواسم موسم ولا من هذه الأماكن مكان إلا وفيه لله تعالى وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه ولطيفه من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء من عباده بفضله ورحمته فالسعيد من اغتنم هذه المواسم والأماكن وتقرب فيها إلى مولاه بما شرع فيها من وظائف الطاعات حتى يصيبه نفحة من تلك النفحات ويأمن بها من عذاب النار وما فيها من اللفحات » واما الصوم فيه فقد ورد فيه أحاديث من جملتها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام قال : في الجنة نهر يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله تعالى من ذلك النهر هذا في صيام بعضه وأما صيام كله فلم يصح فيه بخصوصه شيء عن النبي عليه السلام ولا عن أصحابه وإنما ورد في صيام الأشهر الحرم كلها ورجب أحدها فيلزم أن لا ينهى عن صومه . وقد روي عن أبي قلابة رضي الله تعالى عنه أنه قال في الجنة قصر لصوام رجب قال البيهقي إن أبا قلابة رضي الله عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبي عليه السلام نعم قد روي عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله وكرهه الإمام أحمد أيضا وقال يفطر منه يوماً أو يومين وحكاه عن عمر وابن عباس رضي الله عنهم لكن تزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهراً آخر وقد قال الماوردي في الاقناع يستحب صوم رجب وشعبان وأما الصلاة فيه فلم يثبت فيها ما يختص به كما ذكر تفصيلها فيما سبق (من مجالس الرومي) وقال ابن الهمام رحمة الله تعالى عليه ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يؤتى به احتياطاً وما تردد بين السنة والبدعة يترك لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم فتلك الصلاة ما تردد بين السنة والبدعة فتعين تركها ولا يحل لأحد فعلها لا منفرداً ولا جماعة لأن الجماعة فيها بدعة أيضاً (وهذا من مجالس الرومي في موضع آخر) روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول الجمعة لا يبقى ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويجتمعون في الكعبة فينظر الله تعالى إليهم ويقول يا ملائكتي اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال النبي عليه السلام : « كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهليهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فانهم شباع لا جوع لهم ولا عطش (زبدة الواعظين) حكي أن امرأة في بيت المقدس كانت عابدة فإذا جاء رجب تقرأ كل يوم قل هو الله أحد إحدى عشرة

مرة تعظيماً له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس الثياب البالية فمرضت في رجب وأوصت ابنها بأن يدفنها في ثياب بالية فكفنها بثياب مرتفعة رياء للناس فرآها في النوم فقالت يا بني لم تأخذ وصيتي وأنا عنك غير راضية فانتبه ففزع ونبش قبرها فلم يجدها في قبرها وتحير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهرنا رجب لم يترك في القبر فريداً وحيداً (زبدة الواعظين)

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي عليه السلام وقال ادع الله لي أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدرد حتى ضافت بها المدينة فنزل موادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه البني عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فيعث عليه السلام مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي عليه السلام إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد أمرتك فلم تصعني فقبض رسول الله عليه السلام فجاء بها إلي أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء به إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ ﴾ منعوا حق الله منه ﴿ وَتَولَّوْا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ وهم قوم عادتهم الإعراض عنها . (قاضي بيضاوي)

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « لعائشة رضي الله عنها يا عائشة لا تنامي حتى تعملي أربعة أشياء حتى تختمي القرآن وحتى تجعلي الأنبياء لك شفعاء يوم القيامة

وحتى تجعلي المسلمين راضين عنك وحتى تجعلي حجة وعمرة فدخل عليه السلام في الصلاة فبقيت على فراشي حتى أتم الصلاة فلما أتمها قلت يا رسول الله فداك أبي وأمي أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها فتبسم رسول الله وقال إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاثاً فكأنك ختمت القرآن وإذ صليت عليّ وعلى الأنبياء من قبلي فقد صرنا لك شفعاء يوم القيامة فإذا استغفرت للمؤمنين فكلهم يرضون عنك وإذا قلت سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حججت واعتمرت » (تفسير حنفي) روي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب كان ملازماً لمسجد رسول الله ليلاً ونهاراً وكانت جبهته كركبة البعير من كثرة السجود على الأرض والحجارة فيوماً من الأيام خرج من المسجد من غير لبث واشتغال بالدعاء والصلاة فقال له النبي عليه السلام مالك تعمل عمل المنافقين بتعجيل الخروج فقال يا رسول الله خرجت حيث إن لي ولامرأتي ثوب واحد وهو الذي عليّ فأنا أصلي فيه وهي عريانة في البيت ثم أعود اليها فأنزعه وهي تلبسه فتصلي فيه فادع الله لي أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام : « يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه » ثم أتاه بعد ذلك ثانياً فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام : « أمالك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت » ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله أدع الله أن يرزقني أملاً والذي بعثك بالحق نبياً لئن رزقني الله تعالى مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا عليه السلام وقال : « اللهم ارزق ثعلبة مالاً » فأتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان يصلي معه عليه الصلاة والسلام الظهر والعصر ويصلي سائر الصلوات في غنمه ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة وإذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فقال : « ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها واد فقال يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقات فبعث رسول الله رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم حتى أتيا ثعلبة فطلبا منه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فلم يعطها وقال ما هذه إلا جزية أو أخت الجزية وقال ارجعا حتى ري رأي وأتفكر بفكري فلما رجعا إلى النبي عليه السلام قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه « يا ويح ثعلبة مرتين ثم أنزل الله تعالى هذه الآية في سورة التوبة وعنده عليه السلام رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى أتى النبي عليه السلام وجاءه بالصدقة فقال عليه السلام : « إن الله منعني أن أقبل منك

صدقتك » فجعل يحثو التراب على رأسه فقال : « هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عليه السلام » فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال أقبل صدقتي فأبى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأنا كيف أقبلها ولم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلاها منك وأنا كيف أقبلها ولم يقبلها ثم جاء بها إلى عثمان رضي الله تعالى عنه فقال أقبل صدقتي فقال لم يقبلوها منك وأنا كيف أقبلها ولم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وكل هذه العقوبة من البخل وحب المال وترك الزكاة ومن أجل أن خلف الوعد سبب للنفاق جعل خلف الوعد ثلث النفاق وهذا إشارة إلى أن آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان (ابن كمال باشا وحياة القلوب) روي أنهم سألوا عن رسول الله عليه السلام فقالوا يا رسول الله إذا خرجت من الدنيا فظهر الأرض خير لنا أم بطن الأرض قال عليه السلام : « إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطنها خير لكم من ظهرها » (موعظة) عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي عليه السلام أنه قال : « السخاء شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدّته إلى الجنة والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدّته إلى النار وقال عليه السلام تصدقوا عن أنفسكم وعن موتاكم ولو بشربة ماء فإن لم تقدروا على ذلك فبآية من كتاب الله فإن لم تعلموا شيئاً من كتاب الله فادعوا بالمغفرة والرحمة فقد وعدكم بالإجابة » (حياة القلوب) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال عليه السلام : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل والمراد بذلك ما يعظم ذاتها ويبارك فيها ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان » ومصداق هذا الحديث في سورة البقرة ﴿يمحق الله الربا﴾ أي يذهب الله بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه الربا ولا يقبل منه فعل الخير ﴿ويربي الصدقات﴾ أي يزيدها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الثواب في الآخرة (سؤال) لم جعل ثواب الصدقة أفضل من سائر الأعمال (جواب) لأن إعطاء المال أشد على النفس من سائر الأعمال وكل عمل محبته أكثر فثوابه أكثر لما روي عنه عليه السلام ﴿ أفضل الأعمال أحمزها ﴾ كما قال الله تعالى في آل عمران ﴿ لن تنالوا البر ﴾ أي لن تبلغوا حقيقة البر ﴿ حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أي حتى تتصدقوا من أموالكم التي تحبونها ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ أي أن الله تعالى يعلمه ويجازي عليه (أخرج مج) عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « يا أيها

الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تعالى وأكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » (خادمي) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ الصدقة تسد سبعين باباً من السوء ﴾ الصدقة على أربعة أوجه الواحدة بعشر والواحدة بسبعين والواحدة بسبعمائة والواحدة بسبعة آلاف أما الواحدة بعشر فهو أن يدفعها إلى الفقراء وأما الواحدة بسبعين فهو أن يدفعها إلى ذي الرحم وأما الواحدة بسبعمائة فهو أن يدفعها إلى الإخوان وأما الواحدة بسبعة آلاف فهو أن يدفعها إلى طالب العلم .

ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ: « من كان له مال فليتصدق بماله ومن كان له علم فليتصدق بعلمه ومن كان له قوة فليتصدق بقوته » («جامع الأزهار) وعن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لما خلق الله تعالى الأرض تحركت ومادت فخلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم الماء فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة بيمينه يخفيها من شماله فهو أشد منه إنما كانت الصدقة الموصوفة أشد من الريح الأشد مما قبله لأن صدقة السر تطفىء غضب الرب الذي لا يقابله شيء كما قال الله تعالى » ﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ وبهذا السبب بالغ السلف في إخفاء صدقتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم أحد من المتصدق وبعضهم ربطها في ثوب الفقير نائماً وبعضهم ألقاها في طريق الفقير ليأخذه ﴿ موعظة ﴾ حكي أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير على باب غني فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغني خبزاً حاراً فدفعته إليه وجاء الغني الشؤم داره فقطع يد ابنته فحول الله حاله وأذهب ماله وافتقر ومات في حال ذلته وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة فجاءت يوماً إلى باب غني فخرجت والدة الغني فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها بيتها فقصدت تزويجها ابنها فلما تزوجها زينتها وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الإبنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجي يدك اليمنى

فأخرجت يدها اليسرى مرة أخرى فرد عليها مرات فهتف هاتف من زاوية البيت أخرجي يدك اليمنى يا أمتي لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا حرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى بالالتئام بقدرة الله تعالى وأكلت مع زوجها وحكي أنه كان في بني إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في فمها لتأكلها فنادى السائل في الباب : لقمة لله فأخرجتها من فمها ودفعتها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لكي تحتطب وكان لها ابن صغير معها فيها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم في أثر الذئب فبعث الله تعالى جبرائيل فأخرج الصبي من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال يا أمة الله أرضيت ؟ لقمة بلقمة (كذا في تفسير الحنفي) دفع الله عنا بلاءه الجلي والخفي .



﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ غذاؤها ومعاشها لتكلفه إياه تفضلاً ورحمة وإنما أتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل فيه ﴿ وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ أما كنها في الحياة والممات والأصلاب والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارحين كانت بعد القوة ﴿ كُلٌّ ﴾ كل واحد من الدواب وأحوالها ﴿ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها وما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (قاضي) .

وفي الحديث ﴿ لا صلاة لمن لم يصل علي ﴾ قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره . وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي عليه السلام قال : من صلى صلاة لم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه » قال الدار قطني الصواب أنه من قول أبي جعفر الصادق محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم (شفاء شريف) قال الشيخ الأستاذ الإمام أحمد إنه عليه السلام تزوج بامرأة وزفها إلى بيته وعمل وليمة وجمع أصحابه في داره وكان الطعام قليلاً وكانوا يلحسونه لكونه مائعاً من قلة الدقيق فيتحدث كل واحد منهم شيئاً والنبي ﷺ يصلي فلما فرغ قال : « فيم أنتم تتحدثون ؟ » قالوا في باب الرزق فقال عليه الصلاة والسلام : « ألا أحدثكم بحديث حدثني به جبرائيل ؟ » فقالوا يا رسول الله نعم قال صلى

الله عليه وآله وسلم : « حدثني جبرائيل أن أخي سليمان كان يصلي على شاطىء البحر فرأى نملة تسير وفي فمها ورقة خضراء فصاحت على شاطىء البحر فخرج ضفدع وحملها على ظهره وغاص بها ثم بعد ساعة علت النملة فوق الماء وجاءت فقال سليمان أخبريني القصة فقالت في أسفل هذا البحر صخرة صماء وفي وسطها دودة قد جعل الله رزقها إليّ في كل يوم أحمل ما رزقها الله تعالى إليها مرتين وخلق لي في هذا البحر ملكاً على صورة ضفدع فيحملني فيغوص في البحر حتى يضعني على تلك الصخرة فتنشق حتى تخرج تلك الدودة منها فأطعمها مما يكون معي ثم تحملني الضفدع إلى رأس الماء فكلما أكلت الدودة رزقها قالت سبحان الذي خلقني وفي البحر صيرني ولم ينسني بالرزق أفينسى أمة محمد بالرحمة ؟ » ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (رونق المجالس) .

اعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآية الأولى ﴿ إنه يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ أردفه بما يدل على كونه عالماً بجميع المخلوقات وما خصت به من المهمات ، وفي الآية مسائل : المسألة الأولى قال الزجاج : الدابة اسم لكل حيوان لأن الدابة اسم مأخوذ من الديب وبيت هذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلقت على كل حيوان ذي روح مذكراً أو مؤنثاً إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضع الأصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات وهذا متفق عليه بين المفسرين ، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الأجناس التي تكون في البر والبحر والجبال والله يحصيها دون غيره وهو الله تعالى عالم بكيفية طبائعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها وسمومها ومساكنها وما يوافقها وما يخالفها وهو المدبر لأطباق السموات والأرض (من التفسير الكبير) وتحرير السؤال أن الرزق تفضل من الله ، وكلمة على للوجوب فيتنافيان والجواب أنه تفضل في المرتبة الأولى ثم لما ضمن وتكفل به صار واجباً في المرتبة الثانية فلا منافاة كما في نذور العباد فإن الصوم مثلاً كان تبرعاً فإذا نذره كان واجباً وقال الإمام : الرزق واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان ومعناه أن الرزق باق على تفضله لكن لما وعده وهو لا يخل بما وعد صوّر بصورة الوجوب لفائدتين حدهما التحقق لوصوله والثانية حمل العباد فيه على التوكل عليه (حاشية الكشاف) روي أن زاهداً أراد أن يتيقن يقيناً في الرزق فخرج إلى برية وقصد جبلاً ثم دخل غاراً وقعد في زاوية الغار قال وكنت أنظر كيف يرزقني هنا ربي فضلت قافلة من طريقها فجاء المطر عليهم فطلبوا أكناناً يدخلونها فدخلوا الغار الذي كان فيه فرأوه فقالوا يا عبد الله ولم يجبهم فقالوا ربما وجد البرد فلم يقدر على الكلام فأوقدوا ناراً بقربه حتى أدفأوه وكلموه فلم يجبهم فقالوا ربما جاع الفقير فقدموا إليه سفرة فأشاروا إليه فلم يتناولوا منها شيئاً قالوا هذا من مدّة مديدة لم يجد شيئاً فاطبخوا له لبناً حاراً حتى يأكله فعملوا فالوذجا من السكر وقدّموه إليه ولم يلتفت إليه

فقالوا قد اشتبكت أسنانه فقام من جملتهم رجلان وأخذا سكيناً ليفتحا فمه ففتح فمه وطرحا اللقمة في فمه فضحك فقالا له أنت مجنون فقال لا ولكن أردت أن أجرِّب ربي في رزقي فعلمت أنه يرزقني ويرزق عبده حيث كان وأين كان وكيف كان (رونق المجالس) .

حكاية . حكي أن إبراهيم بن أدهم كان سبب توبته أنه كان يوماً من الأيام قد خرج إلى الصيد فنزل منزلاً وبسط السفرة ليأكل الطعام فبينما هو كذلك إذ جاء غراب وأخذ منها قطعة خبز بمنقاره وطار فتعجب من ذلك فركب فرسه وذهب خلف الغراب حتى صعد الغراب الجبل وغاب عن عينيه فصعد إبراهيم بن أدهم الجبل لطلبه فرأى من بعيد ذلك الغراب فلما دنا إبراهيم طار الغراب ورأى رجلاً مشدود اليد والرجل مضطجعاً على قفاه فلما رأى إبراهيم ذلك الرجل على هذه الحالة نزل عن فرسه وحل عقده فسأله حاله وقصته فقال الرجل إني كنت تاجراً فأخذني قطاع الطريق وأخذوا ما كان معي من المال وما قتلوني ولكن شدّوني وطرحوني في هذا الموضع سبعة أيام فصار كل يوم يجيء الغراب بالخبز ويجلس على صدري ويكسر الخبز بمنقاره ويضعه في فمي وما تركني الله تعالى جائعاً في تلك الأيام فركب إبراهيم وأردفه خلفه وجاء به إلى الموضع الذي كان نزل فيه وتاب إبراهيم بن أدهم ونزع الثياب الفاخرة ولبس الصوف وأعتق عبيده ووقف عقاره وأملاكه وأخذ بيده عصا فتوجه إلى مكة بلا زاد ولا راحلة وتوكل على الله تعالى ولم يهتم بالزاد ولم يبق جائعاً حتى دخل الكعبة وشكر الله تعالى (حديث أربعين) قال حاتم لأصم التوكل على أربعة أوجه توكل على الخلق وتوكل على المال وتوكل على النفس وتوكل على الرب فالمتوكل على الخلق يقول ما دام فلان فلا هم لي والمتوكل على المال يقول ما دام مالي كثيراً فلا يضرني شيء والمتوكل على النفس يقول ما دام جسدي صحيحاً فلا ينقص مني شيء فهذه الثلاثة توكل الجاهلين والمتوكل على الرب يقول لا أبالي أصبحت غنياً أم فقيراً فإن معي ربي يمسكني كيف شاء (حديث أربعين) قال الله تعالى ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ وحقيقة الشكر أن لا تستعين بنعمة الله على معصيته وأن تستعمل كل عضو فيما خلق له من الطاعات فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات لتغلق عنك أبواب جهنم السبعة ذات الدركات فإذا استخدمتها فيما خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغة القلب بالإخلاص فتحت لك أبواب الجنة الثمانية (شرح المصابيح) وإذا علمت أن من توكل على الله لا يبقى جائعاً ورزق كل حيوان على الله تعالى كما ورد النص في كتابه العظيم فاعلم ما سيتلى عليك من الأحاديث الواردة عن خاتم النبوة في جواز السؤال وعدمه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم ﴾ رواه ابن عمر والمراد بعدمها يوم القيامة في وجه السائل ما يلحقه في الآخرة من الفضيحة والهوان

لأن السؤال حرام في الأصل ولا يباح إلا عند الضرورة وإنما كان الأصل فيه الحرمة لأنه لا ينفك عن عدة أمور . الأول إظهار الشكوى من الله فكما أن العبد المملوك إذا كان سؤاله شنيعاً على مولاه فكذلك سؤال العبد يكون شنيعاً على الله تعالى وهذا يقتضي أن يحرم السؤال ولا يحل إلا عند الضرورة كما لا يحل أكل الميتة إلا عند الضرورة . والثاني إذلال نفسه لغير الله وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى . والثالث إيذاء المسؤول عنه غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل ويستحي أن يرى بالمنع في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وبكل منهما يحصل الأذى وهو حرام لا يحل إلا عند الضرورة ثم إنه إن بذل لا يبذل له إلا حياء أو رياء فيحرم على الآخذ أخذه إذا فهمت هذه المحظورات فهمت قوله عليه السلام سؤاله من الفواحش وما أحل من الفواحش غيره فانظر كيف سماه فاحشة ولا خفاء أن الفاحشة لا تباح إلا عند الضرورة واختلف العلماء في أي وقت يحل السؤال فقال بعضهم من وجد غداء يومه وعشاء ليلته لا يحل له السؤال وقال بعضهم من قدر على الكسب ليس له أن يسأل إلا إذا استغرق وأوقاته لطلب العلم وقال بعضهم ليس لنا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث أنه عليه السلام قال : « استغنوا بغنى الله تعالى » قالوا وما هو يا رسول الله قال : « غداء يوم وعشاء ليلة » وفي حديث آخر أنه عليه السلام قال : « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً » وفي لفظ آخر أربعون واختلاف الروايات في التقديرات يلزم أن يحمل على أحوال مختلفة فما يحتاج إليه السائل في الحال من طعام يومه وليلته ولباس يلبسه ومأوى يبيت فيه فلا شك فيه وأما سؤاله للمستقبل فله فيه ثلاث أحوال أحداها ما يحتاج إليه غداً والثانية ما يحتاج إليه بعد أربعين يوماً أو خمسين يوماً والثالثة ما يحتاج إليه بعد السنة فنقطع أن من معه ما يكفيه ويكفي عياله سنة فسؤاله حرام لأن ذلك غاية الغني فإن كان يحتاج إليه قبل السنة لكن يقدر على السؤال في ذلك الوقت ولا يفوته فرصة السؤال لا يحل له السؤال لأنه مستغن عن السؤال في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج إذا وجد عنده ما يكفيه من غداء يومه وعشاء ليلته وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر السؤال يباح له السؤال لأن البقاء إلى السنة غير بعيد وهو بتأخير السؤال يخاف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يغنيه وتراخي المدة التي يحتاج فيها إلى السؤال لا يقبل الضبط وهو منوط على اجتهاده ونظرة لنفسه فيستفتي قلبه ويعمل به ولا يصغي إلى تخويف الشيطان لأنه يعد الفقر ويأمر بالفحشاء التي أبيحت للضرورة فإن من عجز عن الكسب واشتد جوعه وخاف على نفسه يلزمه السؤال لأن السؤال نوع اكتساب لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « السؤال آخر الكسب فإن

ترك السؤال في تلك الحالة حتى مات يأثم لأنه ألقي نفسه إلى التهلكة إذا كان السؤال يوصله إلى ما يقوم به نفسه فالسؤال في تلك الحالة كالكسب ولا ذل في السؤال في تلك الحالة وإنما الذل إذا سأل من غير حاجة فإن من ملك قوت يومه لا يحل له السؤال لأنه يذل نفسه من غير ضرورة » وهو مخالف للحديث السابق (من مجالس الرومي ملخصاً) .

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ لا تميلوا إليهم بأدنى ميل لأن الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم ﴿ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم الميل إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والإنهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الإستقامة التي هي العَدل فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط والتفريط ظلم عن نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرىء تركنوا بكسر التاء على لغة تيمم وتركنوا على البناء للمفعول من أركه ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ﴿ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ أي ثم لا ينصركم الله إذا سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لإستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة الفاء بمعنى الأستبعاد فإنه لما بين الله تعالى أن يعذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً (قاضي) .

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك فقال : « إنه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك إن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً ؟ قال قلت بلى » . رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . روي أن ظالماً من الظلمة قصد أن يزور عالماً زاهداً فلما قرب

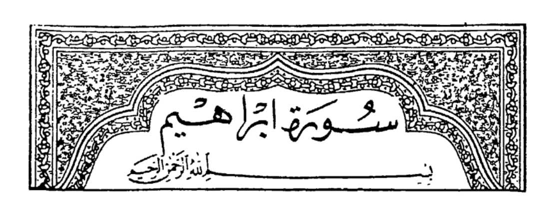
الظالم ستر الزاهد وجهه فاستعذر ابنه وقال إن والدي مرض مرضاً شديداً فستر وجهه لذلك فقال الشيخ الزاهد له ليس لي مرض ولا وجع ولكن أردت أن لا أنظر إلى وجهك ورجع الظالم تائباً ومستغفراً لله فغفر الله تعالى لهما أما الشيخ فلعدم نظره إلى وجه الظالم وأما الظالم فلتوبته من ظلمه هكذا سمعت من أستاذي عليه رحمة الله تعالى . وقال رسول الله ﷺ من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه . » . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقي شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (كذا في الرجبية) حكي أن ظالماً كان يظلم على ضعيف أعواماً فلما طال ظلمه قال المظلوم للظالم يوماً إن ظلمك عليّ قد طاب بأربعة أشياء وهي أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والديان يحكم بيننا (من أخلص الخالصة) وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿ من سن سنة حسنة ﴾ يعني في الإسلام وهو مقتدى به في هذه السنة الحسنة ﴿ فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ يعني أن كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها ﴿ ومن سن سنة سيئة ﴾ وهو مقتدى به في هذه السنة السيئة ﴿ فعليه وزرها ووزر من عمل بها ﴾ يعني أن كل من أتى بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزرها ووزر من عمل بها (من أحاديث البخاري ومسلم) وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن أحب العباد إلى الله فقال : « أنفع الناس للناس ، وعن أفضل الأعمال فقال إدخال السرور على قلب المؤمن يطرد عنه جوعاً أو يكشف عنه كرباً أو يقضي له ديناً ومن مشى مع مسلم في حاجة له كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعنيه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السيء يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل » . فعلم من هذا الحديث أن أحب العباد إلى الله تعالى من ينفع الناس وأن أفضل الأعمال إدخال السرور على قلب المؤمن بأن يدفع عنه الجوع أو يكشف عنه الكرب أو يقضي دينه وأن يمشي مع أخيه المسلم في حاجة له كان كصيام شهر مع اعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه على الصراط كما مر آنفاً ويؤيده ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أعان مظلوماً حزيناً مطروحاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة واحدة منها إصلاح أمره في الدنيا واثنتان وسبعون درجات في العقبي ، وعنه أيضاً أنه قال عليه السلام من أصبح لا ينوي الظلم على أحد غفر له ما جنى ومن أصبح ينوي نصرة المظلوم وقضاء حاجة المسلم كانت له كأجر حجة مبرورة » وكذا روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « من فرج عن مسلم قربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ؛ وكذا روي عن النبي عليه السلام أنه

قال : « من أعان مظلوماً أعانه الله يوم القيامة في الجواز على الصراط وأدخله الجنة ومن رأى مظلوماً فاستغاث به فلم يغثه ضرب في القبر مائة سوط من النار » (مجالس البصري) وجاء في الآثار ينادي المنادي يوم القيامة ائتوني بفرعون فيؤتي بفرعون وعلى رأسه قلنسوة من نار لابساً قميصاً من قطران راكباً على خنزير ثم ينادي أين الجبارون المتكبرون فيؤتي بهم وينطلق بهم إلى النار وأمامهم فرعون ثم ينادي أين قابيل فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين الحاسدون فيضمون إليه فإنه أمامهم إلى النار ثم ينادي أين كعب بن الأشرف رئيس علماء اليهود كما جاء في الخبر لو آمن لآمن جميع اليهود فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين الذين كتموا الحق والعلم فيسوقونهم معه إلى النار فهو إمامهم ثم ينادي أين أبو جهل فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين الذين كذبوا على الله ورسوله فيكون إمامهم إلى النار ثم ينادي أين الوليد ابن المغيرة فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين المستهزئون بفقراء المسلمين فهو إمامهم إلى النار ثم ينادي أين أجدع ـ من قوم لوط ـ الذي فعل اللواطة فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين الذين يلوطون فيؤتي بهم فهو إمامهم إلى النار ثم ينادي أين أمرؤ القيس فيؤتي به كذلك ثم يجمع الشعراء الذين كذبوا فهو إمامهم إلى النار ثم ينادي أين مسيلمة الكذاب فيؤتي به كذلك ثم ينادي أين الذين كذبوا الكتاب والرسول فهو إمامهم إلى النار ثم ينادي أين إبليس عليه اللعنة فيؤتي به كذلك فيقول يا حاكم العدل ادفع لي جندي ومؤذني وقرائي ومصاحفي ووزرائي وفقهائي وخزاني وتجاري وطبالي وحواشي فيقال يا ملعون يا مدحور من جندك فيقول هم الذين أصابهم الحرص ومؤذني اللحانون وقرائي المغنون ومصاحفي الواشم والمستوشم وفقهائي هم الذين يستهزئون بأصحاب المصائب ويأكلون الطيبات وخزاني الذين يحضرون خوان المسكر ويمنعون الزكاة وتجاري بائع البربط وطبالي الذين يضربون الطبول والدف وحواشي الذين يغرسون الكروم لأجل السكر فتخرج حية طول عنقها مسيرة سبعين عاماً فتجمعهم فتطردهم إلى النار ثم يدعى الخلق إلى الحساب فيقول الله تعالى يا جبرائيل أول من يدخل جنتي محمد عليه السلام فيوضع على رأسه تاج من نور ويلبس حريراً أخضر ويحمل بين يديه سبعون ألف علم فيحمل لواء الحمد ثم ينادي أين الذين يختارون الفقر ويبرون الفقراء وكانوا على طريق محمد عليه السلام وأتبعوا السنة فيقال انطلقوا مع نبيكم إلى الجنة ثم يؤتي بآدم عليه السلام وعلى رأسه تاج من نور وبين يديه ثمانية الآف علم فيقال أين الذين حجوا واعتمروا فآدم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بإبراهيم عليه السلام كذلك وبين يديه عشرون ألف علم ثم يقال أين الذين يحبون الأضياف ويبرون الغرباء فإبراهيم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بيوسف عليه السلام كذلك وبين يديه عشرة الآف علم ثم يقال أين الذين تركوا أهواء أنفسهم حين قدروا فيوسف عليه السلام إمامهم

إلى الجنـة ثم يؤتي بيعقوب عليـه السلام كـذلك ثم يقـال أين الـذين يحسنـون إلى جيـرانهم فيعقوب عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بموسى عليه السلام ثم ينادي أين الذين قالوا الحق لوجه الله تعالى فموسى عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بهارون عليه السـلام ثم يقال أين الذين عـدلوا في خـلافتهم فهارون عليـه السلام إمـامهم إلى الجنة ثم يؤتي بـأيوب عليه السلام ثم يقال أين الذين صبروا في أمراضهم وبلائهم فأيوب عليه السـلام إمامهم إلى الجنـة ثم يؤتي بأبي بكـر الصديق رضي الله تعـالى عنه وعـلى رأسه تـاج من نور ولبـاس من سندس واستبرق فينادي مناد أين الصديقون فأبو بكـر إمامهم إلى الجنـة ثم يؤتي بعمر رضي الله تعالى عنه ثم يقال أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكـر فعمر إمـامهم إلى الجنة ثم يؤتي بعثمان رضي الله تعالى عنه وعليه لباس الحياء ثم يقال أين الذين تركوا المعـاصي حياء من الله تعالى فعثمان إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بعـلي رضي الله عنه ثم يقـال أين الغازون في سبيل الله فعلي إمامهم إلى الجنة ثم يؤتي بالحسن والحسين رضي الله تعلى عنهما ثم يقـال أين المظلومون والمقتولون في طاعة الله فهما إماماهم إلى الجنة ثم يؤتي بمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ثم يقال أين الفقهاء فهو إمامهم إلى الجنـة ثم يؤتي ببلال الحبشي رضي الله تعـالى عنـه ثم يقال أين المؤذنـون فهو إمـامهم إلى الجنة (تفسـير تيسـير) وفي الحـديث ﴿ من آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقـد آذى الله ومن آذى الله تعالى فليتبـوأ مقعده من النـار ﴾ يعني يبدل مكانه من الجنة إلى النار وإذا كان يـوم القيامـة يتعلق المظلوم بـالظالم والخصم بـالخصم ويقول بيني وبينك العادل في حكمه يعلم الظالمون مـاذا يفعل بهم حـين يؤخذ من حسنـاتهم ويدفع إلى مظلوميهم (كذا في زبدة الواعـظين) حكي عن بلال رضي الله عنـه قال كنـا مع رسـول الله عليه السـلام في منزل أبي بكـر الصديق بمكـة فقرع البـاب فخرجت فـإذا رجـل نصراني يقول هل هنا محمد بن عبد الله فأدخلته فقال يا محمد تزعم أنك رسول الله فان أنت كذلك حقاً فانصرني على من ظلمني قال عليه السلام من ظلمك قال أبو جهل بن هشام أخذ مالي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك عند الهاجرة قال بلال قلنا يا رسول الله إنـه الآن في القيلولة فيشق عليه ذلك ونخاف أن يغضب عليك ويؤذيك فلم يسمع كلامنـا فذهب إلى أبو جهل وقرع عليه الباب مغضباً فخرج أبو جهـل بالغضب فـإذا هو رسـول الله قائـماً فقال أدخل هلا أرسلت إليّ فآتيك فقال عليه السلام أخذت مال هذا النصراني رد عليه ماله فقـال أبو جهل ألهذا جئت فلو بعثت إليّ أحداً لرددته عليه فقال عليه السلام لا تـطول ولكن أدفع ماله إليه فقال لغلامه أخرج جميع ما أخذ منه ورده عليه وقـال صلى الله تعـالى عليه وسلم يـا رجل هل وصل إليك مالك فقـال نعم إلا سلة واحدة فقـال صلى الله تعـالى عليه وسلم لأبي جهل أخرجها فطلبها في بيته فلم يجدها فدفع أبـو جهل إليـه بدلاً خيـراً منها فقالت امرأة أبي

. . . .

جهل والله لقد توضعت ليتيم أبي طالب كل التواضع والتذلل فقال أبو جهل لو رأيت ما رأيت لم تقولي هكذا قالت ما رأيت قال لا تفضحيني في قومي رأيت على منكبيه أسدين كلما همنت أن أقول لا أدفع كاد يفترساني فلذلك تواضعت قال بلال فلما رأى النصراني ما رأى من أبي جهل قال يا محمد إنك رسول الله ودينك حق فأسلم وحسن إسلامه ببركة إعانة المظلوم (زبدة الواعظين) .



﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ﴾ يعني يوم القيامة أو يوم الممات فإنه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لأنذر ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك التكذيب ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أخر العذاب عنا وردّنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حدّ من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ جواب للأمر ونظيره لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ على إرادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي كعاد وثمود ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة . (قاضي بيضاوي)

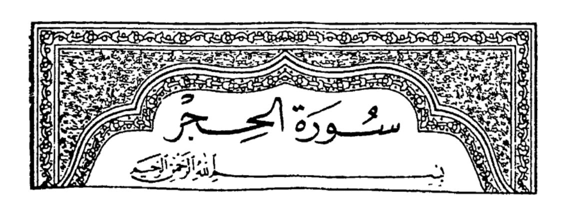
عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً ومن صلى عليّ عشراً صلى الله عليه مائة ومن صلى عليّ مائة كتب الله بين عينيه براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم

القيامه مع الشهداء » (حياة القلوب) روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبان وصنف مشاة على وجوههم قيل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم ينسلون على وجوههم من كل حدب وشوك (رواه الترمذي) أما المشاة فالمذنبون من المؤمنين وأما الركبان فالمتقون السابقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما المشاة على وجوههم فهم الكفار وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف صنف من المسلمين وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما المتكبر المتجبر المتمرد الذي لا يقبل الموعظة فهؤلاء يحشرون على وجوههم وأتباعهم يمشون الحديث قوله عليه السلام راغبين راهبين فيما سيأتي عوام المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً لعلهم أصحاب المعصية وهم الصنف الأول والصنف الثاني الركبان المسرعون إلى ما أعد لهم في الجنان وهم الذين اجتنبوا الشبهات لعلهم السابقون » (ابن ملك) اتفقوا على رواية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقاً فإن قلت ركوب الاثنين وأخواته بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلت بطريق الاعتقاب لكن الأولى أن يحمل على وجه الاجتماع لأن في الاعتقاب لا يكون الاثنان ولا الثلاثة على بعير واحد حقيقة وإنما اقتصر على ذكر العشرة إشارة إلى أنها غاية عدد الراكبين على بعير وذلك البعير المتحمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث قويت على ما لا يقوى عليه غيرها من النوق وإنما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما إلى العشرة للإيجاز ولم يذكر أيضاً في السابقين من تفرّد منهم بركوب بعير لأن المراد من الناس غير الخواص ولعل ذلك يكون مرتبة الأنبياء والأولياء وتحشر بقيتهم النار وهم الفرقة الثالثة تقيل معهم حيث قالوا من القيلولة وهي النوم في الظهر وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا يعني أن النار تلازم هذه الفرقة في جميع أحوالهم وهم الكفار قال بعض الشراح هذا الحشر يكون قبيل القيامة أحياء إلى الشام بقرينة قيلولتهم وبيتوتتهم لأن هذه الأحوال إنما تكون في الدنيا ولأن الناس يبعثون من القبور حفاة غير موصوفين بالركوب والتعاقب وهذا آخر أشراط الساعة كما جاء في حديث آخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى محشرهم وقال بعضهم يكون بعد البعث لأن الحشر إذا ذكر مطلقاً يصرف إلى ما بعد الموت وهو المختار للإمام التوربشتي لما روي عن أبي هريرة من الحديث المقدّم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث أصناف إلى آخر الحديث . وأما الظالم فعن أبي هريرة رضي الله

تعالى عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وعلى عبادي ألا فلا تظلموا » رواه مسلم والترمذي فمعنى هذا الحديث إني تقدست وتعاليت عن الظلم وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام قال : ﴿ اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ﴾ قال القاضي عياض وهو على ظاهره فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ويحتمل أن الظلمات ههنا الشدائد وقوله فإن الشح أهلك من كان قبلكم يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنه في الدنيا والآخرة وقال جماعة الشح البخل وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي عليه السلام قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء آخر فليستحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه وحملت عليه (رواه البخاري والترمذي) فإن قلت هذا ينافي قوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ قلت الظالم في الحقيقة مجزى بقدر ظلمه وإنما أخذ من سيآت المظلوم تخفيفاً للعدل فمعنى الآية أن واحداً لو قال لآخر أحمل عنك وزرك لا يؤاخذ به في الآخرة قال الفقيه ليس شيء من الذنوب أعظم من الظلم لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى فإن الله تعالى كريم أن يتجاوز عنك وإن كانت الذنوب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى إرضاء الخصم فينبغي أن يتوب من الظلم ويستحل من المظلوم في الدنيا فإذا لم يقدر عليه ينبغي أن يستغفر له ويدعو له فإنه يرجى أن يحلله بذلك . عن ميمون بن مهران أن الرجل إذا ظلم إنساناً فأراد أن يستحل منه ففاته ولم يقدر عليه فاستغفر له في دبر كل صلاة خرج من مظلمته . قال بعض أهل المعرفة الظلم ثلاثة أوجه ظلم يغفره الله تعالى إن شاء وظلم لا يغفره الله تعالى وظلم يقضي الله تعالى فيه فأما الظلم الذي يغفره الله فهو ظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلاة والصوم والزكاة والحج وفعل المحارم وأما الظلم الذي لا يغفره الله فهو الشرك كما قال الله تعالى في سورة النساء ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وفي هذه الآية دليل على أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فإنه في خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الله الجنة بكرمه وإن شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته وإحسانه لأن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فإن مات على الشرك فهو مخلد في النار وأما الظلم الذي يقضي الله تعالى فيه قضاء فظلم العباد فيما بينهم كالغيبة والبهتان والنميمة وقتل النفس بغير حق وأكل المال الحرام والضرب والشتم وغير ذلك من حقوق العباد (موعظة حسنة) حكي أنه كان لعباد ابنان أحدهما شدّاد

والاخر شديد فملكا قهراً فمات شديد وملك شداد وحده الدنيا وكان يقرأ الكتب فسمع ذكر الجنة فقال أصنع في الدنيا مثل الجنة جنة على وجه الأرض فشاور الملوك فقال إني أريد أن أبني الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فقالوا الأمر إليك والدنيا كلها في حكمك فأمر بأن يجمعوا ذهباً وفضة من المشرق والمغرب ثم جمعوا بنائين واختاروا منهم ثلاثمائة رجل تحت يد كل رجل ألف رجل فطافوا عشر سنين ووجدوا أرضاً طيبة فيها الأشجار والأنهار فبدأوا بناء الجنة فرسخاً في فرسخ لبنة من ذهب ولبنة من فضة فلما تم بناؤها أجروا فيها أنهاراً وغرسوا فيها أشجاراً جذوعها من فضة وفروعها من ذهب وبنوا فيها قصوراً من ياقوت أحمر وبلور أبيض وعلقوا الدر والياقوت على أغصان الأشجار وألقوا الجواهر واللؤلؤ في الأنهار والمسك والعنبر فيما بين الأنهار والأشجار فلما تم بناؤها أرسلوا إلى شداد وأخبروه بتمام الجنة فسار إليها بأهل مملكته فكان الملوك والأعوان يأخذون الذهب والفضة ظلماً فلم يبق شيء منهما إلا مقدار درهمين في عنق صبي يتيم فأخذوه منه فرفع الصبي وجهه إلى السماء فقال إلهي أنت تعلم بما يعمل هذا الظالم بعبادك وإمائك فأغثنا يا غياث المستغيثين فأمّن ملائكة السماء على دعاء الصبي فأرسل الله تعالى جبرائيل فلما كان منها مسيرة يوم وليلة صاح عليهم جبرائيل من السماء فهلكوا جميعاً قبل الدخول في الجنة فلم يبق منهم غني ولا فقير ولا ملك بسبب دعاء الصبي المظلوم (زبدة الواعظين) .

وقد أمر الله تعالى بالإعراض عن من لم يطع أوامره وتولى عن ذكره بقوله ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ وهو تكثير لسوادهم وإعانة لهم على ظلمهم وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعي إلى حرام وقد قال النبي عليه السلام : « من تواضع لغني لغناه ذهبت ثلثا دينه هذا في غني صالح فما ظنك بالغني الظالم فإنما قال ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك محسوبة عليك فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله أصلاً واستعملها في طاعة الله واعلم أنك إن قصرت في المراقبة فعليك يرجع وباله أي عقابه وإن شمرت فإليك تعود ثمرته وثوابه والله غني عنك وعن عملك وإنما كل نفس بما كسبت رهينة وإياك أن تقول إن الله كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة فإن هذه كلمة حق لا يجوز أن يراد بها باطل وصاحب هذا القول إذا لم يقل هذا من حقيقة حاله ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله حيث قال ﴿ الكيس ﴾ أي العاقل الحاذق ﴿ من دان نفسه ﴾ أي ذل ﴿ وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها ﴾ شهواتها ﴿ وتمنى على الله الأماني ﴾ أي الرجاء بلا عمل واعلم أن قوله هذا يشبه قول من يريد أن يصير فقيهاً عالماً في علوم الدين فاشتغل بالباطل وكقول من يريد مالاً فيترك الحراثة والتجارة والكسب (بداية الهداية للإمام الغزالي) .



﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح للوعد وتأكيده (قاضي) .

سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال : « أتضحكون وبين أيديكم النار » فجاء جبرائيل عليه السلام فقال يقول لك ربك يا محمد لا تقنط عبادي فإني غفور لذنوبهم رحيم بهم (عيون) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ ألا أنبئكم بأبخل البخلاء ألا أنبئكم بأعجز الناس ؟ ﴾ أي عن طلب الرحمة والمغفرة بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكر اسمه الشريف بين يديه ﴿ من ذكرت عنده فلم يصل عليّ ﴾ اللهم صل على محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل محمد وصحبه وأهل بيته وسلم فعلم من هذا الحديث أنه لا يترك الصلاة عليه كلما ذكر اسمه الشريف إلا عاجز محروم من الخير قال رسول الله ﷺ ﴿ لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ﴾ وفيه بيان كثرة عقوبته كيلا يغتر مؤمن برحمته فيأمن عذابه ﴿ ولو علم الكافر ما عند الله من الرحمة ﴾ أي من غير التفات إلى العقوبة ﴿ ما قنط من جنته أحد ﴾ وفيه بيان كثرة رحمته كيلا يخاف كافر من الإيمان بعد سنينٍ كثيرة في الكفر فعلى العبد أن يكون خائفاً وراجياً من الله لأن الخوف والرجاء كالجناحين للمؤمن لأنه يصل بهما إلى ما يرجو من الله تعالى ويأمن مما يخافه . وقال لقمان لابنه يا بني أرج الله رجاء لا تأمن فيه مكروه وخف الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته . قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى

علامة الخوف تتبين في ثمانية أشياء . أولها أن تبين في لسانه فيمنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم . والثاني أن يخاف في أمر بطنه فلا يدخل بطنه إلا حلالاً قليلاً ويأكل من الحلال مقدار حاجته والثالث أن يخاف في أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة ، والرابع أن يخاف في أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام وإنما يمده إلى ما فيه الطاعة . والخامس أن يخاف في أمر قدميه فلا يمشي في معصية الله تعالى وإنما يمشي في طاعة الله . والسادس أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة وشفقة المسلمين ، والسابع أن يكون خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف الرياء والنفاق . والثامن أن يخاف في أمر سمعه فلا يسمع إلا الحق (سنانية) قال الإمام القشيري قدس سره لما ذكر حديث المتقين في الآية التي قبل هذه الآية بقوله ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ الآية ومالهم من رفيع المنزلة علم انكسار قلوب العاصين فقال لنبيه أخبر عبادي العاصين أني أنا الغفور الرحيم أي إن كنت الشكور الكريم للمطيعين فإني أنا الغفور الرحيم للعاصين وجاء في الخبر مسنداً إلى رسول الله قال ان رجلاً يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت وإذا بلغ نصف الطريق التفت وإذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسأله ويقول لم التفت فيقول يا رب لما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ فقلت لعلك تغفر لي ولما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك ﴿ قل يا عبادي الدين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ فازددت طمعاً فيقول الله تعالى اذهب فقد غفرت لك فعلى العاقل أن يسأل من الله تعالى المغفرة لذنوبه ويبكي من خشية الله تعالى بتقصيراته ويتوب إلى الله تعالى إنه تعالى تواب لا يرد التائب خائباً من بابه . حكي أنه رؤي بعض الصالحين في النوم فسئل عن حاله فقال نجوت بعد كل جهد قيل بأي الأعمال وجدت النجاة قال بالبكاء من خشية الله تعالى وطول الاستغفار (كذا في الخالصة) قال عليه السلام : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك إشارة إلى المذكور أي النار مثل الجنة في كونها أقرب من شراك النعل وإنما كانت الجنة والنار كذلك لأن سبب دخولها فعل الشخص وهو العمل الصالح والسيء وهو أقرب إليه من شراك نعله » (شرح المصابيح) والمراد من السبب سبب ظاهري لأنه قال عليه السلام : « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا أدخل الجنة بعملي إلا برحمة الله تعالى أي لكن رحمة الله تدخل الجنة وليس المراد توهين أمر العمل بل نفي الاغترار به وبيان أنه انما يتم بفضل الله » . روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « خرج من عندي جبرائيل آنفاً فقال يا محمد والذي بعثك بالحق نبياً إن عبداً من عباد الله تعالى عبد

الله خمسمائة عام على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عيناً عذبة في أسفل جبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فإذا أمسي نزل وأصاب من العين الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً ولا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد ففعل وقال جبرائيل نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا وهو على حاله في السجدة ونحن نجده في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له الرب تبارك وتعالى أدخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول بل بعملي فيقول الله تعالى قيسوا عبادة عبدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وتبقى عليه النعم الباقية بلا عبادة في مقابلتها فيقول الله تعالى أدخلوا عبدي النار قال فيجرونه إلى النار فينادي العبد فيقول برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله ردوه إليّ فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً فيقول العبد أنت يا رب فيقول أكان ذلك بعملك أم برحمتي فيقول بل برحمتك فيقول الله تعالى من قواك على عبادة خمسمائة سنة ومن أنزلك في جبل وسط البحر وأخرج الماء العذب من بين المالح وأخرج تلك الرمانة كل ليلة وإنما تثمر في السنة مرة ومن قبض روحك ساجداً فيقول أنت يا رب فيقول فذلك كله برحمتي وبرحمتي أدخل الجنة (مشكاة) قال عليه السلام ان امامكم عقبة لا يجوزها المثقلون من الذنوب الا بمشقة عظيمة وتلك العقبة ما بعد الموت من الشدائد من القبر والحشر والوقوف بين يدي الله تعالى في المحشر والحساب والصراط والميزان ومن علم يقيناً بوقوع هذه الأشياء يخفف أثقاله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبعدم محبته في الدنيا لأن قلة الدنيا فائدة محض في حق صاحبه وسبب لعلو رتبته ومزيد مثوباته » ألا ترى إلى ما روي عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال بعث الفقراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم رسولاً فأتى الرسول فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « مرحباً بك وبمن جئت من عندهم جئت من قوم أحبهم الله فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل مالهم ذخراً فقال ﷺ : « بلغ عني الفقراء أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء . الخصلة الأولى أن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي أو شهيد أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب الملك الذي أعطاه الله تعالى والثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر لحق شيئاً لم يلحقه الغني وإن أنفق عشرة آلاف درهم كذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب » (تنبيه الغافلين)

قال رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ﴾ وفيه حث للأمة على التوبة لأنه ﷺ إذا كان يتوب في اليوم مائة مرة مع عظم شأنه وكونه معصوماً فكيف لا يشتغل بالتوبة ليلاً ونهاراً من يدنس جريدة أعماله بالذنب مرة بعد أخرى فعلى هذا لا يكون المصر على المعاصي كاملاً في الإيمان بل يكون ناقصاً فيه وذلك لأن ترك الذنوب لا يتصور إلا بالصبر والصبر لا يتيسر إلا بالخوف والخوف لا يتحقق إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والعلم بعظم ضرر الذنوب لا يحصل إلا بتصديق الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لم يترك الذنوب وأصر عليها يصير كأنه لم يصدق الله تعالى ورسوله فيخاف عليه أمر عظيم عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً لزوال الإيمان فيختم له بسوء الخاتمة معاذ الله تعالى ويبقى في جهنم أبد الآباد وإن لم يمت على سوء الخاتمة بل مات على الإيمان يكون في مشيئة الله تعالى إن شاء يدخله جهنم ويعذبه فيها بقدر ذنوبه ثم يخرجه منها ويدخله الجنة ولو بعد حين وإن شاء يعفو عنه ويدخله الجنة بلا عذاب إذ لا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى (مجالس رومي) ومن كان أقرب إلى الله تعالى فالمصائب له في الدنيا أكثر والبلاء عليه أشدّ أما تسمع قوله عليه السلام ﴿ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل ﴾ قال الله تعالى ﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم (بداية الهداية للإمام الغزالي ﴾ فالفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة فالقناعة راحة الأبدان وسلامة القلوب فمن قنع بالرزق المقسوم فقد فاز بالآخرة وطاب عيشه فالتوكل على الله هو الاكتفاء بالله وإسقاط الخوف والرجاء ممن سوى الله تعالى فالحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا اقنع (من المجموعة) ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ قال السدى أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تتبايعوا ما تنفقون (كشاف) أي لافداء فيه : سماه بيعاً لأن الفداء شراء نفسه ﴿ ولا خلة ﴾ أي لا صداقة ﴿ ولا شفاعة ﴾ الا بإذن الله ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ أي هم الكاملون في الظلم لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها لتوقعهم الشفاعة ممن لا يشفع لهم من الأوثان (معالم التنزيل) .



﴿ إنَّ الله يأمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ بالتوسط في الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملاً كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ﴿ وَالإِحْسانِ ﴾ إحسان الطاعات وهو أما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عيه السلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ﴿ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبىٰ ﴾ وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة ﴿ وَيَنْهىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ ﴾ عن الإفراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا فإنه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها ﴿ وَالمُنْكَرِ ﴾ ما يسكر على متعاطيه من إثارة القوة الغضبية ﴿ وَالْبَغْي ﴾ والإستعلاء والإستيلاء على الناس والتجبر عليهم ﴿ يَعِظُكُمْ ﴾ بالأمر والنهي والميز بين الخير والشر ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ تتغظون (قاضي) .

قال عليه السلام « البخيل » أي الكامل في البخل كما يفيده تعريف المبتدأ « من ذكرت عنده »أي من ذكر اسمي بمسمع منه «فلم يصلِ عليَّ » لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه وإذا صلى عليه واحدة صلى الله تعالى عليه عشرا (كذا في الجامع الصغير)قال عليه الصلاة والسلام «أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان » أي ذو حكم وسلطنة « مقسط » أي عادل «متصدق » أي محسن إلى الفقراء « موفق » بفتح الفاء الذي رزق طاعة الله والعدل في الحكم « ورجل » يعني والثاني رجل « رحيم رقيق القلب »أي في

قلبه رقة وشفقة ورحمة « لكل ذي رحم ومسلم » أي للأقارب والأجانب « وعفيف » أي والثالث رجل صالح متعفف أي مانع نفسه عما لا يحل ولا يليق « ذو عيال » ولا يحمله حب العيال على تحصيل المال الحرام بل يختار حب الله على حب العيال «وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا صبر له » أي لا تماسك له « عند » مجيء « الشهوات ﴾ فلا يرتدع عن حرام والذي بمعنى الذين ولذا أبدل منه « الذين هم فيكم تبع » قيل هم أهل البطالات لا همم لهم في عمل الآخرة «لا يبغون» أي لا يطلبون أهلاً ، فأعرضوا عن التزويج وارتكبوا الفواحش «ولا مالا » أي لا يطلبون مالاً بكسب الحلال إذ لا رغبة لهم في عمل أيديهم وقيل هم الذين يدورون حول الأمراء يخدمونهم لا يبالون من أي وجه يأكلون ويلبسون أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم همة إلى أهل ولا إلى مال بل قصروا أنفسهم على المأكل والمشرب « والخائن الذي لا يخفى له طمع » أي لا يخفى له طمعه شيء ما « وإن دق » أي قل «إلا خانه »أي إلا سعى فيه حتى يجده فيخونه أو معناه لا يطمع في موضع خيانة إلا خان ما طمع فيه وإن كان المطموع في شيئاً يسيراً أو هذا هو الثاني من الخمسة « ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك » أي لا يفارق مخادعته إياك عن أهلك ومالك « صباحه ومساءه » أي يخدعك في أكثر أحواله « وذكر » أي قال الراوي ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الخمسة «البخل والكذب » أي البخيل والكذاب فأقام المصدر مقام اسم الفاعل وهذا هو الرابع «والشنظير » بكسر الشين والظاء المعجمتين يتخللها السكون : هو السيء الخلق «والفحاش » نعت له أي هو مع سوء خلقه فحاش في كلامه وهذا هو الخامس (كذا في شرح المصابيح لابن ملك) قال الإمام القشيري قدس الله سره أمر الله تعالى العبد بالعدل فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخلق . فالعدل بينه وبين ربه إيثار حق الله تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواها والتجرد عن جميع المزاجر والتفرد بملازمة جميع الأوامر . والعدل فيما بينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها . والعدل الذي بينه وبين خلقه بذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل أو كثر والإنصاف لهم بكل وجه وأن لا يسيء إلى أحد لا بالقول ولا بالفعل ولا بالعزم . اعلم أن الأمر بهذه الأشياء الثلاثة جامع لجميع ما أمر الله تعالى به في القرآن وكذلك النهي عن الأشياء الثلاثة جامع لجميع ما نهى الله تعالى عنه في القرآن ولذلك يقرأ كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة هذه الآية لتكون عظة جامعة للناس كلهم . وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال أجمع آية في القرآن هذه . وعن علي رضي الله تعالى عنه قال جماع التقوى في قول الله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ الآية (من العيون والتيسير) روي عن عثمان بن مظعون أنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوني إلى الإسلام

فأسلمت استحياء مخالفته ولم يتقرر الإسلام في قلبي فحضرت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فبينما هو يحدثني إذ رأيت بصره يشخص إلى السماء ثم خفض رأسه عن يمينه ثم رفعه مرة أخرى ثم خفضه عن يساره ثم أقبل عليَّ محمراً وجهه يرفض عرقاً فسألته عن تلك الحالة النازلة عليه عليه السلام بينما أنا أحدثك إذ رفعت بصري إلى السماء فرأيت جبرائيل ينزل عن يميني فقال يا محمد : فقرأ إن الله يأمر بالعدل والإحسان إلى آخر الآية قال عثمان فاستقر الإيمان في قلبي يومئذ فكان نزول هذه الآية سبباً لاستقرار إيمان عثمان بن مظعون كذا ذكره ابن الشيخ فمن كان صاحب لب يتعظ بمواعظ الله تعالى ويتصح بنصائح رسول الله عليه الصلاة والسلام ويتنبه بتنبيهات العلماء والصلحاء ويتيقظ من نوم الغفلة ويشتغل بالطاعات . حكي أن الشيخ الحسن البصري رضي الله تعالى عنه مر يوماً مع أصحابه في الطريق فاستقبله ابن من أبناء الأمراء مع خدمه وحشمه راكباً فرسه فقام الشيخ في وسط الطريق فقال له يا ابن الأمير أنا أبيع كلمة أما تشتري فقال للشيخ بكم درهم تبيعها قال أبيعها بالدرهم والدرهمين فصاعدا أي بمقدارهما فقال أعط أولاً الكلمة التي تبعها بالدرهم قال يا ابن الأمير ألك بيت قال نعم قال أبنيت أم ورثت قال بنيت أنا قال كم مدة بنيت قال بنيته مدة كذا قال لم لم تبن في أيام قليلة قال رحمت الحمار الذي تحمل عليه أحجاره فلأجل هذا لم أبن في الزمان القليل قال يا ابن الأمير ترحم حماراً ولا ترحم نفسك بتحميل الذنوب والمعصي مثل الجبال الراسيات والأرض والسموات فأثر كلام الشيخ فيه ونزل عن فرسه وقبل يده وقال يا شيخ أعط الكلمة التي تبيعها بالدرهمين قال أين تذهب قال أذهب إلى باب السلطان لطلب الإمارة مع الإخوان قال لبست الألبسة الفاخرة وتطييت بالروائح الطيبة اللطيفة لئلا تخجل بينهم وإنهم بشر مثلك أفلا تخجل غداً بين الأنبياء والصالحين بكثرة الذنوب وتلوث العصيان فأثر فيه كلامه رضي الله تعالى عنه غاية التأثير فدفع فرسه إلى غلامه وبايع الشيخ واشتغل بالطاعات إلى أن مات رحمه الله (سنانية) قال عليه السلام أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال عليه السلام إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ولذا قال عليه السلام : « من كان له مَظلمة لأخيه من عرض أو شيء آخر فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر ظلمة وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » (مشكاة المصابيح) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى

يـوم القيامـة ولا ينظر إليهم ولا يـزكيهم ولهم عـذاب أليم شيـخ زان وملك كـذاب وعـائـل مستكبر » (ترغيب) .

وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من كظم غيـظاً وهو يستطيـع أن ينفذه دعـاه الله تعالى يـوم القيامـة على رؤ وس الخـلائق حتى يتخير من أي الحـور شاء » (كـذا في اللباب) روي أن الله تعـالى قال لموسى عليه السـلام من قدر وعفـا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة ومن نظرت إليه مرة واحدة لم أعذبه بنـاري (روضة المغني) فعـلى العاقـل أن يعتاد العفـو عن الناس والإحسـان إليهم ويحتـرز عن الغيظ والغضب لأنـه يؤدي إلى النار حفظنا الله من النار وأدخلنـا الجنة مـع الأبرار . حكي عن ميمـون بن مهران أن جاريته جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربهـا فقالت الجـارية يـا مولاي استعمل قول الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ قال قد فعلت فقالت استعمل ما بعده ﴿ والعافين عن الناس ﴾ قال قد عفوت عنك فقالت الجارية ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى (روضة المتقين) ﴿ الذين ينفقـون في السراء والضراء ﴾ أي في اليسر والعسر فأول ما ذكر من أخلاق المتقين الموجبة للجنـة ذكر السخـاوة وقـد جاء في الحـديث عن أبي هريـرة رضي الله تعـالى عنـه أنـه قـال قـال رسـول الله ﷺ : « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيـد من الله بعيد من الناس بعيـد من الجنة قـريب من النار ، والجـاهل سخي أحب إلى الله من عـالم بخيل ، » ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ أي الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ أن يمتلىء غيظاً فيرده في جوفه ولا يظهـره وعن النبي ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤ وس الخلائق حتى يختار من أي الحـور شـاء » ﴿ والعـافـين عن النـاس ﴾ أي عمن ظلمهم وأسـاءهم ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ (معالم التنزيل) ﴿ قال رسول الله ﷺ المـرء ﴾ أي الرجـل ﴿ على دين خليله ﴾ أي صديقه وصاحبه ﴿ فلينظر أحدكم ﴾ أي الخليل ﴿ إلى من يخالل ﴾ أي يخالله ﴿ فـاطلب رفيقاً ﴾ أي صاحباً يكون شريكك في التعلم وصاحبك ﴿ في أمر دينك «أي في فعـل دينك ﴿ ودنياك ﴾ لأن الخليل يحصل منه فوائد دينية كالعلم والعمل والدعـاء والشفاعـة في الآخرة ودنيوية كالجاه والاستئناس والمجاورة وغيـرها . وفهم من هـذا الحديث أنـه لا يصطحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة فيقع في المعصية (هذا الحـديث في بداية الهداية للإمام الغزالي) .



﴿ سُبْحانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علماً له فيقطع عن الإضافة ويمنع الصرف وانتصابه بفعل متروك إظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى السير. وليلاً نصب على الظرفية وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرىء من الليل أي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ بعينه لما روى أنه عليه السلام قال بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبرائيل عليه السلام بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه محيط به ليطابق المبدأ المنتهي لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان نائماً في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة وارتدّ ناس ممن آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال إن كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال إني لأصدّقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلفوا في أنه عليه السلام كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوا ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ

﴿ الأَقْصَى ﴾ بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسىٰ عليه السلام ومحفوف بالانهار والأشجار والثمار ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات ، والآيات وقرىء ليريه بالياء ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ لأقوال محمد عليه السلام ﴿ البَصِيرُ ﴾ بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (قاضي) . .

عن الحسن بن علي عن النبي عليه السلام أنه قال : « أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم مغفرة لذنوبكم واطلبوا لي الوسيلة والدرجة الرفيعة فإن وسيلتي عند ربي شفاعة لكم (الجامع الصغير) وعن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له شفاعتي يوم القيامة » (شفاء شريف) سبب نزول هذه الآية أن النبي عليه السلام لما ذكر الإسراء وكذبوه أنزلها الله تصديقاً لنبيه وقال البرهان النسفي لما وصل النبي عليه السلام إلى الدرجات العاليات والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يا محمد بماذا أشرفك قال عليه السلام : « تشرفني بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية » فأنزل الله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾ (معراجية) وفي تصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب قرينة دالة على أن الوارد بعدها أمر خارق للعادة وآية لا يقدر عليها أحد إلا الله فلما قيل ليلاً تبين بتلك القرينة أن المراد منه بعض الليل فإن التبعيض قريب من التقليل فكأنه قيل أسرى بعبده في بعض الليل من مكة إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة فتعين بهذه القرينة تقليل مدة الإسراء والدلالة على أن الإسراء واقع في بعض الليل (شيخ زاده ﴾ فإن قلت لفظ من في قوله ﴿ من آياتنا ﴾ يقتضي التبعيض وقال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ﴾ وظاهر هذا يدل على تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد ولا قائل به فما وجهه ؟ قلت ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله تعالى لأن آيات الله تعالى أفضل من ذلك فالذي رآه محمد عليه السلام من آيات الله وعجائبه أفضل من ملكوت السموات والأرض. فظهر بذلك فضل محمد عليه السلام على إبراهيم عليهُ السلام (من تفسير اللباب) الحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح وجهان أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر العجيب فكأن الله عجب من خلقه بما أسندوا إلى رسوله محمد عليه السلام من

الاستهزاء والسخرية ، والثاني أن يكون خرج مخرج الردّ عليهم لأنه عليه السلام لما حدثهم عن الإسراء كذبوه فيكون المعنى تنزه الله أن يتخذ رسولاً كذاباً (إمام أبو حارث) فإن قلت ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد ؟ قلت إن التسبيح جاء مقدماً على التحميدمثل فسبح بحمد ربك وسبحان الله والحمد لله لأن التسبيح هو التنزيه والتحميد هو الثناء والتنزيه هو التخلية والتحميد التحلية والتخلية مقدمة على التحلية (معراجية) وقال بعضهم المراد بالمسجد الحرام مسجد مكة وقد قال عليه السلام أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام وهو مسجد مكةَ شرفها الله تعالى وقد قال الله تعالى ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى العالمين ﴾ وفي الصحيحين عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال أول مسجد وضع في الأرض المسجد الحرام وبعده المسجد الأقصى الذي أسسه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة (معراجية) فإن قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف يصح الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى فقط ؟ قلت كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كان عروجه إلى السماء على المعراج وفائدة ذكر المسجد الأقصى فقط أنه عليه السلام لو أخبر بصعوده إلى السماء أوّلا لاشتدّ إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما أخبر عنه من العلامات وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك أن الأقصى كالتوطئة لمعراجه إلى السماء فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعراجه إلى السماء (تفسير الخازن) وعن الزهري وعروة أن النبي عليه السلام لما أصبح ليلة أسرى به وأخبر الناس بذلك ارتد ناس ممن صدقوه عليه السلام وفتنوا فتنة عظيمة وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ومنه إلى السموات وجاء قبل أن يصبح قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أأنت تصدقه في هذا قال نعم أصدقه فيما هو أبعد من ذلك فلذا سمي الصديق وجاء واحد منهم فقال يا محمد قم فقام عليه السلام فقال ارفع إحدى رجليك فرفع ثم قال ارفع الأخرى فقال إن رفعتها أسقط فقال الكافر إذا لم ترفع عن الأرض شبراًفكيف رفعت إلى السماء وإلى سدرة المنتهى فقال عليه السلام أخرج من المسجد واحك بهذا القول لعلي فإنه يجيبك فخرج من المسجد فلقي علياً فحكي له القصة فسل سيفه فضرب عنقه فمات فأنكر الأصحاب على علي وقالوا لم قتلته وقول النبي عليه السلام معقول وهو أمرك بالجواب لا بالقتل فقال علي جواب المعاند يكون هكذا فإن الرسول عليه السلام لم يعجز عن جوابه لكن علم أنه لا «يقبل الجواب فأرسله إليّ لأقتله وجوابه أن الرسول بحوله

وقوته عاجز من العروج مقدار شبر لكن أمر المعراج إنما حصل بقوة القادر القوي الذي جميع القدر عند قدرته كذرّة من الشمس وقطرة من البحر ثم اجتمعوا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجلسوا حوله يسألون عن أشياء في بيت المقدس فقالوا أخبرنا عن عيرنا أي تجارنا الذين مضوا إلى الشام هل لقيت شيئاً منها قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء أخذته فشربته ثم وضعته كما كان فأسألوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه علامة ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا متى تجيء إلينا قال عليه السلام مررت بها بالتنعيم وهو موضع قبيل الحرم قالوا فما عددها وأحمالها وهيئتها ومن فيها قال هي كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق وهو ما يكون لونه كلون التراب عليه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس قالوا هذه علامة فخرجوا في آخر الليل ينتظرون العير ليستدلوا بها على صدقه في خبر السماء إن ظهر صدقه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر منهم هذه الإبل والله قد طلعت يقدمها بعير أورق وفيها فلان وفلان كما أخبر عليه السلام فلم يؤمنوا وقالوا إن هذا إلا سحر مبين (موعظة) عن أبي سعيد الخدري أنه سئل النبي عليه السلام عن الليلة التي أسرى به فيها فقال : « أتيت بدابة وهي أشبه الدواب بالبغل وهو البراق الذي كان يركبه الأنبياء قال فانطلق بي يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن شمالي فمضيت ولم ألتفت إليه ثم استقبلتني امرأة وعليها من كل زينة فمدت يدها وقالت على رسلك فمضيت ولم ألتفت إليها ثم أتيت بيت المقدس أو قال المسجد الأقصى فنزلت وأوثقته بالحلقة التي كانت الأنبياء يوثقونه بها ثم دخلت المسجد فصليت فقلت يا جبرائيل سمعت نداء عن يميني فقال ذلك داعي اليهودية أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك فقلت سمعت نداء عن شمالي فقال ذلك داعي النصرانية أما إنك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك وأما المرأة فكانت الدنيا تزينت لك أما إنك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ثم أتيت بإنائين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقال لي اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته وتركت الخمر فقال جبرائيل أصبت الفطرة أي أعطيت أمتك الإسلام أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك » (قصة) روي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لما كانت ليلة أسرى بي وأنا بمكة بين النوم واليقظة جاءني جبرائيل فقال يا محمد قم فقمت فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتني بطست من ماء زمزم لكي أطهر قلبه وأشرح له صدره قال عليه السلام فشق بطني وغسله ثلاث مرات وقد اختلف إليه ميكائيل بثلاثة طسوت من ماء فشرح صدري ونزع ما كان فيه من غل وملأه حكمة وعلماً وإيماناً وختم بين

كتفي بخاتم النبوة ثم أخذ جبرائيل بيدي حتى انتهى إلى سقاية زمزم فقال للملك ائتني بذنوب من ماء زمزم أو من ماء الكوثر وقال لي توضأ فتوضأت ثم قال انطلق يا محمد فقلت إلى أين فقال إلى ربك ورب كل شيء فأخذ بيدي وأخرجني من المسجد فإذا أنا ببراق فوق الحمار ودون البغل خده كخد الإنسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كقوائم الإبل وأضلافه كأضلاف البقر وظهره كأنه درّة بيضاء عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان في فخذيه يمر مثل البراق خطوة عند منتهى طرفه فقال اركب وهي دابة إبراهيم عليه السلام التي يزور عليها البيت الحرام فركبته ثم سار ومعه جبرائيل فقال انزل فصل قال فنزلت وصليت فقال جبرائيل أتدري أين صليت قلت لا قال صليت بطيبة وإليها المهاجر إن شاء الله ثم سرنا ثم قال انزل فصل فنزلت وصليت فقال أتدري أين صليت قلت لا قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم سرنا ثم قال انزل فصل فنزلت فصليت قال أتدري أين صليت فقلت لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ثم مضينا حتى أتينا بين المقدس فلما انتهيت فإذا أنا بملائكة قد نزلوا من السماء وتلقوني بالبشارة والكرامة من عند الله تعالى يقولون السلام عليك يا أول يا آخر يا حاشر قال قلت يا جبرائيل ما تحيتهم إياي قال إنك أول من تنشق عنه الأرض وعن أمتك وأول شافع وأول مشفع وأنك آخر الأنبياء وأن الحشر بك وبأمتك ثم جاوزنا حتى انتهينا إلى باب المسجد فأنزلني جبرائيل وربط البراق في الحلقة التي كانت تربطه الأنبياء فيها بخطام من حرير الجنة فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء والمرسلين وفي حديث أبي العالية أرواح الأنبياء الذين بعثهم الله من قبلي من لدن إدريس ونوح عليهما السلام إلى عيسى عليه السلام قد جمعهم الله عز وجل فسلموا عليّ وحيوني مثل تحية الملائكة قلت يا جبرائيل من هؤلاء قال إخوانك الأنبياء عليهم السلام ثم أخذ جبرائيل بيدي فانطلق بي إلى الصخرة فصعد بي فإذا معراج إلى السماء لم أر مثله حسناً وجمالاً لم ينظر الناظرون إلى شيء قط أحسن منه ومنه تعرج الملائكة أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء إحدى عارضتيه ياقوتة والأخرى زبرجدة درجة من فضة ودرجة أخرى من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو المعراج الذي يهبط منه ملك الموت لقبض الأرواح فإذا رأيتم ميتكم شخص بصره فإنه تنقطع عنه المعرفة إذا عاينه لحسنه فاحتملني جبرائيل عليه السلام حتى وضعني على جناحه ثم ارتفع إلى سماء الدنيا من ذلك المعراج فقرع الباب فقيل من ذا فقال أنا جبرائيل فقيل من معك قال محمد ففتح الباب فدخلنا فيه وبينما أنا أسير في سماء الدنيا إذ رأيت ديكاً له ريش أبيض كأشد بياض ما رأيت مثله قط وله زغب أخضر تحت ريشه كأشد خضرة ما رأيت مثلها قط وإذا رجلاه في تخوم الأرض السفلى

ورأسه تحت العرش له جناحان في منكبيه إذا انشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذ كان بعض الليل نشر جناحيه وحفق بهما وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول : سبحان الملك القدوس الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم . فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت ديكة الأرض فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم أزل منذ رأيت ذلك الديك مشتاقاً إلى أن أراه ثانياً قال عليه السلام ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاستفتح إلى آخره ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فاستفتح إلى آخره ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاستفتح إلى آخره ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاستفتح إلى آخره ثم صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح إلى آخره ثم صعدنا إلى السماء السابعة فاستفتح إلى آخره ثم دخلنا فإذا أنا برجل أشمط جالساً على كرسي عند باب الجنة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه فقلت يا جبرائيل من هذا الأشمط ومن هؤلاء وما هذه الأنهار قال هذا أبوك إبراهيم أوّل من شمط على الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا إبراهيم مستند إلى بيت فقال جبرائيل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة فإذا خرجوا لم يعودوا إليه قال عليه السلام فأتى بي جبرائيل إلى سدرة المنتهى فإذا هي شجرة لها أوراق الواحدة منها تغطي الدنيا بما فيها وإذا نبقها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فسألت جبرائيل فقال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات قال ثم انتهيت إلى سدرة المنتهي وأنا أعرفه ورقها وثمرها فغشيها من نور الله ما غشي أي تجلى وغشيها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله تعالى فلما غشيها ما غشي تحولت حتى لا يستطيع أحد أن ينعتها قال عليه السلام وفيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ومقام جبرائيل في وسطها فقال لي جبرائيل تقدم فقلت يا جبرائيل تقدم أنت فقال بل تقدم يا محمد إنك أكرم على الله مني فتقدمت وجبرائيل على أثري حتى انتهى بي إلى حجاب فراش الذهب فحرّك الحجاب فقيل من ذا قال أنا جبرائيل ومعي محمد قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني وتخلف جبرائيل فقلت إلى أين فقال يا محمد وما منا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلائق وإنما أذن لي في الدنو من الحجاب لاحترامك وإجلالك فانطلق بي الملك في أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال أنا صاحب فراش الذهب وهذا محمد رسول من العرب معي قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب حتى وضعني بين يديه فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب كل حجاب

مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب خمسمائة عام ثم دلى لي رفرف أخضر ضوءه كضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملني فلما رأيت العرش وجدته أوسع من كل شيء فقرّبني الله عز وجل إلى مسند العرش ونزلت قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون أحلى منها فأنبأني الله عز وجل نبأ الأولين والآخرين وأطلق لساني بعد كلا له من هيبة الله فقلت (التحيات لله والصلوات والطيبات ﴾ فقال الله جل ثناءه (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) فقلت (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) فقال لي ربي عز وجل يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمتك كما كلمت موسى تكليماً وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلتهم أمة وسطا وجعلتهم الأولين والآخرين فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ثم أفضي إلي أموراً لم يؤذن لي أن أخبركم وفرضت عليّ وعلى أمتي في كل يوم خمسون صلاة فلما عهد إليّ بعهده وتركني ما شاء الله قال لي ارجع إلى أمتك وبلغهم عني فحملني الرفرف الذي كنت عليه ولم يزل يخفضني ويرفعني حتى أهوى بي إلى سدرة المنتهي فإذا أنا بجبرائيل أبصره بقلبي كما أبصره بعيني أمامي فقال حياك الله بما لم يحي أحداً من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً وقد بلغك مقاماً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض فهنيئاً لك بما حياك الله من المنزلة الرفيعة والكرامة الفائقة فخذ بشكره فإن الله منعم يحب الشاكرين فحمدت الله على ذلك ثم قال جبرائيل عليه السلام انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيها حتى تزداد في الدنيا زهادة إلى زهادتك وفي الآخرة رغبة إلى رغبتك فجزنا حتى وصلنا بإذن الله تعالى فما ترك فيها مكانا إلا رأيته وأخبرني عنه فرأيت القصور من الدرّ والياقوت والزبرجد ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر ورأيت في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك مفروغ عنه معدّ وإنما ينتظر به صاحبه من أولياء الله فتعاظمني الذي رأيت وقلت لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض على النار حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها ثم أخرجني من السماء فمررنا بالسموات منحدرين من سماء إلى سماء حتى أتيت إلى موسى فقال ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك فقلت خمسين صلاة فقال موسى إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إليه فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إليه فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فأتيت إليه فقال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات

كل يوم واني قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف قلت سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضي وأسلم فلما جاوزته نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية أخرى وأجزى بحسنة عشر أمثالها قال عليه السلام ثم انصرفت مع أخي جبرائيل لا يفوتني ولا أفوته حتى انصرفنا إلى مضجعي وكان ذلك في ليلة واحدة من لياليكم هذه قال عليه السلام ﴿ أنا سيد ولد آدم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لما كانت ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة عرفت أن الناس لا يصدقونني فقعد عليه السلام حزيناً فمر به أبو جهل عدو الله فأتاه فجلس إليه فقال كالمستهزىء هل استفدت من شيء قال نعم أسري بي الليلة قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال أتحدث قومك بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فجاؤا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم أسري بي الليلة قالوا إلى أين قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر الصديق فقالوا هل لك من صاحبك خبر يزعم أنه أسرى به الليلة قال أو قد قال قالوا نعم قال لقد صدق قالوا أتصدقه قال أصدقه في أبعد من ذلك (هذه القصة بإيجاز) .

وأما رؤيته عليه السلام لربه عز وجل فاختلف السلف في رؤيته سبحانه بعين بصره فأنكرته عائشة ، وعن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه يعني ليلة الإسراء في حال اليقظة فقالت قف شعري مما قلت أي أقشعر شعر جسدي مما طلبت مني ، ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ الآية وذكر الحديث وقام جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما رأى جبرائيل واختلف عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس أنه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال أن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمداً بالرؤية وحجته قوله تعالى ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قال الماوردي قيل إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكي السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس أن

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني الخ (شفاء شريف) وأما سبب المعراج فهو أن الأرض افتخرت على السماء فقالت الأرض أنا خير منك لأن الله تعالى زينني بالبلاد والبحار والأنهار والأشجار والجبال وغيرها فقالت السماء أنا خير منك لأن الشمس والقمر والكواكب والأفلاك والبروج والعرش والكرسي والجنة في وقالت الأرض فيّ بيت يزوره ويطوف به الأنبياء والمرسلين والأولياء والمؤمنون عامة وقالت السماء فيّ البيت المعمور يطوف به ملائكة السموات وفيّ الجنة التي هي مأوى أرواح الأنبياء والمرسلين وأرواح الأولياء والصالحين وقالت الأرض إن سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل الموجودات عليه أكمل التحيات وطن في وأجرى شريعته عليّ فلما سمعت السماء هذا عجزت وسكنت عن الجواب وتوجهت إلى الله فقالت إلهي أنت تجيب المضطرّ إذا دعاك وأنا عجزت عن جواب الأرض فأسألك أن تصعد محمداً إليّ فأتشرف به كما تشرفت الأرض بجماله وافتخرت به الأرض فأجاب دعوتها وأوحي الله تعالى إلى جبرائيل فقال اذهب إلى الجنة وخذ البراق واذهب به إلى محمد فذهب جبرائيل ورأى أربعين ألف براق يرتعون في رياض الجنة وعلى جبهتهم اسم محمد ورأى فيهم براقاً منكساً رأسه يبكي وتسيل من عينه الدموع فقال جبرائيل مالك يا براق قال يا جبرائيل إني سمعت منذ أربعين ألف سنة اسم محمد فوقع في قلبي محبة صاحب هذا الاسم وعشقته وبعد ذلك لم أحتج إلى طعام ولا شراب واحترقت بنار العشق فقال جبرائيل أنا أوصلك بمعشوقك ثم أسرجه وألجمه وجاء به إلى النبي عليه السلام إلى آخر القصة (أعرجية)

***



﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق والإشارة والخط إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكن في الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عيهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفمه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ على الدواب والسفن من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف

بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ﴿ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ بالغلبة والإستيلاء أو الشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده (قاضي) .

روي عن وهب بن منبه أن النبي عليه السلام قال : « من سلم عليّ عشراً فكأنما أعتق رقبة » (شفاء شريف) روي أن عمرو بن كعب وأبا هريرة رضي الله تعالى عنهما دخلا على النبي عليه الصلاة والسلام فقالا يا رسول الله من أعلم الناس قال العاقل قالا من أعبد الناس قال العاقل قالا من أفضل الناس قال العاقل لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل ولكل قوم راع وراعي المؤمن العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل (حياة القلوب) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت العقل عشرة أجزاء خمسة منها ظاهرة وخمسة منها باطنة أما الظاهرة فأوّلها الصمت كما قال عليه السلام ﴿ من صمت نجا ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من كثر كلامه كثر سقطه ﴾ والثاني الحلم والثالث التواضع كما قال عليه السلام ﴿ من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴾ والرابع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخامس العمل الصالح وأما الباطنة فأوّلها التفكر والثاني العبرة والثالث استعظام الذنوب والرابع الخوف من الله تعالى والخامس تحقير النفس وتذليلها (حياة القلوب) وفي الخبر خلق الله الحسن على سبعة أقسام اللطافة والملاحة والضياء والنور والظلمة والرقة والدقة ولما خلق الخلق وهذه الأشياء جعل لكل شيء منه قسماً واحداً منها فجعل اللطافة للجنة والملاحة للحور العين والضياء للشمس والنور للقمر والظلمة لليل والرقة والدقة للهواء وزين العالم الأكبر يعني السماء والأرض بهذه الأقسام ولما خلق تعالى آدم عليه السلام وحواء وهو العالم الأصغر زينه بكل هذه الأشياء فجعل اللطافة لروحه والملاحة للسانه والضياء لوجهه والنور لعينه والظلمة لشعره والرقة لقلبه والدقة لسره فكان الإنسان أحسن من كل شيء كما قال الله تعالى في حقه ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ (مجالس) لا نزاع في أن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة السفلية إنما النزاع في الملائكة العلوية السماوية فقال أكثر الصحابة الأنبياء عليهم السلام أفضل وعليه الشيعة وأهل الملل وقالت المعتزلة الملائكة أفضل وعليه الفلاسفة واحتج أصحابنا بوجوه الأول قوله تعالى ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ فأمروا بالسجود لآدم وأمر الأدنى بالسجود للأفضل وهو السابق إلى الفهم والثاني قوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ إلى قوله ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا

ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ فإنه يدلّ على أن آدم عليه السلام علم الأسماء كلها ولم يعلموها والعالم أفضل من غيره وقال الله تعالى ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ والثالث أن للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه وحاجته الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة منا شيء ولا شك أن العبادة مع هذه العوائق أدخل في الإخلاص وأشق فيكون أفضل وتفصيل هذا في شرح العلامة التفتازاني على العقائد فعليك بمطالعته قال عليه الصلاة والسلام ﴿ أفضل الأعمال أحمزها ﴾ أي أشقها فيكون ثوابها أكثر والرابع أن الإنسان ركب تركيباً بين مزاج الملك الذي له عقل بلا شهوة وبين مزاج البهيمة التي لها شهوةبلا عقل فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ثم إن من غلبت طبيعته على عقله فهو أشر من البهائم لقوله تعالى ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ وقوله تعالى ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم ﴾ وذلك يقتضى أن يكون من غلب عقله على طبيعته خيراً من الملائكة (كذا في شرح المواقف) (هق) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون ويلبسون الثياب وينامون ويسرحون ولم تجعل لنا شيئاً من ذلك فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا أجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن خلقته يكن فيكون أي كمن خلقته بمجرد الأمر وهو الملك يعني لا يستوي البشر والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر أكثر ومنزلته أعلى (مصابيح) يقال تركب الأفلاك والبروج مثل تركب الإنسان فكما أن الأفلاك سبعة كذلك الأعضاء والفلك منقسم إلى اثني عشر برجاً وكذا في الجسد اثنا عشر ثقباً عينان وأذنان ومنخران وسبيلان وثديان وفم وسرة ستة من البروج جنوبية وستة شمالية وكذلك ستة ثقوب من جهته اليمنى وستة من جهته اليسرى وفي الفلك سبعة أنجم وفي الجسد سبع قوى سامعة وناظرة وشامة وذائقة ولامسة وعاقلة وناطقة فحركاتك مثل حركات الكواكب وولادتك مثل طلوع الكواكب وموتك مثل غروب الكواكب وهذا الاعتبار في العالم العلوي وأما في العالم السفلي فجسدك كالأرض وعظامك كالجبال ومخك كالمعادن وعروقك كالجداول ولحمك كالتراب وشعرك كالنباتات ووجهك كالمشرق وظهرك كالمغرب ويمينك كالجنوب وشمالك كالشمال ونفسك كالريح وكلامك كالرعد وضحكك كالبرق وبكاؤك كالمطر وغضبك كالسحاب ونومك كالموت وسهرك كالحياة وشبابك كالصيف وشيخوختك كالشتاء فتبارك الله أحسن الخالقين وجعل في الكف خمسة وثلاثين عظماً وفي الرجل كذلك (زهرة الرياض) روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ﴿ رب العالمين ﴾ إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم أربعة أصناف الملائكة

والشياطين والجن والإنس ثم جعل هؤلاء الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منهم الملائكة وجزء واحد منهم الشياطين والإنس والجن ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم الشياطين وجزء واحد منهم الإنس والجن ثم جعلهما عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وجزء واحد منهم الإنس ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءاً فجعل مائة جزء منهم في بلاد الهند ومصير كلهم إلى النار وجعل اثني عشر جزءاً في بلاد الروم ومصير جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في المشرق ومصير جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في المغرب كلهم من أهل النار وبقي جزء واحد وهو ثلاثة وسبعون جزءاً اثنان وسبعون منها أهل البدعة والضلالة وفرقة منها ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (تفسير وسيط) سئل أبو بكر البلخي عن الفقير لو أخذ جائزة السلطان مع علمه أن السلطان أخذها غصباً أيحل ذلك قال إن كان السلطان خلط الدراهم بعضها ببعض فلا بأس بأخذه وإن دفع إليه عين الغصب من غير خلط لا يجوز أخذها قال الفقيه أبو الليث هذا الجواب يستقيم على قول أبي حنيفة إذ عنده من غصب الدراهم من قوم وخلط بعضها ببعض يملكها الغاصب ويكون مديوناً لهم وذكر في بستان العارفين أن الناس اختلفوا في أخذ جائزة السلطان فقال بعضهم يجوز ما لم يعلم أنه يعطيه من الحرام وقال بعضهم لا يجوز أما من أجازه فقد ذهب إلى ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال إن السلطان مثل النهر يصب إليه من الحلال والحرام فما يعطيك فخذه فإنما يعطيك من الحلال . وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « من أعطي شيئاً من غير مسألة فليأخذه فإنما هو رزق رزقه الله تعالى » . وروي عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتيهما هدايا المختار فيقبلانها مع كونه مشهور بالظلم . وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة رحمة الله عليه عن حماد أن إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى خرج إلى زهير بن عبد الله الأزدي وكان عاملاً على حلوان يطلب جائزته هو وأبو ذر الهمداني رضي الله تعالى عنه قال محمد رحمه الله تعالى وبه نأخذ ما لم نعرف شيئاً من إعطائه حراماً بعينه وهذا قول أبي حنيفة (موعظة) أقول في زماننا لا يمكن الأخذ بالقول الأحوط في الفتوى لأن الاستقصاء البالغ في الحلال على قانون الورع يفضي إلى الحرج سيما في حق الطلبة وهو مدفوع في الدين بل الشرع هو الميزان المستقيم فما لا يذمه الشرع فهو حلال ورحمة من الله تعالى على عباده فإذا تمسك أحد بالشريعة فليس لأحد أن ينكر عليه لأن الانكار استخفاف بالشريعة فمن استخفها يخاف عليه زوال الإيمان وإذا تحقق هذا فالورع والتقوى في هذا الزمان إن يجعل ما في يد كل إنسان ملكاً له ما لم يتيقن أنه بعينه

مغصوب أو مسروق وان علم يقيناً أن في ماله حراماً إذ قال قاضيخان في فتاواه رجل دخل على سلطان فقدم إليه شيئاً من المأكولات إن لم يعلم أنه بعينه غصب يحل له أن يأكل لأن الأصل في الأشياء الاباحة وإلا فلا (من استفادات الحقير) قال الله تعالى في سورة يس ﴿ وآية ﴾ عظيمة منا دالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا ﴿ لهم ﴾ أي يستدلون بها على صدقنا ﴿ أنا ﴾ أي بشأن عظمتنا ﴿ حملنا ذريتهم في الفلك ﴾ والمراد بالذرية الآباء والأجداد وإن كان اسم الذرية يقع على الأولاد ﴿ المشحون ﴾ أي المملوء والمراد بالفلك سفينة نوح عليه السلام وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح عليه السلام وكانوا في أصلاب آبائهم قال بعضهم المراد بالفلك المشحون سفينة هذا الزمان وذرياتهم في السفينة التي تجري في البحر وليس لها يد ورجل وتقطع مسيرة عشرة أيام في يوم واحد هذا كله يدل على كمال قدرتنا ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيئتها وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الأنهار كالفلك الكبار في البحر وهذا قول قتاده والضحاك وغيرهما . وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد من مثله الإبل في البر كالسفن في البحر يعني خلقنا لهم في البحر السفن يركبونها وخلقنا لهم في البر الإبل والفرس والحمار يركبونها وهذا كله يدل على قدرتنا وقوتنا (من معالم التنزيل وغيره) .

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴾ أي بعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن ﴿ نَافِلَةً لَكَ ﴾ فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبها بك ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً ﴾ مقاماً يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو يطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روي عن أبي هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاماً أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام　　(قاضي بيضاوي) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :« ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان علي إلا أنهما لم ينصرفا حتى يغفر الله ذنوبهما ما تقدم وما تأخر من

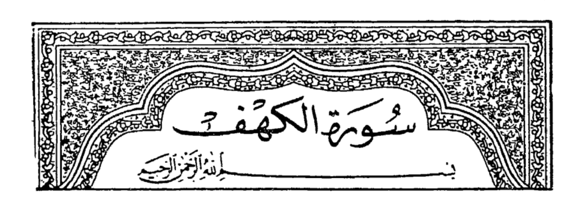
كرمه » . وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان جالساً في المسجد فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجنبه فوق أبي بكر ثم اعتذر عليه السلام فقال إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا من يصلي على أكثر منه وهو يقول كل غداة وعشي اللهم صلى على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرت أن يصلى عليه فلذلك أجلسته أعلى منك » (زبدة الواعظين) قوله ومن الليل متعلق بتهجد أي تهجد بالقرآن في بعض الليل فاترك الهجود والأظهر أن يكون متعلقاً بمقدر عطف عليه فتهجد لأن الفاء لا بد لها من المعطوف عليه والتقدير قم من الليل فتهجد بالقرآن (شيخ زاده) وقوله من الليل فتهجد أي قم بعد نومك فتهجد لأن التهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل والصلاة وكانت الليل فريضة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الأمة في ابتداء الإسلام لقوله تعالى ﴿ يا أيها المزمل قم الليل ﴾ الآية ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس بقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى ﴿ فاقرؤا ما تيسر من القرآن ﴾ وبقي الوجوب ثابتاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ أي زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله تعالى وقيل صار الوجوب منسوخاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حق الأمة فصار قيام الليل نافلة له عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك (من تفسير الخازن) المراد بالنافلة الفضيلة لفضله على أمته بوجوبهاعليه ويزداد ثواباً وهي فضيلة له لا مكفرة لذنوبه لكونه مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (شهاب) فان قلت فما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حق النبي عليه السلام قلت فائدة التخصيص أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي عليه السلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان نافلة له وزيادة في رفع الدرجات العاليات بخلاف الأمة فإن لهم ذنوباً محتاجة إلى الكفارة فهم يحتاجون إلى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة الثواب فالإشارة إلى هذا المعنى جعل تطوعات النبي عليه السلام زوائد في مثوبته بخلاف الأمة (شيخ زاده) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أمر النبي عليه السلام بقيام الليل وكتب عليه دون أمته ولكن صحح البغوي أنه نسخ عن النبي عليه السلام فرضية التهجد (شهاب) عن النبي عليه السلام أنه قال : « رحم الله تعالى رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته وإن أبت أنضح الماء وجهها ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى أنضحت الماء وجهه » (موعظة) عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي

عليه السلام أنه قال : « ثلاثة علي فريضة وسنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل » (شهاب) عن عمر بن الخطاب عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله تعالى بتسعة أشياء خمسة في الدنيا وأربعة في الآخرة الخمسة التي في الدنيا يحفظه الله من الآفات ويظهر أثر الطاعة في وجهه ويحبه قلوب عباده الصالحين والناس أجمعين وينطق لسانه بالحكمة ويجعله حكيماً أي يرزقه الفقه » . والأربعة التي في الآخرة يحشر من القبر أبيض الوجه وييسر عليه الحساب ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويعطي كتابه بيمينه يوم القيامة (روضة العلماء) عن النبي عليه السلام أنه قال ليلة أسري بي إلى السماء أوصاني ربي بخمسة أشياء فقال لا تعلق قلبك بالدنيا فإني لم أخلقها لك واجعل محبتك في فإن مصيركم إلي واجتهد في طلب الجنة وكن آيسا من الخلق فإنه ليس في أيديهم شيء ودم على التهجد فإن النصرة مع قيام الليل (شرعة الإسلام) عن النبي عليه السلام أنه قال : « من استيقظ من النوم فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رب اغفر لي لوالدي وللمؤمنين والمؤمنات فقد غفر له ربه » (زبدة الواعظين) قال إبراهيم بن أدهم نزل بي أضياف فعلمت أنهم أبدال فقلت أوصوني بوصية حتى أخاف الله تعالى كخيفتكم فقالوا نوصيك بسبعة أشياء . أولها من كثر كلامه فلا تطع فيه يقظة القلب وثانيها من كثر أكله فلا تطمع فيه الحكمة . وثالثها من كثر اختلاطه بالناس فلا تطمع فيه حلاوة العبادة . ورابعها من أحب الدنيا فلا تطمع فيه حس الخاتمة وخامسها من كان جاهلاً فلا تطمع فيه حياة القلب . وسادسها من اختار صحبة الظالم فلا تطمع فيه إستقامة الدين . وسابعها من طلب رضى الناس فلا تطمع فيه رضي الله تعالى عنه (حديث أربعين) (ت) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : ﴿ عليكم بقيام الليل فإنه رب الصالحين قبلكم من الأنبياء والأولياء ﴾ روي أن آل داود عليه السلام كانوا يقومون وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك فإنكم خير الأمم وإيماء إلى أن من لا يقوم في الليل ليس من الصالحين الكاملين ﴿ ومقرب لكم إلى ربكم ﴾ أي أقرب إلى محبة مولاكم مما تتقربون به إليه تعالى وفيه إشارة إلى الحديث القدسي وهو قوله لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه (ومكفرة للسيآت ومنهاة) هما مصدران ميميان كالمحمدة بمعنى الفاعل أي ساترة للذنوب وماحية للعيوب قال الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيآت) (وناهية عن الأثم) قال الله تعالى (إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (علي القاري عليه رحمة الباري) قال عليه السلام أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول أرضيت يا محمد فأقول يا رب رضيت (حديث أربعين)

عن عمر بن عبد العزيز أنه كان خليفة وكان من الزاهدين قالت له جاريته يوماً يا أمير المؤمنين إني رأيت رؤيا عجيبة فقال ما رأيت قالت رأيت القيامة قد قامت وحشر الناس ونصب الميزان ومد الصراط عليها وجاؤوا أولاً بعبد الملك بن مروان وقالوا له اعبر من هذا فلما وضع قدميه على الصراط وأراد أن يمشي فما مشى من خطوة أو خطوتين إلا سقط في النار ثم جاؤوا بابنه الوليد بن عبد الملك وقالوا اعبر فما وضع قدميه على الصراط إلا وقع في النار وكان الخلفاء كلهم مثل ذلك ثم جاؤوا بك يا أمير المؤمنين فلما قالت الجارية ذلك صاح عمر بن عبد العزيز صيحة واضطرب اضطراباً شديداً كالسمك في الشبك وجعل يضرب برأسه أرضاً وجداراً والجارية تصيح وتقول والله رأيت أنك في الجنة وجاوزت الصراط سالماً ولم يسمع كلامها من اضطرابه فلما سكن اضطرابه وجدوه قد مات (موعظة) قال عليه السلام يعقد الشيطان على ناصية رأس أحدكم إذ هو نائم ثلاث عقد فإذا استيقظ فذكر اسم الله تعالى انحلت عقدة واحدة ثم إذا توضأ انحلت عقدة ثانية ثم إذا صلى انحلت عقدة ثالثة فأصبح نشيطاً وإلا بال الشيطان في أذنيه (كذا في المشكاة) قال الإمام الغزالي رحمه الله إذا كان أول الليل نادى مناد من تحت العرش ألا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله ثم ينادي مناد في شطر الليل ألا ليقم الخائفون الذين يطيلون قيامهم في الصلاة إلى السحر ثم ينادي مناد ألا ليقم المستغفرون فيقومون فيستغفرون وإذا طلع الفجر ينادي مناد ألا ليقم الغافلون فيقومون من فراشهم كالموتى ينشرون من قبورهم ولذا أوصى لقمان ابنه وقال يا بني لا تكن نائماً والديك ينادي في الأسحار وأنت نائم وقال الشيخ محي الدين ابن العربي قدس سره عليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة وأقل ذلك بعشر آيات أي في الصلاة وكذا عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال قال رسول الله عليه السلام : « من قام بعشر آيات في الصلاة لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المكثرين ثواباً وهو كمن تصدق بسبعين ألف دينار (كذا في زبدة الواعظين) حكي أن موسى عليه السلام مر يوماً برجل وهو يصلي مع خضوع وخشوع فقال يا رب ما أحسن صلاته قال الله تعالى يا موسى لو صلى في كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴾ ومنع الزكاة ينشأ من حب الدنيا (موعظة) قال النبي عليه السلام من حافظ منكم على الصلاة حيث ما كان وأين ما كان جاز على الصراط كالبرق الخاطف مع أوّل زمرة من السابقين وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان له بكل يوم وليلة كأجر ألف شهيد

وقال عليه السلام ﴿ ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ﴾ فإن قلت لم هذا الأجر العظيم للفعل اليسير القليل قلت أما سمعت حكاية الشافعي رحمه الله حكي عنه أنه سقط سوطه من يده فأسرع إليه شخص فأخذه فأعطاه إياه فدفع إليه الإمام صرة فيها مبلغ عظيم فقيل له لم هذا الأجر العظيم لهذا الفعل اليسير فقال الإمام إنه استعمل فينا جميع وسعه ونحن ما استعملنا إلا البعض من وسعنا هذه معاملة الشافعي فكيف معاملة رب العالمين فإن الشافعي روى حديثاً في ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال يقبل ربي بعذر واحد ألفي كبيرة .

لا سيما تكبيرة الافتتاح في الصلاة قال النبي عليه السلام ﴿ التكبيرة الأولى خير من الدنيا وما فيها ﴾ قيل المراد منه ما لو كانت الدنيا فأنفقتها في سبيل الله تعالى لم يحصل لك ما يحصل بالتكبيرة الأولى (موعظة) .



﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ احبسها وثبتها ﴿ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالعِشِيِّ ﴾ في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ رضى الله وطاعته ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبأ ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ حال من الكاف في المشهورة ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ من جعلنا قلبه غافلاً ﴿ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ كأمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ أي تقدماً على الحق ونبذاً له وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم للخيل ومنه الفرط (قاضي) .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ من صلى عليّ صلاة ﴾ بأن قال اللهم صل على محمد معناه يا رب أعط ما أعطيته من الشرف والكرامة ﴿ صلىٰ الله عليه عشراً ﴾ الصلاة من الله على العبد رحمة له ﴿ وحطت عنه عشر خطيآت ورفعت له عشر درجات ﴾ قيل هذه الآية نزلت حين طلبت رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين عن مجلس رسول الله عليه السلام كصهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم فقالوا اطردهم عن مجلسك يا محمد حتى نجلس معك لأنهم قوم أرذلون كأن ريحهم ريح ضأن ونحن رؤساء القوم نستنكف الجلوس معهم فإن طردتهم آمنا بك فهم عليه السلام أن يفعل ذلك لحرصه على إيمانهم فنزل جبرائيل عليه السلام بقول الله تعالى ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ فقال رسول الله عليه السلام : « نهاني الله عن طرد هؤلاء فقالوا فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فقال لا أفعل فقالوا فاجعل المجلس واحداً وأقبل علينا بوجهك

وول ظهرك إليهم فنزل قوله تعالى ﴿ واصبر نفسك ﴾ الآية (معالم) وقال قتادة هذه الآية نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة فقير في مسجد رسول الله عليه السلام لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا إلى ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال عليه السلام ﴿ الحمد لله الذي عنه جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم ﴾ (معالم التنزيل) عن أنس رضي الله عنه أنه قال بعث الفقراء إلى رسول الله واحداً فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك قال عليه السلام : « مرحباً بك وبمن أقدمك جئت من قوم أحبهم الله فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا نقدر عليه ويتصدّقون ولا نقدر عليه ويعتقون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً فقال عليه السلام سلم على الفقراء وبلغهم عني أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليست للأغنياء الأولى أن في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ولا يصل إليها إلا نبي أو ولي أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها حيث ما شاؤ وا ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب المال والملك الذي أعطاه الله تعالى في الدنيا وقال عليه السلام ﴿ إن الفقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيام في الجنة بأربعين خريفاً ﴾ أي سنة فإن قلت ما التوفيق بين الحديثين قلنا يجوز أن يكون السابق بخمسمائة عام فقيراً صابراً والسابق بأربعين خريفاً غير صابر ويجوز أن يكون السابق بأربعين خريفاً فقراء المهاجرين على أغنيائهم لا مطلق الفقراء ولا الأغنياء ، » وحكي أن رجلاً سأل عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال ألك امرأة تأوي إليها فقال نعم قال ألك مسكن تسكن فيه قال نعم قال أنت من الأغنياء قال فإن لي خادماً فقال أنت من الملوك ، والثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك مخلصاً لم يبلغ ثواب الغني مثل ثواب الفقير وإن أنفق الغني معها عشرة آلاف درهم وكذا الحال في كل أعمال البر فرجع إليهم رسولهم فأخبرهم بذلك فاستبشروا وقالوا رضينا يا رب بالفقر . انتهى (من ابن ملك على المشارق) وقال أبو الليث للفقراء خمس كرامات ، إحداها أن ثواب عملهم أكثر من ثواب عمل الأغنياء في الصلاة والصدقة وغيرهما ، والثانية أن الفقير إذا اشتهى شيئاً لا يجده يكتب له من الأجر ، والثالثة أنهم سابقون إلى الجنة ، والرابعة أن حسابهم في الآخرة أقل ، والخامسة أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتمنون في الآخرة أن لو كانوا فقراء ، وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت يوماً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على حصير وإذا الحصير قد أثر في جنبه الشريف فنظرت في خزينته

فرأيت نحو صاع من شعير فبكيت فقال ما يبكيك قلت كسرى وقيصر ينامون على فراش حرير وأنت رسول الله أرى فيك من الفقر ما أرى فقال عليه السلام يا عمر ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا وإنما قال لنا ولم يقل لي مع كون السؤال عن حاله إشارة إلى أن الآخرة لمتابعيه ويروي يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا يعني أن حظ الكفار ما نالوه من نعيم الدنيا ولا حظ لهم في الآخرة . انتهى (من ابن مالك على المشارق) وقال عليه السلام : « يقوم فقراء أمتي يوم القيامة وجوههم كالقمر وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبأيديهم أقداح من نور ويجلسون على منابر من نور والناس في الحساب وينظر أهل الجنة إليهم فيقولون أهؤلاء من الملائكة فيقولون لا وينظر إليهم الملائكة فيقولون أهؤلاء من الأنبياء فيقولون لا بل نحن من أمة محمد عليه السلام فيقولون بأي الأعمال رزقكم الله تعالى هذه الدرجات فيقولون لم تكن أعمالنا كثيرة ولم نصم الدهر ولم نقم الليل بل كنا نحافظ على الصلوات الخمس بالجماعة وإذا سمعنا اسم محمد عليه السلام فاضت عيوننا بالدمع وكنا ندعو من قلب خاشع ونشكر الله على الفقر الذي أصابنا » (زبدة الواعظين) وعن عمر بن شعيب أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « خصلتان من كانتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على فضل الله عليه كما قال الله تعالى ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ وعن شقيق الزاهد رحمه الله تعالى أنه اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (زبدة الواعظين) وقال الجنيد البغدادي الفقر ثلاثة أحرف الفاء هو الفناء والقاف هو القناعة والراء هو الرياضة وإن لم تكن هذه الصفات موجودة في الفقير لا يكون فقيراً : قيل الموالي أي الأغنياء يدخلون الجنة بعد مماليكهم بخمسمائة سنة وفقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لكن ينبغي لك أن تعرف أن السبق لا يستلزم رفع الدرجات على من تأخر بل قد يكون بعض من تأخر كالذين أنفقوا ما لهم في وجوه الخيرات أرفع درجة ممن سبقه في الدخول (من ابن مالك) حكي أن الجنيد البغدادي لما مات أبدل مكانه رجلاً يقال له محمد الحريري وهو قد جاور مكة سنة لم يفطر ولم ينم ولم يسند ظهره إلى جدار ولم يمد رجليه فلما مضى من عمره ستون سنة جلس في مقام القطبية قيل له أي شيء رأيت من العجائب قال بينا أنا جالس في زاوية إذ دخل عليّ شاب حاسراً رأسه وحافياً رجليه متفرقاً شعره مصفراً وجهه فجعل يتوضأ وصلى ركعتين ثم جر رأسه في جيبه حتى حضر وقت المغرب فصلى معنا

المغرب ثم جر رأسه في جيبه فاتفق في تلك الليلة أن دعا خليفة بغداد الصوفية للصحبة فأردنا الخروج للإجابة فقلت له يا فقير أتريد أن تخرج معنا لإجابة دعوة الخليفة قال ليس لي حاجة عند الخليفة ولكن أريد أن تجعل لي عصيدة سخينة فقلت في نفسي لا يوافقني في الإجابة ويريد مني شيئاً فتركته وأتيت مجلس الخليفة ثم أتيت زاويتي فرأيت الشاب كأنه نائم فنمت أنا فإذا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الشيخان الأنوران وخلفه جماعة عظيمة تتلألأ وجوههم نوراً فقيل لي هذا رسول الله وعن يمينه إبراهيم خليل الله وعن يساره موسى كليم الله والذين خلفه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين فاستقبلت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأقبل يده فحول وجهه عني ثم فعلت كذا فحول وجهه ثانياً وثالثاً فقلت يا رسول الله أي شيء صدّر مني أعرضت عني بوجهك الكريم فنظر إليّ محمراً وجهه كالياقوتة الحمراء لجلاله فقال إن فقيراً من فقرائنا أراد منك عصيدة فبخلت بها وتركته جائعاً في هذه الليلة فانتبهت خائفاً ترتعد فرائص وهي اللحوم التي تتعلق بالعصب فغاب الشاب فلم أجده في مكانه فخرجت من الزاوية ورأيته يذهب فقلت يا فتى بالله الذي خلقك أصبر ساعة حتى أجيء بعصيدة فنظر إليّ متبسماً فقال يا شيخ من أراد لقمة منك فأين يجد مائة وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء يأتونك شفعاء للقمة من عصيدة قال هكذا وغاب (مشكاة الأنوار) قال الله تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ مثل نفقات المنفقين في طاعته ﴿ كمثل حبة ﴾ لزارع زرعها في أرض عامرة ﴿ أنبتت سبع سنابل ﴾ فرضا وتقديراً والمنبت هو الله ولكنها سبب الإنبات أي أخرج سبع شعب من أصلها لجودة الحبة وحذاقة الزارع وعمارة الموضع وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة وهو سنبلات ﴿ في كل سنبلة مائة حبة ﴾ فيكون جملتها سبعمائة حبة فكذلك المتصدق الصالح بالمال الصالح إذا أعطاه من يستحقه بإذن الشرع يعطيه الله بكل صدقة سبعمائة حسنة أو أكثر ﴿ والله يضاعف ﴾ أي يزيد الثواب ﴿ لمن يشاء ﴾ من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت الأحوال بينهم ﴿ والله واسع ﴾ أي واسع الفضل لتلك الأضعاف ﴿ عليم ﴾ بإنفاقهم ونياتهم ثم بين لهم طريق الإنفاق في سبيله لنيل ثوابه فقال ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ أي يصرفونها في مواضعها ﴿ ثم لا يتبعون ما أنفقوا ﴾ منها ﴿ منا ﴾ أي لا يمنون عليهم بما تصدقوا بأن يقول المتصدق المانّ اصطنعتك كذا وأحسنت إليك كذا ﴿ ولا أذى ﴾ أي ولا يؤذونهم بأن يقول المتصدق المؤذي إني قد أعطيتك فما شكرت أو إلى كم تأتيني وتؤذيني أو كم تسأل ألا تستحي ﴿ لهم أجرهم ﴾ ثوابهم مهيئاً ﴿ عند ربهم ولا خوف عليهم ﴾ في الآخرة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على ما خلفوا من أمر الدنيا ، قيل نزلت هذه الآية في شأن عثمان حين اشترى بئر رومة وجعلها سبيلاً على

المسلمين ثم قال الله تعالى تأكيداً لنفي المن والأذى ﴿ قول معروف ﴾ الآية ﴿ تفسير عيون ﴾ قال النبي عليه السلام« : « الضيف بركة من الله ونعمة من الله ومن أكرم الضيف فهو معي في الجنة ومن لم يكرم الضيف فليس مني وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أراد أن يحبه الله تعالى ورسوله فليأكل مع ضيفه . وقال النبي ﷺ في حق الصدقة وفضائلها ﴿ الصدقة ستر من النار فإذا كان يوم القيامة يستظل الناس بظل صدقاتهم ﴾ (زهرة الرياض) .

بسم الله الرحمن الرحيم

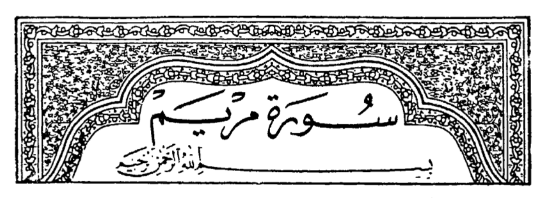
﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ اذكر لهم ما شبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة ﴿ كَمَاءٍ ﴾ هو كماء ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لأضرب على أنه بمعنى صير ﴿ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضاً من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيماً ﴾ مهشوماً مكسوراً ﴿ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ تفرقه وقرىء تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات بالماء يكون أخضر وارفاً ثم هشيماً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿ مُقْتَدِراً ﴾ قادراً ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يتزين بها الإنسان في دنياه وتفنى عنه عن قريب ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب ﴿ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ من المال والبنين ﴿ ثَوَاباً ﴾ عائداً ﴿ وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا (قاضي) .

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه السلام أنه قال :

« إن الله تعالى خلق ملكاً وأعطاه سمع الخلائق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم الدين فما من أحد من أمتي يصلي عليّ إلا سماه باسمه واسم أبيه وقال يا محمد إن فلان بن فلان يصلي عليك » (أبو السعود) قال عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام يوم أمس قد مضى ما بيدك منه شيء ويوم غد لا تدري أتدركه أم لا ويوم أنت فيه فاغتنمه ؛ الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة لا تدري أتدركها أم لا وساعة أنت فيها فاغتنمها فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة إذ الوقت من ساعة إلى ساعة ، الدنيا ثلاثة أنفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت ونفس لا تدري أتدركه أم لا ونفس أنت فيه فلست تملك إلا نفساً واحداً لا يوماً ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد إلى الطاعة قبل أن تفوت وإلى التوبة قبل أن تموت فلعلك في النفس الثاني تموت وأفضل الأعمال حفظ الأوقات عند الأنفاس فإن من ضيع وقته ضيع عمره (تنبيه الغافلين) وفي الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال : « لرجل وهو يعظه اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك لأن الإنسان يقدر على الأعمال في حال شبابه ما لا يقدر في حال هرمه فينبغي أن يجتهد في هذه الخمسة ويغتنم أيام الصحة وفي وقت الفراغ ما دام حياً فمن اشتاق إلى الله تعالى سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات » (تنبيه الغافلين) روي أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جاء من الكتاب وهو يبكي فقال له عمر رضي الله تعالى عنه ما يبكيك يا ولدي ؟ فقال إن الصبيان في الكتاب عدّوا رقاع قميصي وقالوا انظروا إلى ابن أمير المؤمنين كم رقعة في قميصه وقد كان ثوب عمر مرقعاً في أربعة عشر موضعاً وبعض الرقع كان من أديم فبعث عمر إلى الخازن وقال أقرضني من بيت المال أربعة دراهم إلى رأس الشهر فإذا كان رأس الشهر اجعله من مشاهرتي أي مما آخذ من وظيفتي شهراً فشهراً من بيت المال فكتب إليه الخازن يا عمر أتأمن على حياتك شهراً حتى أنقد لك فما تفعل بدراهم بيت المال لو مت وبقيت عليك فلما سمع عمر كلام الخازن بكى وقال يا بني ارجع إلى الكتاب فإني لا آمن على روحي ساعة (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى إلى سبيله، وفي رواية من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله تعالى ما لا يخطر بباله وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً . وفي حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه ما ترك عليه السلام إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة قالت رضي الله عنها ولقد مات عليه الصلاة والسلام وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي وقال عليه

الصلاة والسلام إنه عرض عليّ أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك . وفي حديث آخر إن جبرائيل عليه السلام نزل فقال له يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبرائيل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له ؛ فقال له جبرائيل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت إنا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ما هو إلا التمر والماء (شفاء شريف) (طب) عن سعيد عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال : « يا بلال مت فقيراً ولا تمت غنياً » . قالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلىء جوف النبي شبعاً قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإنه كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء لسأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك ، فيقول يا عائشة مالي وللدنيا إخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن توفرت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم وما من شيء هو أحب إليّ من اللحوق بإخواني وأخلائي ، قالت فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفي صلى عليه وآله وسلم (شفاء شريف) وعن جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر أبيض الثياب فقال السلام عليك يا رسول الله ما الدنيا ؟ قال كحلم النائم قال وما الآخرة ؟ قال فريق في الجنة وفريق في السعير قال فما الجنة ؟ قال بدل الدنيا لتاركها فإن ثمن الجنة ترك الدنيا قال فما جهنم ؟ قال بدل الدنيا لطالبها قال فما خير هذه الأمة ؟ قال الذي يعمل بطاعة الله تعالى قال فكيف يكون الرجل فيها ؟ قال مشمراً كطالب القافلة قال فكم القرار فيها ؟ قال كقدر المتخلف عن القافلة قال فكم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال غمضة عين قال جابر فذهب الرجل فلم نره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا جبرائيل أتاكم ليزهدكم في الدنيا ويرغبكم في الآخرة (زبدة الواعظين) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض من الدنيا وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها . قال عليه الصلاة والسلام إذا طلبتم من الدنيا شيئاً فتعسر عليكم وإذا طلبتم من الآخرة شيئاً فتيسر لكم فاعلموا أن الله تعالى يحبكم . قال النبي عليه الصلاة والسلام من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم قلبه أربع خصال : الأولى هماً لا ينقطع عنه أبداً والثانية شغلاً لا يتفرغ منه أبداً والثالثة فقراً لا

يبغ عنى ابدا والرابعة آملا لا يبلغ منتهاه أبداً » (زبدة الواعظين) قال صلى الله عليه وآله وسلم : « حب الدنيا رأس كل خطيئة فعليك بالإعراض عنها » وقال ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها لميله اليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها . قيل الدنيا مثالها مثال حية فيها سم وترياق فوائدها ترياقها وغوائلها سمها ، فمن علمها ينتفع بترياقها ويحترز من سمها (من الموعظة الحسنة) روي أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنفق في سبيل الله أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء وإنه لم يخرج من داره ثلاثة أيام لما لم يجد ما يستر به عورته ولم يحضر إلى النبي عليه السلام فحضر عليه السلام إلى بيوت نسائه وفتش ولم يجد شيئاً زائداً على حوائجهن وجاء النبي عليه السلام إلى بيت فاطمة فاغتم لأبي بكر وقال ليس عندنا شيء نعطيه لأبي بكر وكذلك فاطمة اغتمت فخرج عليه السلام من عندها حزيناً وبقيت فاطمة حزينة لما لم تجد شيئاً تعطيه . وحين زوجها النبي عليه السلام من علي دعا أبا بكر وعمر وعثمان وأسامة رضي الله عنهم ليحملوا جهاز فاطمة فحملوا طاحونة وجلداً مدبوغاً ووسادة حشوها ليف وكوزاً وقصعة فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله هذا جهاز فاطمة فقال النبي عليه السلام : « يا أبا بكر هذا كثير لمن كان في الدنيا فخرجت فاطمة عروساً عليها شملة من صوف رقعت في اثني عشر مكاناً وكانت تطحن الشعير باليد وتقرأ القرآن باللسان وتفسره بالقلب وتحرك المهد بالرجل وتبكي بالعين وامرأة زماننا تضرب الدف باليد وتغتاب باللسان وتحب الدنيا بالقلب وتغمز بالعين فكيف ندخل الجنة ثم لما خرج النبي عليه السلام حزيناً من بيت فاطمة قصدت إلى وسادة كانت من جهازها وعباءة كانت نسجتها بنفسها وبعثت بجارية لها فقالت قولي لأبي بكر قد علمنا ما فعلت في حق أبينا ولم يكن عندنا شيء سوى هذه الوسادة التي جهزني بها والدي والعباءة فلما وصلت الجارية إلى الباب نادت وقالت السلام عليك يا صاحب الصدق إن سيدتي فاطمة بنت النبي عليه السلام تقرئك السلام وتقول لك كذا فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليها السلام وأخذ تلك العباءة فاشتمل بها من غير خياطة استعجالاً ليرى وجه النبي عليه السلام وخللها بخلال من شوك النخل لئلا ينكشف وقت المشي فخرج إلى النبي عليه السلام ماشياً حافياً فجاء جبرائيل إلى النبي عليه السلام فرآه قد اشتمل بعباءة وخللها بشوك النخل فقال عليه السلام : « يا أخي جبرائيل إني قبل هذه الحالة ما رأيتك قط بهذه الصورة » قال جبرائيل يا رسول الله أنت تراني ولم يبق في ملكوت السموات إلا من تزيّا بهذه الصورة حباً لأبي بكر وموافقة له وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك قل لأبي بكر أهو راضٍ عني وأنا راضٍ عنه فأخبره النبي عليه السلام بذلك فبكى أبو بكر وقال إلهي أنا عنك راضٍ وأنت راضٍ عني ثلاث مرات (تنبيه الغافلين) وقال عليه السلام : « أربع خصال من الشقاوة جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل وحب الدنيا وقال عليه السلام لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة أو جناح طير ما سقي كافراً منها شربة ماء



﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ﴾ وهو سبط شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس فلقب به لكثرة درسه إذا روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَدِّيقاً نَبِيّاً وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً ﴾ يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة (قاضي) .

وقد روى عبدالرزاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « صلوا على أنبياء الله تعالى ورسله فإنه بعثهم كما بعثني » . وروي أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر الصلاة على محمد . فالمسألة الشرعية مختلفة بين العلماء قال صاحب الشفاء أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لا تجوز الصلاة على غير النبي وقال لا ينبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين والاختلافات كثيرة ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر رضي الله عنهما وبما جاء في حديث تعليم النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقال النبي عليه السلام اللهم صل على آل أبي أوفى وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذرياته (من شفاء قاضي) والمراد بالآل قيل أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي عليه السلام من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد نفسه فإنه عليه السلام كان يقول في صلاته اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه الشريفة (شفاء شريف) وفي الخبر إذا أراد الله تعالى قبض روح المؤمن يجيء ملك من قبل الفم

ليقبض روحه فيخرج الذكر فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة إنما أجرى فيه ذكر ربي فيرجع ملك الموت إلى ربه فيقول قال كذا وكذا فيقول الله تعالى اقبض من جهة أخرى فيجيء ملك الموت من قبل اليد فيخرج منها الصدقة ومسح رأس اليتيم وكتب العلم وضرب السيف فيقول كالأول ثم يجيء إلى أذنيه فيقول كالأول فإنه قد مشى بي إلى الجماعة والأعياد ومجالس العلم ثم يجيء إلى أذنيه فيقول كالأول فإنه سمع بي القرآن والذكر ويجيء إلى العين فيقول كالأول فإنه نظر بي إلى المصاحف والكتب ثم ينصرف ملك الموت إلى الله تعالى فيقول يا رب غلبتني أعضاء العبد بالحجة كيف أقبض روحه فيقول الله تعالى اسمي على كفك وأرني روح المؤمن فتراه روح المؤمن فتحبه فتخرج من الفم فمن بركة اسمه تنصرف عنه مرارة النزع فكيف لا ينصرف عنه العذاب والقطيعة والفضيحة وكذلك على صدوركم اسم الله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه أفلا ينصرف عنكم العذاب وأهوال يوم القيامة (الموعظة الحسنة) روي أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوّى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين فختم القرآن بالتدبير فما وجده فرأى النبي عليه السلام في منامه فقال يا رسول الله قال الله تعالى ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ فما وجدت معنى هذا الحديث فيه فقال اطلبه في سورة يوسف فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى ﴿ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهنّ ﴾ الآية أي لما رأين جمال يوسف اشتغلن به وما وجدن ألم التقطع وكذلك المؤمن إذا رأى الملائكة ورأى مقامه في الجنة وما فيها من النعيم والحور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت إن شاء الله تعالى كما في قوله تعالى ﴿ تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ (شرعة الإسلام) وفي الخبر إذا وقع العبد في النزع ينادي المنادي دعه حتى يستريح وكذلك إذا بلغت الروح الركبتين والمسرّة وإذا بلغت الصدر قال دعه حتى يستريح وكذلك إذا بلغت الحلقوم يجيء النداء دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضاً فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة وكذلك الأذنان واليدان والرجلان وتودع الروح النفس « فنعوذ بالله من وداع الإيمان اللسان ووداع القلب المعرفة فتبقى اليد بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعينان لا نظر لهما والأذنان لا سمع لهما والبدن لا روح له ولو بقي اللسان بلا إقرار والقلب بلا معرفة وتصديق فكيف حال العبد في اللحد لا يرى أحداً ولا أباً ولا أماً ولا ولداً ولا إخواناً ولا أصحاباً ولا فرشاً ولا حجاباً فإن لم ير ربا كريماً فقد خسر خسراناً عظيماً (دقائق الأخبار) قيل في سبب رفع إدريس عليه السلام إلى الجنة أنه كان يرفع له كل يوم وليلة من العمل مثل عمل أهل الأرض

فاشتاق إليه ملك الموت وسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارته فأذن له فأتى إليه على صورة آدمي وسلم عليه وجلس عنده وكان إدريس عليه السلام صائم الدهر فإذا دنا وقت إفطاره أتاه ملك بطعام الجنة فأكل ادريس عليه السلام فقال لملك الموت كل أنت أيضاً فلم يأكل فقام ادريس عليه السلام واشتغل بالعبادة وهو جالس عنده حتى طلع الفجر وطلعت الشمس والرجل جالس عنده فتعجب إدريس عليه السلام فقال يا هذا أتسير معي إذا سرت حتى نتفرج فقال ملك الموت نعم فقاما وسارا حتى أتيا مزرعة فقال ملك الموت أتأذن لي أن نأخذ من هذا الزرع سنابل لنأكل فقال إدريس سبحان الله لم تأكل الطعام الحلال أمس وتريد أن تأكل اليوم من الحرام فمضيا حتى مضى عليهما أربعة أيام وكان إدريس عليه السلام يرى منه ما يخالف طبع الآدميين فقال له من أنت قال أنا ملك الموت قال أأنت الذي تقبض الأرواح قال نعم قال أنت عندي مذ أربعة أيام فهل قبضت روح أحد قال نعم قبضت أرواحاً كثيرة وأروح الخلق عندي كالمائدة أتناولها كما تتناول اللقمة قال إدريس عليه السلام يا ملك الموت أجئت زائراً أم قابضاً قال جئت زائراً بإذن الله تعالى ثم قال إدريس عليه السلام يا ملك الموت لي حاجة إليك فقال ما حاجتك قال حاجتي منك أن تقبض روحي ثم يحييني الله تعالى بعدما ذقت مرارة الموت فقال إني لا أقبض روح أحد إلا أن يأذنني الله تعالى به فأوحى الله إليه ان اقبض روح إدريس فقبض من ساعته فمات إدريس عليه السلام فبكى ملك الموت وتضرع إلى الله تعالى وسأل منه أن يحي صاحبه إدريس فأجابه الله تعالى فأحياه فقال يا أخي كيف وجدت مرارة الموت فقال إن الحيوان إذا انسلخ جلده حال حياته وهو حي فمرارته أشد منه ألف مرة فقال ملك الموت الرفق الذي فعلت بك في قبض روحك ما فعلته بأحد قط ثم قال إدريس عليه السلام يا ملك الموت لي إليك حاجة أخرى إني أريد أن أرى جهنم وأعبد الله بعدما أبصرت الأنكال والأغلال وما فيها قال ملك الموت كيف أذهب بك إلى جهنم بغير إذن الله تعالى فأوحى الله إليه أن أذهب بإدريس اليها فذهب به اليها فرأى فيها جميع ما خلق لأعدائه من السلاسل والأغلال والأنكال من الحيات والعقارب والنيران والقطران والزقوم والحميم ثم رجعا فقال إدريس عليه السلام لي حاجة أخرى أريد أن تذهب بي إلى الجنة حتى أرى ما فيها مما خلق الله تعالى للعباد وأزيد في طاعتي فقال ملك الموت كيف أذهب بك إلى الجنة بغير إذن الله تعالى فأوحى الله إليه أن اذهب به إلى الجنة فذهبا ووقفا على باب الجنة فرأى إدريس ما فيها من النعيم والملك العظيم والعطاء الجسيم والأشجار والفواكه والأثمار فقال يا أخي ذقت مرارة الموت ورأيت أهوال الجحيم وأفزاعها فهل لك أن تسأل الله أن يأذن لي في الدخول إلى الجنة وأشرب من مائها لتزول عني مرارة

الموت وأفزاع الجحيم فاستأذن ملك الموت من الله فأذن لـه على أن يـدخل ثم يخـرج فدخـل الجنة ووضع نعليه تحت شجرة من أشجارها فخرج منها ثم قال يا ملك الموت تركت نعلي في الجنة فارجعني فيها فرجع ودخل الجنة ولم يخرج منها فصاح ملك الموت يا إدريس اخرج فقال لا أخرج لأن الله تعالى قال ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وقد ذقته وقال الله تعالى ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ وقد وردت النار وقال ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ فمن يخرجني منها فـأوحى الله تعالى إلى ملك الموت دعـه فاني قضيت في الأزل أنـه من أهل الجنـة وأخبر رسـوله عن قصته فقال ﴿ واذكر في الكتـاب إدريس ﴾ الآية ، فـانتبه من نـوم الغفلة أيها الأخ وأخلص عملك لوجه الله لأن كل عمل لم يكن خـالصاً لله فهـو رياء والـرياء شـرك خفي فالله تعـالى لا يقبل عمل المرائي . قال شداد بن أوس رأيت النبي عليه السلام يبكي فقلت ما يبكيك يـا رسول الله فقال تخوفت على أمتي الشرك أمـا إنهم لا يعبدون صنـماً ولكنهم يراؤ ن بـأعمالهم . قـال عليه السلام وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقة وغير ذلك لها صوت كصوت النحل وضوء كضوء الشمس ومعها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به السماء فيقول الملك الموكل بالسماء للحفظه قوموا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وجوارحه وأقفلوا على قلبه إني أحجب أي أمنع على ربي ارتفاع كل عمل لم يرد به ربي إنما أراد به غير الله لأنه أراد به رفعة ورياء عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن وفي الناس أمرني ربي أن لا أدع ولا أترك عمله يجاوزني إلى غيري وتصعد بعمله الصالح وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي ولعنة الملائكة عليه والسموات وما فيهن . قال معـاذ قلت يا رسـول الله أنت رسول الله وأنـا معاذ قال اقتد يـا معاذ وإن كـان في عملك نقص يا معـاذ احفظ لسانـك من الوقـوع في الغيبة في إخوانك المسلمين بتلاوة القرآن وأحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسـك عليهم ولا تدخـل عمل الـدنيا في عمـل الآخرة ولا تتكبـر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلاً وعندك آخر ولا تتعظم على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى ﴿ والناشطات نشطاً ﴾ هل تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بـأبي أنت وأمي يا رسـول الله قال هي كـلاب في النار تمزق لحوم من يمزق لحوم الناس بلسانه وتنشط اللحم والعظم وقال بأبي وأمي أنت يـا رسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ إنـه يسير عـلى من يسره الله عليـه قال رجل اسمه خالد بن معدان فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحـديث (بدايـة الهداية) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

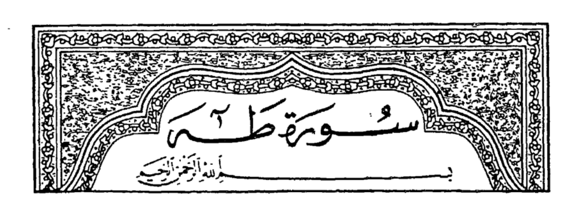
﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عَقْب سوء ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ ﴾ أي تركوها أو أخروها عن وقتها ﴿ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والإنهماك في المعاصي وعن عليّ واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ أي شرّاً وإجزاء غيّ كقوله يلق أثاماً أو غياً عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها ﴿ إلَّا ﴾ استثناء ﴿ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ يدل أن الآية في الكفرة ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ ولا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيئاً على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم . (قاضي)

ونزلت هذه الآية في تارك الصلاة من هذه الأمة وتابع الأهواء ولهذا وصفهم بقوله عز وجل ﴿ أضاعوا الصلوة ﴾ عن الحسن بن علي أنه قال إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني » . وفي حديث أوس رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ . وعن سلمان بن سحيم رحمه الله قال رأيت النبي عليه السلام في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال عليه السلام نعم وأرد عليهم (شفاء شريف) قوله أضاعوا الصلاة أي لم يعتقدوا وجوبهم وقيل تركوها ولم يحافظوا عليها وقيل خرّبوا معابدهم ومساجدهم بترك السعي اليها وعدم اعتبارهم وقيل ضيعوها بعد الأداء بالغيبة والرياء وقيل ضيعوها بترك شروطها وأركانها وقت الأداء وقيل تركوها بالغفلة ولم يقضوها بعدها (تفسير كبير) واختلفوا في معنى الغي قال وهب بن منبه الغي نهر في جهنم بعيد قعره شديد حره خبيث طعمه لو قطرت قطرة منه إلى الدنيا لهلك أهل الدنيا كلها . وقال ابن عباس الغي واد في جهنم وأودية جهنم تستعيذ كل يوم ألف مرة إلى الله تعالى من شدة حرارته أعد ذلك الوادي لتارك الصلاة والجماعة . وقال عطاء الغي واد في جهنم يسيل فيه دم وقيح . وقال كعب الغي واد في جهنم ما أبعد قعره وأشد حره وفيه بئر يقال لها الهبهب كلما سكنت جهنم فتح الله تلك البئر فتتوقد وتتلهب . قال الضحاك هو خسران وهلاك (كذا في لباب التفاسير) حكي أن رجلاً كان يمشي في البادية فرافقه الشيطان يوماً ولم يصل الرجل الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما صار

وقت المنام أراد الرجل أن ينام فهرب الشيطان منه فقال الرجل لم تهرب مني فقال الشيطان إني عصيت الله تعالى في مدة عمري مرة فكنت ملعوناً وأنت عصيت في اليوم خمس مرات وأخاف من الله أن يغضب عليك ويقرني معك بسبب عصيانك (تفسير فاتحه) وعن النبي عليه الصلاة والسلام : « أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف (من شهرح المنية للحلى) وروي عن النبي عليه السلام أنه قال من تهاون بالصلاة مع الجماعة عاقبه الله تعالى باثنتي عشر بلية ثلاث في الدنيا . وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث يوم القيامة أما الثلاث التي في الدنيا فالأولى يرفع الله البركة من كسبه ورزقه . والثانية ينزع منه نور الصالحين . والثالثة يكون مبغوضاً في قلوب المؤمنين . وأما التي عند الموت . فالأولى يقبض روحه عطشاناً ولو شرب ماء الأنهار . والثانية يشتد عليه نزع روحه . والثالثة يخاف عليه من زوال الإيمان نعوذ بالله تعالى . وأما التي في القبر . فالأول يشتد عليه سؤال منكر ونكير . والثانية تشتد عليه ظلمة القبر . والثالثة يضيق قبره حتى تنضم أضلاعه . وأما التي في يوم القيامة . فالأول يشتد عليه حسابه . والثانية يغضب عليه ربه . والثالثة يعاقبه الله بالنار نعوذ بالله تعالى (كنز الأخبار) ولذا يقال ولا يرخص لمن سمع الأذان في أن يترك الجماعة فإنها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح لأنها من شعائر الإسلام ولو تركها واحد منهم بغير عذر يجب التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والإمام والمؤذن بالسكوت عنه وأقل التعزير ثلاثة أسواط وقال صاحب خلاصة الفتاوي سمعت من ثقة التعزير بأخذ المال إذا رآه القاضي أو الوالي جاز ومن جملة ذلك رجل لا يحضر الجماعة يجوز تعزيره بأخذ المال فإنه أكثر تأثيراً فيه من الضرب » (كذا في الجواهر وشرعة الإسلام) وقيل مطالعة كتب الفقه عذر إذا لم يكن عن تكاسل ولم يواظب على تركها بل يقع الترك أحياناً لاشتغاله بالفقه له وللمسلمين والمرض والمطر والبرد والظلمة الشديدة والخوف والحبس كلها عذر والسفر ليس بعذر كما صرح في التبيين بأنه هو الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام : « إن تارك الصلاة مع الجماعة ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وتارك الجماعة يمشي على الأرض والأرض تلعنه تارك الجماعة يبغضه الله ويبغضه الملائكة وكل شيء جعل الله فيه الروح ويلعنه كل ملك بين السماء والأرض والحيتان في البحر وكذا قال النبي عليه السلام من منع من نفسه خمسة منع الله تعالى منه خمسة . الأول من منع الدعاء منع الله منه الإجابة . والثاني من منع الصدقة منع الله تعالى منه العافية والثالث من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال . والرابع من منع العشر منع الله منه البركة من كسبه . والخامس من منع حضور

الجماعة منع الله منه الشهادة وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله . قال عليه السلام أتاني جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول تارك الجماعة من أمتك لا يجد ريح الجنة وإن كان عمله أكثر من عمل أهل الأرض فلما كان حال تارك الجماعة هذا فما حال تارك الصلاة كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يلازم المسجد فاشهدوا له بالإيمان كما قال الله تعالى ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخرة ﴾ وكما قال الله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ كما روي عن مجاهد رضي الله تعالى عنه أن رجلاً جاء إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال ما تقول في رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة ولا يصلي بالجماعة فمات على هذه الحال فلأي شيء هو قال هو للنار . قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « سلموا على اليهود والنصارى ولا تسلموا على يهود أمتي قالوا من هم يا رسول الله قال الذين يسمعون الأذان والإقامة ولا يحضرون الجماعة » . قال أبو هريرة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل أعمى فقيل إنه عبدالله بن أم مكتوم فقال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأله أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له فلما رجع دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فائت الجماعة كما قال عليه السلام لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد وكما قال رسول الله ﷺ : « بشر المشائين في ظلم الليالي إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة » (كذا في زبدة الواعظين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ﴿ إن شر تارك الصلاة يتعدى إلى سبعين رجلاً من أهله وجيرانه ﴾ بل يصل من يومنا هذا إلى زمان آدم عليه السلام وذلك أن المصلي إذا قعد في التشهد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيصل ثوابها إلى أرواح المؤمنين من يومنا إلى عهد آدم عليه السلام وتارك الصلاة يكون مانعاً ذلك الخير فيكون كمن أصاب شره جميع المسلمين كقوله تعالى ﴿ مناع للخير معتد أثيم ﴾ (أنيس المجالس) روي عن عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال سافرت مع النبي ﷺ فرأيت منه ثلاث أشياء فاستقر الإسلام في قلبي بسببها فأولها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يقضي حاجته وكان بحذائه أشجار فقال لي أمض إليها وقل لها إن رسول الله يقول تعالين وكوني لي ستراً فإني أريد أن أتوضأ فخرجت فما استتممت الرسالة إلا والأشجار قد انقلعت من أصولها وتحوّلت حوله حتى فرغ النبي عليه السلام فرجعت إلى مكانها والثاني غلبني العطش فطلبت الماء فلم أجده فقال عليه السلام أصعد إلى هذا الجبل وأقرئه مني السلام وقل له ان كان فيك ماء فاسقني قال فصعدت الجبل وقلت له ما قال النبي عليه السلام فما استتممت الكلام حتى قال الجبل بكلام فصيح

قل لرسول الله أنا منذ يوم أنزل الله هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ أبكي من الفزع أن أكون ذلك الحجر فلم يبق في ماء والثالث كنا نمشي فإذا نحن بجمل يعدو حتى بلغ رسول الله فقال يا رسول الله الأمان الأمان فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابي ومعه سيف مسلول فقال النبي عليه السلام ما تريد من هذا المسكين قال يا رسول الله اشتريته بثمن كثير وليس هو يطيعني فأريد أن أذبحه فأنتفع بلحمه فقال النبي عليه السلام للجمل لم تعصيه فقال يا رسول الله لست أعصيه من العمل ولكني أعصيه من ذلك العمل القبيح عنده لأن القبيلة التي هو فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك أن يصليها عاهدتك أن لا أعصيه فإني أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله فأكون فيهم فأخذ النبي عليه السلام العهد على الأعرابي أن لا يترك الصلاة وسلم الجمل إليه ورجع إلى أهله (رونق المجالس) حكي أن عيسى عليه السلام سافر يوماً فرأى قوماً يعبدون الله تعالى بالجد والسعي وهم يجتمعون في مكان عام فسلم عليهم وجلس فيما بينهم فرأى عندهم كثيراً من الطعام والشراب الخالص والفواكه المتنوعة والأولاد والزوجات الحسان فنظر عيسى عليه السلام فرأى قريتهم مزينة بتمام الزينة التي لا تقبل الوصف ثم ذهب عيسى عليه السلام عنهم ثم رجع بعد زمان إلى ذلك المكان فرآهم كلهم قد هلكوا مع أولادهم وزوجاتهم وقريتهم قد انهدمت فتعجب عيسى عليه السلام من حالهم فنادى وقال يا رب بأي شيء هلكوا أتركوا الصلاة والطاعة ؟ فقال الله تعالى لا ولكن قد مر عليهم تارك الصلاة وغسل بمائهم وجهه فوقعت غسالته على أراضيهم وديارهم فلذلك هلكوا (أنيس المجالس) روي أن النبي ﷺ جلس يوماً مع أصحابه فجاء شاب من العرب إلى باب المسجد وهو يبكي فقال ﷺ : « ما يبكيك يا شاب فقال يا رسول الله مات أبي وليس له كفن ولا غاسل فأمر النبي عليه السلام أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فذهبا إلى الميت فرأياه مثل الخنزير الأسود فرجعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالا ما رأيناه إلا مثل الخنزير الأسود فقام عليه السلام إلى الجنازة فدعا فصار الميت على صورته الأولى وصلى عليه الصلاة وأرادوا الدفن فرأوه كالخنزير الأسود فقال عليه السلام يا شاب أي عمل كان يعمل أبوك في الدنيا ؟ فقال كان تارك الصلاة فقال عليه السلام يا أصحابي انظروا حال من ترك الصلاة يبعثه الله يوم القيامة مثل الخنزير الأسود نعوذ بالله تعالى » (بهجة الأنوار) مات في زمن أبي بكر الصديق رجل فقاموا إلى الصلاة عليه فإذا الكفن يتحرك فنظروا فوجدوا حية مطوقة في عنقه تأكل لحمه وتمص دمه فأرادوا قتلها فقالت الحية لا إله إلا الله محمد رسول الله لم تقتلونني وليس لي ذنب ولا خطأ فإن الله تعالى أمرني أن أعذبه إلى يوم القيامة فقالوا ما خطؤه ؟ قالت ثلاث خطايا : الأولى كان إذا سمع الأذان لا يجيء الجماعة والثانية لا يخرج الزكاة من ماله والثالثة لا يسمع قول العلماء وهذا جزاؤه (من المرسوم) .



﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي ﴿ فإنَّ له مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ ضيقاً مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرىء ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أن أهل القرى آمنوا الآيات ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ أعمى البصر أو القلب ويؤيد الأول ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ ﴾ أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿ أَتَتْكَ آيَاتُنَا ﴾ واضحة نيرة ﴿ فَنَسِيتَهَا ﴾ بالإنهماك فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها ﴿ وكَذَلِكَ ﴾ ومثل تركك إياها في الدنيا ﴿ اليَوْمَ تُنْسَى ﴾ تترك في العمى والعذاب ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرفَ ﴾ بالإنهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات ﴿ وَلَمْ يُؤْمِنْ بآيَاتِ رَبِّهِ ﴾ بل كذبها وخالفها ﴿ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ ﴾ وهو الحشر على العمى وقيل العذاب النار أي والنار بعد ذلك ﴿ اشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى ولعله إذا دخل النار زال عمره ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها (قاضي بيضاوي)

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا

الصلاة على نبيكم كل جمعة فإني أشهدها منكم في كل جمعة وفي رواية فإن أحداً لا يصلي عليّ إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها » (شفاء شريف) عن علي بن أبي طالب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار » وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من قرأ القرآن وهو في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ القرآن في غير الصلاة على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأ القرآن على غير وضوء فله عشر حسنات » (مجالس الأنوار) قيل المراد من الذكر القرآن كقوله تعالى ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾ وقيل عن قراءته حتى نسيه وقيل عن توحيدي كما قال الله تعالى ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ وقيل عن طاعتي وتوحيدي كما قال الله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وقيل عن العلم كما قال تعالى ﴿ فاسألوا هل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾وقيل عن الذكر باللسان كما قال الله تعالى ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ وقيل عن الصلاة كما قال الله تعالى ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله﴾ وقوله تعالى ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (تفسير حنفي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الضنك هو الشقاء وعنه أنه قال إذا أعطي العبد قليلاً أو كثيراً ولم يقنع فلا خير فيه فهو الضنك في المعيشة وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة الدنيا فكانت حالهم ضنكاً وذلك أنهم يرون أن الله تعالى ليس بخالق لهم فاشتد عليهم معاشهم مع سعتهم من سوء ظنهم بالله (بحر العلوم) قيل المعرض عن ذكر الله تعالى من سلط عليه الشيطان الذي هو عدوه المريد به كل هلاك وضلال فلا يكون أحد أشدّ عيشاً وأعظم ضلالاً منه وأشقى (بحر العلوم) قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ أي لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكر الله كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبودية والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي إليها للمبالغة ولذا قال الله تعالى ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي اللهو والشغل ﴿ فأولئك هم الخاسرون ﴾ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني (قاضي) عن معاذ بن جبل أنه قال كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام في سفر فقلت يا رسول الله حدثنا بحديث ننتفع به فقال عليه الصلاة والسلام : « إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحر والهدى من الضلالة فأديموا قراءة القرآن فإنه كلام الرحمن وحصن من الشيطان ورجحان في الميزان وكذا قال النبي عليه السلام أفضل عبادات أمتي قراءة القرآن فعلى المكلف أن يشتغل بتعلمه وقراءته » (بدر الرشيد) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال مات رجل في زمن النبي عليه السلام فقام عليه السلام على جنازته ليصلي عليه فتحرك الكفن ونظره النبي عليه السلام

فوجد فيه حية تمص دمه وتأكل لحمه فقصد أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن يضربها فنطقت الحية بإذن الله تعالى فقالت بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وقالت يا أبا بكر لم تضربني وليس لي ذنب وأنا مأمورة بذلك أمرني الله أن أعذبه إلى يوم القيامة فقال أبو بكر لها ما خطاياه فقالت الحية له ثلاث خطيآت الأولى تارك الصلاة والثانية مانع الزكاة والثالثة لا يسمع قول العلماء (حياة القلوب)وقال النبي عليه السلام يقول الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين إذا أخفته في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنته في الدنيا أخفته يوم القيامة . حكي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن دحية الكلبي كان ملكاً كافراً من العرب وكان رسول الله ﷺ يحب إسلامه لأن كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته وكان عليه السلام يدعو له ويقول اللهم أرزق الإسلام دحية الكلبي فلما أراد الإسلام أوحى الله تعالى إلى النبي عليه السلام بعد صلاة الفجر يا محمد قذفت نور الإيمان في قلب دحية الكلبي فهو يدخل عليك الآن فلما دخل دحية الكلبي المسجد رفع النبي عليه السلام رداء عن ظهره وبسطه على الأرض وأشار إلى ردائه فلما رأى دحية إكرام النبي عليه السلام بكى ورفع رداءه وقبله ووضعه على رأسه وعينيه وقال يا نبي الله ما شرائط الإسلام اعرضها عليّ فقال عليه السلام أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بكى فقال عليه السلام ما هذا البكاء يا دحية ألمجيئك إلى الإسلام أم لأمر آخر قال يا رسول الله إني ارتكبت ذنوباً كبائر فقل لربي ما كفارتها إن أمرني أن أقتل نفسي أقتلها وإن أمرني أن أخرج عن مالي صدقة أخرج عنه فقال عليه السلام وما تلك الذنوب يا دحية قال كنت رجلاً من ملوك العرب استنكفت أن تكون لي بنات لهن أزواج لئلا يقال فلان ابن فلان صهر دحية الكلبي فقتلت سبعين من بناتي بيدي فتحير النبي عليه السلام في ذلك فنزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله قل لدحية الكلبي وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله غفرت لك كفرك ستين سنة فكيف لا أغفر لك قتل بناتك قال فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فقال النبي عليه الصلاة والسلام إلهي قد غفرت لدحية قتل بناته بشهادته مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين بشهاداتهم في طول عمرهم . دحية بفتح الدال وكسرها لغتان واختلف في الراجحة منهما وهو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي وكان من أجمل الناس وجهاً كان إذا قدم لم تبق مخدرة إلا خرجت تنظر إليه وكان جبرائيل يأتي النبي عليه السلام على صورة دحية لجماله ، أسلم قديماً وشهد المشاهد التي بعد بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبقي إلى خلافة معاوية وشهد المعركة وسكن المزة بكسر الميم والزاي قرية بقرب دمشق وكان مرسلاً بكتاب النبي عليه السلام إلى عظيم بصري ليدفعه إلى هرقل وذلك في آخر سنة ست من الهجرة (كرماني) روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال قال النبي عليه السلام : « من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله

خرج من فمه ملك مثل الطير الأخضر له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أبيضان مكللان بالدر والياقوت فيرتفع حتى إذا انتهى إلى العرش وله دوي كدوي النحل تقول له حملة العرش اسكن بعزة الله تعالى فيقول لا أسكن حتى يغفر الله لقائلها فيقول الله تعالى قد غفرت لقائلها ثم يجعل الله تعالى لذلك الملك الطائر سبعين لساناً كل لسان يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة ويجيء ذلك الطائر يوم القيامة فيأخذ بيد صاحبها ويكون له قائداً ودليلاً إلى الجنة » (رونق المجالس) عن علي كرم الله وجهه أنه قال سمعت سيد الخلائق محمداً عليه السلام يقول : « سمعت سيد الملائكة جبرائيل عليه السلام يقول ما نزلت بكلمة أجل من كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله على الأرض وبها قامت السموات والأرض والجبال والشجر والبر والبحر ، ألا وهي كلمة الأخلاص ألا وهي كلمة الإسلام ألا وهي كلمة القرب ألا وهي كلمة التقوى ألا وهي كلمة النجاة ألا وهي الكلمة العليا ولو وضعت في كفة الميزان ووضع سبع السموات وسبع الأرضين في كفة أخرى لرجحت عليهن » (زبدة الواعظين) حكي أن رجلاً كان واقفاً بعرفات وفي يده سبعة أحجار فقال أيتها الأحجار اشهدوا أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فوضع الأحجار تحت رأسه فنام فرآى في منامه كأن القيامة قد قامت وأنه حوسب فوجبت له النار فذهبوا به إلى باب النار فإذا حجر من تلك الأحجار ألقي نفسه على باب النار فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فلم يطيقوه ثم ذهبوا به إلى باب آخر فإذا عليه حجر من الأحجار السبعة فاجتمعت الملائكة فلم يقدروا على رفعه حتى ذهبوا به إلى سبعة أبواب النار وكان على كل باب حجر من تلك الأحجار ثم ذهبوا إلى العرش فقال تعالى يا عبادي أشهدت الأحجار فلم تضيع حقك أضيع حقك وأنا شاهد على شهادتك أدخلوه الجنة فلما قرب إلى الجنان إذا أبوابها مفتوحة بالمفتاح الذي هو لا إله إلا الله محمد رسول الله (كذا في زبدة الواعظين) قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « دخلت الجنة فرأيت مكتوباً على باب الجنة ثلاثة أسطر الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله والثاني وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أكلنا وخسرنا ما **خلفنا** كما قال الله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ والثالث أمة مذنبة ورب غفور » ﴿ زبدة الواعظين ﴾ .



﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ نـزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلـك ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على مـا أنكروه ﴿ وَنَبْلُوكُمْ ﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ﴾ بـالبلايـا والنعم ﴿ فِتْنَةً ﴾ ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه إيماء بـأن المقصود من هـذه الحياة الإبتـلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق (قاضي بيضاوي) .

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال الصلاة على النبي أمحق للذنـوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب (شفاء شريف) يقـال مع ملك المـوت سبعون ملكاً من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونه بالجنة والثواب ويصعدون إلى السماء إلى أعلى عليـين وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب ثم يردونه إلى سجـين إلى أسفل سـافلين (مطالـع الأنوار) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن ألم شعرة من ألم الميت وضع على السماوات والأرض لمات أهلهما بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة موتاً لا يقع الموت في شيء إلا مات مع كل أعضائه . يقال إن لملك الموت أربعة أوجه أولها على رأسه والثاني قدامه والثالث خلف ظهره والرابع تحت رجليه فيأخذ أرواح الأنبياء عليهم السلام والملائكة من وجـه رأسه وأرواح المؤمنين من وجه قدامه وأرواح الكافرين من وجه ظهره وأرواح الجن من وجه قدميـه وإحدى رجليه على جسر جهنم والأخرى على سرير الجنة ومن عظمته أنه لـو صب جميع مـاء البحور والأنهار على رأسـه ما وقعت قـطرة على الأرض » (مـطالع الأنـوار) روي أن عيسى عليه السلام كان يحي الموتى بإذن الله تعالى فقالوا إنك تحي الميت إذا كان حديثاً ولعله لم يكن ميتاً فأحي لنا من مات في الزمن الأول فقال عيسى عليه السلام اختاروا ما شئتم فقالوا أحي

لنا سام بن نوح فجاء إلى قبره فصلى ركعتين ودعا الله فحي سام فإذا رأسه ولحيته قد أبيضا فقال يا سام ما هذا الشيب ولم يكن في زمانك فقال لما سمعت نداءك ظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسي ولحيتي من الهول فقال منذ كم سنة أنت ميت فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهب عني ألم سكرات الموت ومرارته ﴿ درة الواعظين ﴾ روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال لا تخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة ولا تخرج روح الكافر حتى يرى مكانه في النار » فقالوا يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والكافر مكانه في النار فقال عليه السلام : « إن الله تعالى خلق جبرائيل على أحسن صورة وله ستمائة جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاووس إذا نشر الجناح يملأ ما بين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور العين والقصور والدرجات والخدام والغلمان والولدان وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والزبانية فإذا جاء أجل عبد يدخل فوج من الملائكة عروقه ويعصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه ويخرج ذلك الفوج الأول ويدخل الفوج الثاني ويعصرون روحه من ركبتيه إلى سرته ويخرج ذلك الفوج الثاني ويدخل الفوج الثالث ويعصرون روحه من البطن إلى الصدر ويخرج ذلك الفوج الثالث ويدخل الفوج الرابع فيعصرون روحه من الصدر إلى الحلقوم كما قال تعالى ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ وعند ذلك الوقت إذا كان مؤمناً ينشر جبرائيل عليه السلام جناحه الأيمن فيرى مكانه فيها ويعشقه وينظره ولم ينظر إلى غيره من أبيه وأمه وأولاده من عشق ذلك المكان وإذا كان منافقاً ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه فيها وينظره ولم ينظر إلى غيره من أبيه وأمه وأولاده من فزع ذلك المكان . طوبى لمن كان قبره روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران (كنز الأخبار) والروح ثلاثة أضرب أولها سلطانية والثاني روحانية والثالث جسمانية فموضع السلطانية الفؤاد يعني القلب وموضع الروحانية الكبد يعني الصدر وموضع الجسمانية بين اللحم والدم وبين العظم والعروق فإن قيل إذا نام العبد أخرج روحه أم لا فإن قال قائل خرج فقد أخطأ وإن قال لم يخرج فقد أخطأ والجواب إذا نام العبد خرج روحه الجسماني مع العقل ومشى بين السماء والأرض فإن كان العقل معه رأى ما رأى في المنام وإن لم يكن العقل معه رأى ما رأى ولكن لا يفهم (تفسير) فإن قيل ما الفرق بين الروح والروان قلنا إن الروح لا يذهب ولا يجيء والروان يذهب ويجيء وإذا زال الروان نام العبد وإذا زال الروح مات العبد ومثل الإيمان بين الروح والجسد كمثل الشمس بين السماء والأرض وإذا مات العبد ذهب لا إله إلا الله مع روحه ويبقى محمد رسول الله مع جسده وإذا اجتمعا صار إيماناً » ، حكي أن الياس عليه السلام كان يوماً من الأيام جالساً فجاء ملك الموت ليقبض

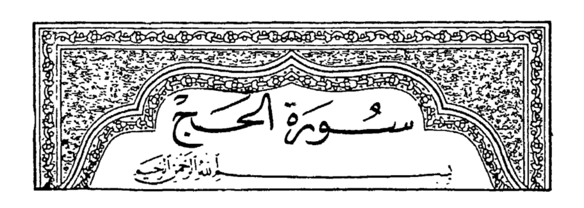
روحه فجزع وبكى بكاء شديداً فقال له ملك الموت ما هذا الجزع والبكاء يا نبي الله أجزعت على الدنيا أم على الموت فقال لا بل إنما أجزع على فوت ذكر الله حيث يجتمع قوم بعدي يذكرون الله تعالى ولا أذكره فأوحي الله تعالى إليّ ملك الموت أن لا يقبض روحه فإنه يسأل الحياة لذكري لا لنفسه دعه يا ملك الموت حتى يعيش في ذكرى ويرتع في أرض مناجاتي إلى آخر ألدنيا . عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا مر على قبر وقف يبكي حتى تبتل لحيته فقيل له يا أمير المؤمنين تذكر النار وأهوال القيامة فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي فقال قال النبي عليه السلام : « القبر أول منزل من منازل ألآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فمن نجا منه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد وقال إن كنت في النار كنت مع الناس وإن كنت في القيامة كنت مع الناس وإن كنت في القبر لم يكن معي أحد فلذلك أبكي » (مشكاة الأنوار) روي عن وهب بن منبه عن جده إدريس قال وجدت في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام قال لأمه إن هذا الدار دار فناء ودار زوال والآخرة دار بقاء فتعالي يا أماه فانطلقا إلى جبل لبنان فكانا فيه يصومان النهار ويقومان الليل يأكلان من ورق الأشجار ويشربان من ماء الأمطار فمكثا في ذلك زماناً طويلاً ثم إن عيسى عليه السلام هبط ذات يوم من الجبل إلى بطن الوادي ليلتقط الحشيش لإفطارهما فلما هبط جاء ملك الموت فقال السلام عليك يا مريم الصائمة القائمة قالت من أنت فإن جلدي قد اقشعر من صوتك وطار عقلي من هيبتك فقال أنا الذي لا أرحم الصغير لصغره ولا أكرم الكبير لكبره وأنا قابض الأرواح قالت يا ملك الموت أزائراً جئت أم قابضاً قال استعدي للموت قالت أفلا تأذن لي حتى يرجع حبيبي وقرة عيني وثمرة فؤادي وريحانة قلبي قال لها لم أومر بذلك وإنما أنا عبد مأمور والله لا أستطيع أن أقبض روح بعوضة فقد أمر ربي أن لا أزيل قدماً عن قدم حتى أقبض روحك في موضعك هذا قالت له يا ملك الموت استسلمت لأمر الله تعالى فامضي أمر الله فدنا منها وقبض روحها وأبطأ عيسى عليه السلام في ذلك الوقت حتى دخل وقت العشاء الأخير فلما صعد الجبل ومعه الحشيش.والبقل نظر إليها وهي نائمة في محرابها فظن أنها أدت الفرائض فوضع الحشيش واستقبل المحراب ولم يزل قائماً إلى الليل ثم نظر إلى أمه فنادى بصوت حزين من قلب خاشع السلام عليك يا أماه قد هجم الليل وأفطر الصائمون ووقف العابدون وما بالك لا تقومين إلى عبادة الرحمن فرجع فقال إن لبعض اليوم حلاوة ثم استقبل المحراب ولم يأكل شيئاً حتى مضى الثلث الثاني يريد بذلك بر أمه بالإفطار معها فلم يزل قائماً فنادى بصوت حزين وقلب مغموم السلام عليك يا أماه فرجع واستقبل المحراب حتى طلع الفجر ثم وضع خده على خدها وفمه على فمها وهو يناديها باكياً بكاء شديداً السلام عليك يا أماه قد مضى الليل وأقبل النهار هذا وقت فريضة الرحمن فبكت ملائكة

السماء وبكت الجن من حوله وارتعد الجبل من تحته فأوحى الله تعالى إلى الملائكة ما يبكيكم ؟ قالوا إلهنا أنت أعلم فأوحي الله إني أعلم وأنا أرحم الراحمين فإذا مناد ينادي ياعيسى ارفع رأسك فقد ماتت امك فأعظم الله أجرك فرفع عيسى عليه السلام رأسه باكياً يقول من لوحشتي ومن لوحدتي ومن آنس بي في غربتي ومن يعينني في عبادتي ، فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن كلم روحي بالموعظة فقال الجبل يا روح الله ما هذا الجزع أو تريد مع الله أنيساً ؟ ثم هبط من ذلك الجبل إلى قرية من قرى بني إسرائيل فنادى السلام عليكم يا بني إسرائيل فقالوا من أنت عبدالله فقد أضاء حسن وجهك دورنا ؟ فقال أنا روح الله إن أمي قد ماتت غريبة فأعينوني على غسلها وكفنها ودفنها فقالوا يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعي والحيات لم يسلكه آباؤ نا وأجدادنا منذ ثلاثمائة عام فرجع عيسى عليه السلام إلى الجبل فإذا هو قد وجد شابين جميلين فسلم عليهما فردا عليه ثم قال لهما إن أمي قد ماتت غريبة في هذا الجبل فأعيناني على تجهيزها فقال أحدهما له هذا ميكائيل وأنا جبرائيل وهذا الحنوط والأكفان من عند ربك فإن الحور العين قد هبطن الآن من الجنة لغسلها وتكفينها وشق جبرائيل عليه السلام قبرها من رأس الجبل ودفنوها فيه بعد أن صلوا عليها وشيعوا جنازتها ثم قال عيسى عليه السلام اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي ولا يخفي عليك شيء من أمري فإن أمي ماتت ولم أشهدها عند وفاتها فأذن لها تكلمني فأوحى الله تعالى إليه إني قد أذنت لها فجاء عيسى عليه السلام ووقف على قبرها فناداها بصوت حزين : السلام عليك يا أماه فأجابته من القبر يا حبيبي يا قرة عيني قال لها يا أماه كيف وجدت منقلبك ومصيرك وكيف رأيت القدوم على ربك قالت منقلبي خير منقلب ومصيري خير مصير قدمت على ربي فوجدته راضياً غير غضبان قال يا أماه كيف وجدت ألم الموت قالت والذي بعثك بالحق نبياً ما ذهبت مرارة الموت من حلقي وهيبة ملك الموت بين عيني فعليك السلام يا حبيبي إلى يوم القيامة .

حكي أن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ماتت حمل جنازتها أربعة نفر زوجها علي وابناها الحسن والحسين وأبو ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهم أجمعين فلما وضعوها على شفير القبر قام أبو ذر فقال يا قبر أتدري من التي جئنا بها إليك هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجة علي المرتضى وأم الحسن والحسين فسمعوا نداءاً من القبر يقول ما أنا موضع حسب ونسب وإنما أنا موضع العمل الصالح فلا ينجو مني إلا من كثر خيره وسلم قلبه وخلص عمله (كذا في مشكاة الأنوار) قال الفقيه أبو الليث السمرقندي من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب أربعة أشياء فأما التي يلزم أن يلازمها فمحافظة الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح

فإنها تضيء القبر وتوسعه وأما التي يلزم الاجتناب عنها فالكذب والخيانة والنميمة والبول قائماً . قال عليه السلام : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » (مشكاة الأنوار) قال بعض العلماء إن العذاب على الروح دون البدن وقال بعض آخر إنه على البدن دون الروح وقال بعض آخر إنه على الروح والبدن إلى غير ذلك من الأقوال فإن قيل لا يجوز أن يعذب البدن لأنه خال عن الروح فيمتنع عذابه قلت إن الله قادر على أن يخلق فيه نوع حياة قدر ما يمكن الألم والتنعم من غير إعادة الروح إليه لئلا يحتاج إلى نوع جديد وقال بعض العلماء يجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا ويجلس ويسأل وقال بعضهم يكون السؤال للروح دون الجسد وقال بعضهم يدخل الروح في جسده إلى صدره وقال الآخرون يكون بين جسده وكفنه وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح عند أهل العلم أن يقر العبد بعذاب القبر ونعيمه ولا يشتغل بكيفيته (من شرح العقائد ملخصاً) سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الأرواح حين تخرج من الأجساد.أين تذهب قال في ثمانية مواضع أما أرواح الأنبياء والمرسلين فمقرها جنات عدن وأما أرواح العلماء فمقرها جنات الفردوس وأما أرواح السعداء فمقرها جنات عليين وأما أرواح الشهداء فتطير مثل الطيور في الجنة حيث شاءت وأما أرواح المؤمنين المذنبين فتكون معلقة في الهواء لا في الأرض ولا في السماء إلى يوم القيامة وأما أرواح أولاد المؤمنين فتكون في جبل من المسك وأما أرواح الكافرين فتكون في سجين يعذبون مع أجسادهم إلى يوم القيامة قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾ والله أعلم بحقيقة الحال وله الحمد في كل مقال سوى الكفر والضلال فعليك بامتثال الأوامر وهو منزه عن الكفو والمثال لا تؤاخذنا بحرمنا يا ذا الإكرام والجلال وقد قيل الخلائق إذا نشروا من القبور يقفون وقوفاً على المواضع التي نشروا منها يوم القيامة أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بم تعرف أمتك يوم الدين قال : « إن أمتي يوم القيامة غر محجلون من آثار الوضوء وفي الخبر إذا كان يوم القيامة بعث الله الخلائق من قبورهم فتأتي ملائكة إلى رأس قبور المؤمنين فيمسحون رؤوسهم من التراب وينثرون التراب عنهم إلا موضع سجودهم فيمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب منها فينادي المنادي يا ملائكتي ليس ذلك تراب قبورهم إنما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى إن كل من ينظر إليهم يعلم أنهم خدامي وعبادي » . وروي عن جابر بن عبدالله أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوم القيامة وبعث من في القبور أوحى الله إلى رضوان أني قد أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عاطشين فاستقبلهم بشهواتهم في الجنان فيصيح الرضوان أيها الغلمان وأيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم تعالوا فيأتون بطباق من نور ويجتمعون عند الرضوان أكثر من

عدد التراب وأقطار الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والأطعمة النفيسة والأشربة اللذيذة فيتلقونهم ويطعمونهم من ذلك ويقال لهم ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » الآية ﴾ . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ثلاثة نفر تصافحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء والقائمون شهر رمضان والصائمون يوم عرفة » . عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « يا عائشة إن في الجنة قصوراً من درّ وياقوت وزبرجد وذهب وفضة قلت يا رسول الله لمن هذا قال لمن صام يوم عرفة يا عائشة إن أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيهما من الرحمة وإن أبغض الأيام إلى إبليس يوم الجمعة ويوم عرفة يا عائشة من أصبح صائماً يوم عرفة فتح الله له ثلاثين باباً من الخير وأغلق عنه ثلاثين باباً من الشر فإذا أفطر وشرب الماء يستغفر له كل عرق في جسده ويقول اللهم ارحمه إلى طلوع الفجر » . وفي خبر آخر يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون بريح صيامهم ويلقون بالموائد والأباريق يقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس وأشربوا فقد عطشتم حين روي الناس واستريحوا فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس في الحساب وقد جاء في الخبر لا يبلى عشرة نفر : النبي والغازي والعالم والشهيد وحافظ القرآن والمؤذن والمرأة إذا ماتت في نفسها ومن قتل مظلوماً ومن مات يوم الجمعة وليلتها وفي الخبر عن النبي عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها الرجال والنساء قال نعم قالت واسوأتاه ينظر بعضهم بعضاً فضرب النبي عليه السلام يده على منكبيها وقال : « يا ابنة ابن أبي قحافة اشتغل الناس يومئذ عن النظر وشخصت أبصارهم إلى السماء يقفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون فمنهم من يبلغ العرق يكون من طول الوقوف » قالت قلت يا رسول الله هل يحشر واحد كاسياً يوم القيامة قال : « الأنبياء وأهلهم وصائموا رجب وشعبان ورمضان على الولاء وكل الناس جياع يومئذ إلا الأنبياء وأهل بيتهم وصائم رجب وشعبان فإنهم شباع الناس لا جوع ولا عطش ويساقون بأجمعهم إلى المحشر عند بيت المقدس بأرض يقال لها الساهرة قال الله تعالى ﴿ فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة ﴾ الآية ويقال إن الخلائق في عرصات القيامة يكونون مائة وعشرين صفاً طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة ويقال أن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة وروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ان أمتي مائة عشرون صفاً وهذا هو الأصح وصفة المؤمنين أنهم بيض الوجوه غر محجلون وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرنون مع الشياطين » (دقائق الأخبار) .



﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْـزَلَةَ السَّـاعَةِ ﴾ تحـريكها لـلأشياء على الإسناد المجازي وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها من أشراطها ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعـة الساعـة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سـوى التدرّع بلبـاس التقوي فيبقـوا على أنفسهم ويقـوها بمـلازمة التقـوى ﴿ يَـوْمَ تَـرَوْنَهَـا تَـذْهَـلُ كُـلُّ مُـرْضِعَـةٍ عَمَّـ أَرْضَعَتْ ﴾ تصوير لهولها والضميـر للزلزلـة ويوم منتصب بتـذهل ﴿ وَتَضَـعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْـلٍ حَمْلَهَـا ﴾ جنينهـا ﴿ وَتَـرَى النَّـاسَ سُكَـارَى ﴾ كـأنهم سكـارى ﴿ ومَـا هُمْ بِسُكارَى ﴾ على الحقيقة ﴿ وَلٰكِنَّ عَـذَابَ اللهِ شَدِيـدٌ ﴾ فأرهقهم هوله بحيث طيـر عقولهم وأذهب تمييزهم (قاضي) .

عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على ألا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة » وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « من نسي الصلاة عليّ نسي طـريق الجنة » (شفـاء شريف) عن علي بن أبي طالب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يأتي على النـاس زمـان لا يبقى من الإسـلام إلا اسمـه ولا من الـدين إلا رسمـه ولا من القـرآن إلا درسـه يعمرون مساجـدهم وهي خراب عن ذكـر الله شر أهـل ذلك الـزمان علمـاؤهم منهم تخرج الفتنـة وإليهم تعود وهؤلاء عـلامات القيـامة » (زبـدة الـواعـظين) عن حـذيفـة بن أسيـد الغفاري قال اطلع علينا النبي عليه السلام ونحن نتذاكر فقال عليه السلام ما تذاكـرون قلنا

نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر عليه السلام الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم (زبدة) الدجال هو بلاء عظيم لا بلاء مثله من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ويفعل بالاستدراج من خوارق العادة ما لا يحصى عدد ويدعى الالوهية إحدى عينيه عمياء وبين عينيه مكتوب هذا كافر (شرح بركوي للقنوي) يملأ الدخان بين المشرق والمغرب ويبقى مقدار أربعين يوماً يكون المؤمن مثل ممسوس الزكام والكافر كالسكران يخرج من أنوفهم وآذانهم وأدبارهم (شرح بركوي للقنوي) تخرج دابة الأرض في مكة عند الصفا تتكلم بلسان فصيح وتملأ وجه الأرض بالعدل ومعها عصا موسى عليه الصلاة والسلام وخاتم سليمان عليه السلام إذا ضربت بالعصا على جبهة المؤمن يكتب هذا مؤمن وإذا ختمت بالخاتم على جبهة الكافر يكتب هذا كافر (شرح بركوي للقنوي) نزول عيسى عليه السلام في الشام في المنارة البيضاء ويقتل الدجال بحيث لو لم يقتله لذاب كالملح في الماء ثم يعمل بشريعة محمد عليه السلام (شرح بركوي) خروج يأجوج ومأجوج هما صنفان صنف صغير جداً وصنف كبير جداً والآن موجودان وراء السد الذي بناه اسكندر ذو القرنين إذا جاء الوقت يخرجان عددهما لا يعد ولا يحصى بحيث لا تبقى قطرة في بحيرة طبرية من شربهما (شرح بركوي) وقال عليه السلام للساعة أشراط يظهر نفاق الأسواق يعني الكساد ويقل المطر والنبات وتفشو الغيبة ويؤكل الربا وتظهر أولاد الزنا ويعظم رب المال وتعلو أسواق الفسقة في المساجد ويظهر أهل المنكر على أهل الحق (تنبيه الغافلين) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه السلام : « إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً والتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه وبعد أباه وظهرت الأصوات في المساجد ورئيس القبيلة فاسقهم وأكرم الرجل مخافة شره ولا يكرم بما عند الله أي مخافة عذاب الله فتلك علامات القيامة » (موعظة) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام : « أنه قال لما خلق الله السموات والأرض خلق الصور وللصور إحدى عشرة دائرة وأعطاه الله تعالى إلى إسرافيل عليه السلام وهو واضعه على فمه ناظراً ببصره إلى العرش ينتظر حتى يؤمر وقال أبو هريرة ما الصور يا رسول الله قال عليه السلام هو قرن عظيم من النور والذي بعثني بالحق نبياً عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والأرض وينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخة الأولى فينفخ فيه فيفزع من في السموات ومن في الأرض وهو قوله تعالى » ﴿ يوم ينفخ في الصور ففزع من

في السموات ومن في الأرض ﴾ أي يستغيث كل من فيها خوفاً حتى تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وتصير الولدان شيباً فيمكثون ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق فيموت من فيها كما قال الله تعالى ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ يعني جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش فيأمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض أرواحهم فيقبض أرواحهم ثم يقول الله تعالى يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول يا رب بقي العبد الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى يا ملك الموت ألم تسمع قولي ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ اقبض روح نفسك فيجيء ملك الموت إلى موضع بين الجنة والنار وينزع روحه فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماتوا من صيحته فيقول لو علمت ما للموت من الشدة والألم ما قبضت أرواح المؤمنين إلا بالرفق ثم يموت فلا يبقى أحد من الخلق فتبقى الأرض خراباً أربعين سنة فيقول الله تعالى أيتها الدنيا الدنية أين الملوك وأين أبناء الملوك وأين الجبابرة وأين الذين يأكلون رزقي ويعبدون غيري ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ فلم يوجد أحد يجيبه فيجيب بنفسه ويقول ﴿ لله الواحد القهار ﴾ ثم يرسل الله تعالى الريح العقيم التي أرسلها على قوم عاد مقدار ما يخرج من ثقب الإبرة فلا تترك على وجه الأرض جبلاً ولا تلا إلا هدمته وجعلته مثل الأديم كما قال الله تعالى ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ ثم يأمر الله تعالى السماء أن تمطر فتمطر السماء كمني الرجال أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعاً فينبت الخلق بذلك كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم وتكون كما كانت ثم يحي الله تعالى حملة العرش ثم يحي إسرافيل وميكائيل وعزرائيل فيحيون بإذن الله ثم يأمر الله تعالى الرضوان أن يدفع اليهم البراق والتاج وحلة الكرامة واللواء فيقفون بين السماء والأرض فيقول جبرائيل عليه السلام أيتها الأرض أين قبر محمد فتقول الأرض والذي بعثك بالحق أرسل الله على الريح العقيم فجعلتني دكادكا لا أدري قبره ثم يرفع من قبر النبي عليه السلام عمود من النور إلى عنان السماء فيعلم جبرائيل أنه قبر محمد فينطلقون إليه فيقفون فيبكي جبرائيل عليه السلام ويقولون ما بكاؤك فيقول لم لا أبكي يقوم محمد ويسألني عن أمته ولا أدري أين أمته فيهتز قبره وتنشق الأرض ويقوم محمد عليه السلام فينفض التراب عن رأسه وينظر عن يمينه وعن شماله فلا يرى من العمارات شيئاً ويرى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فيقول يا جبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم الحسرة ويوم الندامة وهذا يوم القيامة ويوم شفاعتك ويقول يا جبرائيل أين أمتي لعلك تركتهم على شفير جهنم وجئت لأن تخبرني بهم فيقول جبرائيل معاذالله والذي بعثك بالحق نبياً ما انشقت الأرض عن أحد

قبلك ويضع التاج على رأسه ويلبس الحلل ويركب البراق ويقول يا أخي جبرائيل أين أصحابي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فإذا هم يقومون بإذن الله تعالى ويأتي ملك ومعه حلل وبراقات يلبسون ويركبون ويقومون عند النبي عليه السلام ثم يخرج النبي عليه السلام ساجداً باكياً يقول أمتي أمتي ثم يأتي من قبل الله نداء إلى إسرافيل أن انفخ في الصور فينفخ فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل إلى الأجساد كما قال الله تعالى ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ الآية فيبعث الخلائق من المحشر من الجن والإنس غير الملائكة (زبدة الواعظين) عن معاذ بن جبل أنه قال قلت للنبي عليه السلام يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ فبكي عليه السلام حتى ابتلت ثيابه من دموع عينيه فقال يا معاذ سألتني عن أمر عظيم يحشر أمتي على اثني عشر صنفاً الأول يحشرون من قبورهم ليس لهم يدان ولا رجلان فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يؤذون الجيران فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ والجار ذي القربى والجار الجنب ﴾ والثاني يحشرون من قبورهم على صورة الخنازير فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يتهاونون بالصلاة فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلواتهم ساهون ﴾ والثالث يحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال مملوءة من الحيات والعقارب كمثل البغال فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يمنعون الزكاة فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ والرابع يحشرون من قبورهم يجري من أفواههم الدم فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ والخامس يحشرون من قبورهم قد انتفخوا وهم أنتن رائحة من الجيفة بين الناس فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يكتمون المعاصي خوفاً من الناس ولا يخافون من الله فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ﴾ والسادس يحشرون من قبورهم مقطوعي الحلاقيم فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يشهدون الزور فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ والسابع يحشرون من قبورهم ليس لهم ألسنة يجري من أفواههم القيح والدم فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يمنعون الشهادة فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ والثامن يحشرون من قبورهم ناكسي رؤسهم وأرجلهم فوق رؤسهم فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يزنون ثم ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار لقوله تعالى ﴿ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ والتاسع يحشرون من

. . . .

قبورهم سود الوجوه زرق العيون وبطونهم مملؤة من النار فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ والعاشر يحشرون من قبورهم وقد ملئوا جذاماً وبرصاً فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين عقوا الوالدين لقوله تعالى ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ والحادي عشر يحشرون من قبورهم عميان القلب والعين وأسنانهم كقرن الثور وشفاههم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وعلى فخذهم يخرج من بطونهم القذر فينادي المنادي هؤلاء الذين يشربون الخمر لقوله تعالى ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ والثاني عشر يحشرون من قبورهم ووجوههم كالقمر ليلة البدر فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف.فينادي المنادي هؤلاء الذين يعملون الصالحات والحسنات ويجتنبون المعاصي ويحافظون على الصلوات الخمس وماتوا على التوبة فجزاؤهم الجنة والمغفرة والرحمة والرضوان لقوله تعالى ﴿ أن لا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ الآية (تنبيه الغافلين)



﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ ﴾ مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض ﴾ وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفصيل ولأنهم الراسخون في عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار ﴿ هَوْناً ﴾ هنين أو مشياً هنياً مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ تسلماً منكم ومتاركة لكم لا خير بينا وبينكم ولا شرّاً وسداداً من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم ولا تنافيه آية القتال لنسخه فإن المراد هو الإعراض عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام (قاضي) .

(روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من ذكرت بين يديه فلم يصل علي دخل النار » لأن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكره واجبة عند الإمام الطحاوي في كل مرة وقال بعض العلماء يكفي في المجلس مرة واحدة وإن كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت العاطس وبه يفتي والأفضل أن يصلي عليه كلما ذكر انتهى . وروي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من أحد إلا وفي رأسه سلسلتان إحداهما إلى السماء السابعة والأخرى إلى الأرض السابعة فإذا تواضع يرفعه الله تعالى بالسلسلة التي في السماء السابعة وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة . وأما ذم الكبر فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال : « قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما ألقيته في النار ولا أبالي رواه ابن ماجة قوله (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) يعني أنهما صفتان من صفات الله تعالى فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر » . وروي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله تعالى عليه

. . . .

وسلم : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار » رواه القضاعي قوله الذر والذرة هي النملة الصغيرة أي يكون المتكبرون يوم القيامة على غاية الذل والحقارة فيطأهم أهل المحشر بأرجلهم . قوله يغشاهم الذل أي يأتيهم الذل من كل مكان . قوله نار الأنيار أي نار أشدّ حرارة من جميع أنواع النار . قوله بولس بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة . والخبال بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة موضع في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار . وروي عن أبي هريرة أنه قال قال عليه السلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب عظيم شيخ زان وملك كذاب وعائل متكبر » رواه مسلم . قوله عائل أي فقير وقيل ذو عيال الذي لا يقدر على تحصيل حوائجهم ويستكبر أن يسأل يعني لا يطلب الزكاة والصدقة ولا يسأل من بيت المال من التكبر وهذا آثم لإيصال الضرر إلى عياله انتهى كلامه . . روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقال عليه السلام ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ﴾ وإنما صار «حجاباً عن الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة الحديث » . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه وما يشرب رجل من سؤر أخيه إلا كتب له سبعون حسنة ومحيت عنه سبعون سيئة ورفعت درجته في أعلى عليين » الحديث رواه صاحب الفردوس . وروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال قال نوح عليه السلام لابنه سأنبئك بخصال من كن فيه ليس بمتكبر اعتقال الشاة وركوب الحمار ولبس الصوف والمجالسة مع فقراء المؤمنين وأكل أحدكم مع عياله رواه صاحب الفردوس . وروي عن عمر أنه قال رأس التواضع أن تبتدىء بالسلام على من لقيته من المسلمين وأن ترضى بالدون من المجلس وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى . وروي الحسن عن النبي ﷺ أنه قال : « من خصف نعله ورقع ثوبه واغبر وجهه لله في السجود فقد برىء من الكبر » . وروي عن قيس بن حازم أنه قال لما توجه عمر بن الخطاب إلى الشام جعل بينه وبين غلامه تناوباً في الركوب فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير فرسخاً ثم ينزل ويركب الغلام ويأخذ عمر رضي الله عنه بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل فلما قرب إلى الشام كانت نوبة الركوب للغلام فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة فاستقبل الماء في الطريق فجعل عمر يخوض في الماء وهو آخذ بزمام الناقة ونعلاه تحت إبطه اليسرى فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام وهو كان من العشرة

المبشرة بالجنة فقال يا امير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة فقال عمر إنما اعززنا الله بالإسلام فلا أبالي من مقالة الناس انتهى . روي أن مطرف بن عبدالله رأى المهلب يتبختر في جبته فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني قال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بينهما حامل العذرة فمضى المهلب وترك المشية وتاب . وروي عن أبي هريرة أنه قال بعث عمر بن الخطاب أميراً على البحرين وهو راكب على حمار فجعل يقول طرقوا فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان خلقهم التواضع وكانوا أعز الناس عند الخلق وعند الملائكة وعند الله تعالى وفي الخبر لما خرج رسول الله من مكة مهاجراً إلى المدينة ودخل باب المدينة كان الأغنياء يتعلقون بزمام الناقة فقال عليه السلام : « اتركوها فانها مأمورة فتركوا زمامها عليها وكانت الناقة تتقدم أمام العسكر فكلما جازت دار رجل حزن صاحبها وهو يقول لو كان لي دولة لكان محمد عليه السلام ضيفي فلما انتهى إلى باب دار أبي أيوب الأنصاري بركت الناقة فجعلوا ينخسونها فلم تقم فنزل جبرائيل عليه السلام فقال انزل هنا فإنه تواضع لله حين نزلت على باب المدينة واعتنى الناس وزينوا ديارهم وقالوا ينزل رسول الله في دارنا وإن أبا أيوب الأنصاري قال في نفسه إني رجل فقير من أين يكون لي قدر عند الله حتى ينزل في داري فأنزل الله نبيه في داره لتواضعه » . وروي عن وهب بن منبه أنه قال كان رجل في بني إسرائيل عبدالله تعالى سبعين سنة لا يفطر إلا من السنة إلى السنة ثم سأل الله تعالى حاجة فلم يقض حاجته فقال يا نفس لو كانت لك منزلة عند الله تعالى لقضي حاجتك فأنزل الله تعالى ملكاً قال له يا ابن آدم تواضعك الآن أفضل عند الله تعالى من عبادتك سبعين سنة فقضي الله حاجتك لتواضعك إليه فاعتبروا يا أولى الألباب وكونوا من المتواضعين . وروي عن كعب الأحبار أنه قال أوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام فقال يا موسى أتدري لم اتخذتك كليماً بلا واسطة قال أنت أعلم بذلك يا رب قال الله تعالى إني نظرت في قلوب عبادي فلم أر قلباً أشد تواضعاً من قلبك فلهذا كلمتك وقيل إن ستة أشياء تواضعت لله تعالى فرفعها بين أمثالها . أولها إن الله تعالى أوحي إلى الجبال كلها فقال إني أجلس سفينة نوح ومن معه من المؤمنين على جبل منكن فشمخت أي تكبرت الجبال كلها وتطاولت وتواضع الجودي وقال من أين يكون لي قدر حتى يجلس الله تعالى سفينة نوح عليه السلام علي ؟ فرفع الله قدره فوق الجبال كلها وقرر السفينة عليه بتواضعه كما قال الله تعالى في سورة هود ﴿ واستوت ﴾ أي استقرت ﴿ على الجودي ﴾ وهو جبل بأرض الجزيرة بقرب الموصل فقالت الجبال يا ربنا لم فضلت الجودي علينا وهو أصغرنا فقال الله إنه تواضع لي وتكبرتم وحق علي أن من تواضع لي رفعته ومن تكبر وضعته . والثاني أوحى الله تعالى إلى

الجبال كلها فقال إني مكلّم عليكن عبداً من عبيدي فشمخت أي تكبرت الجبال كلها إلا طور سيناء فإنه تواضع لله تعالى فقال من أنا حتى يكلم الله عليَّ عبداً من عباده فلذلك كان الكلام بينه وبين موسى عليه السلام على الطور والثالث أوحى الله إلى السمك كله فقال إني مدخل يونس في بطن واحد منكن فتكبر كله إلا سمكة واحدة وقال من أنا حتى يجعل الله تعالى بطني وعاء نبيه فرفعها الله وأكرمها بتواضعها ، والرابع أوحى الله تعالى إلى الطيور كلها فقال إني واضع شراباً في إحداكن فيه شفاء للناس فتكبرت الطيور كلها إلا النحل فإنها قالت من أنا حتى يضعه في فرفعها الله ووضعه فيها بتواضعها . والخامس أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام فقال من أنت قال أنا الخليل وقال لموسى عليه السلام من أنت قال أنا الكليم وقال لعيسى عليه السلام من أنت قال أنا الروح وقال لمحمد عليه السلام من أنت قال أنا اليتيم فرفع الله درجته على سائر الأنبياء كما قال الله تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ والسادس المؤمن الذي تواضع لله تعالى بالسجود والتوحيد فأكرمه الله تعالى بأن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه (من الموعظة الحسنة المرغوبة دخول إبراهيم عليه السلام على ملك مصر وقصته أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله له النار برداً وسلاماً قصد نحو مصر ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ وذهب مع زوجته سارة عليها السلام فقيل له إن في مصر ملكاً ظالماً يأخذ أزواج الناس ظلماً وله في كل طريق عشار وكان إبراهيم عليه السلام غيوراً وكانت سارة من أجمل الناس حتى لم يكن لها في زمانها نظير فأخذ إبراهيم عليه السلام صندوقاً أدخل فيه سارة عليها السلام ووضع إبراهيم عليه السلام القفل على الصندوق وحملها على البعير وقصد نحو مصر فلما وصل إلى العشار سأل منه المكث وأراد فتح الصندوق فأبى فلم يتركه حتى جاء مع أعوانه وفتح الصندوق فرأى سارة ذات جمال وكمال فقال لإبراهيم عليه السلام هذه زوجتك قال هي أختي قال أظنها تصلح للملك فذهبوا بسارة رضي الله عنها إلى الملك ورفع الله عن إبراهيم عليه السلام الحجاب حتى رأى سارة من خارج البيت فقصد الملك نحو سارة ومد يده اليها فيبست يده ورجله فقال الملك انك امرآة ساحرة أيبست يدي ورجلي قالت ما أنا بساحرة ولكني زوج خليل الله فدعا عليك فأيبس الله يدك ورجلك فتب إلى الله حتى يصحح الله يدك ورجلك فتاب الملك فصحح الله يده ورجله من ساعته ثم نظر إلى سارة فلم يصبر عنها فعمد اليها ثانياً فأعمى الله عينيه ثم تاب فردّ الله تعالى له بصره ثم عمد اليها ثالثاً فأيبس الله جميع أعضائه ثم تاب توبة حقيقية وأعادها إلى إبراهيم عليه السلام واعتذر له كثيراً فصحح الله تعالى جميع أعضائه . نكتة . إن سارة كانت امرأة جميلة وكان يحبها الخليل عليه السلام فحفظها الله تعالى من غيره حتى لم يجد أحد إليها سبيلاً وكلمة التوحيد التي في

قلب المؤمن يحبها الجليل فإذا لم يكن للعدو سبيل إلى من أحبه الخليل فكيف يكون للشيطان سبيلاً إلى من يحبه الجليل ؟ رجعنا إلى القصة فلما صح الملك أتى بهاجر ووهبها لسارة رضي الله تعالى عنها فقالت سارة إني أهبها لإبراهيم عليه السلام لأنه اغتم لأجلي فوهبتها له واعتذرت سارة لإبراهيم عليه السلام وقالت لا تغتم فإن الله تعالى رفع الحجاب بيني وبينك (نقل من السبعيات) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أكرم عالماً فقد أكرم سبعين نبياً ومن أكرم متعلماً فقد أكرم سبعين شهيداً ومن أحب العالم لا يكتب عليه خطيئته أيام حياته . وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء إني لم أضع فيكم علمي إلا لعلمي بكم فلم أضع علمي فيكم لأعذبكم ؛ انطلقوا قد غفرت لكم » (تاتار خانيه) .



﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ ﴾ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق وإخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضارّ والضلالة والظلم. ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياه ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾ بعض جزائه فإن تمامه في الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة (قاضي بيضاوي) .

قال فضالة بن عبيد سمع النبي عليه السلام رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل عليه عليه السلام فقال النبي عليه السلام : « عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي عليه السلام ثم ليدع ما شاء » . وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال الدعاء والصلاة معلقان بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله تعالى منهما شيء حتى يصلى على النبي عليه السلام (شفاء شريف) وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « في زمرة من الصحابة إن من أمتي أقواماً يقول الله تعالى لهم يوم القيامة يا عبادي ادخلوا الجنة فيتحيرون في عرصات القيامة إلى أن يهديهم الله إلى الجنة فقيل من هم يا رسول الله فقال الذين ذكرت بين أيديهم ولم يصلوا عليّ من السهو والغفلة » (رونق المجالس) وفي الأصل كانت الأرض خضرة مؤنقة لا يأتي ابن آدم إلى شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذباً وكان الأسد لا يقصد البقر والذئب الغنم فلما قتل قابيل هابيل انقشعت الأرض وشاكت الأشجار وصارت الأرض سوداء والبحار ملحاً زعاقاً حتى قيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل أخاه هابيل وفي البحر بجلندي وهو ملك كافر كان يأخذ كل سفينة غصبا . قوله بشؤم معاصيهم أي بشؤم معاصي تارك الصلاة ظهر الفساد فيهما . ورد في السنة أن كل محلة يكون فيها تارك الصلاة

ينزل عليها كل يوم سبعون لعنة . فإن قلت ما الحكمة في نزول اللعنة على أهل المحلة عامة ولم تنزل خاصة . قلت انهم يرون تاركها ولم ينهوه عنه فلذلك يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده كما وقع في الحديث الساكت عن الحق شيطان أخرس (موعظة) قوله ﴿ ليذيقهم الخ ﴾ اللام للتعليل ان كان المعنى افسد الله أسباب معاش الناس أو للعاقبة إن كان المعنى أفسد الناس أفعالهم وأخلاقهم إذ ليس غرضهم من إفسادها أن يذيقهم الله تعالى عقوبة ما كسبوه لكن لما ترتب الغرض من الفعل عليه شبهت العاقبة المرتبة عليه بالعلة الغائية فدخلت عليها لام العاقبة كما في قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ (شيخ زادة) قال عليه السلام ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمناً وما ظلم أحد مؤمناً إلا انتقم الله منه يوم القيامة ﴾ (حياة القلوب) قيل أي ذنب أخوف لسلب الإيمان قال ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الخاتمة والظلم على العباد وقال رحمة الله تعالى عليه من كان على هذه الخصال الثلاث فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافراً نعوذ بالله إلا من أدركته السعادة (دقائق الأخبار والموعظة الحسنة) ورد في الحديث القدسي يا ابن آدم الموت يكشف أسراركم والقيامة تتلو أخباركم والكتاب يهتك أستاركم فإذا اذنبت ذنباً فلا تنظر إلى صغره ولكن انظر إلى من عصيته وإذا رزقت رزقاً قليلاً فلا تنظر إلى قلته ولكن انظر إلى من رزقك ولا تحقر الذنب الصغير فانك لا تدري بأي ذنب أغضب عليك ولا تأمن من مكري فهو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء يا ابن آدم هل عصيتني فذكرت غضبي فانتهيت عنه وهل أديت الأمانة لمن ائتمنك وهل أحسنت لمن أساء إليك وهل عفوت عمن ظلمك وهل كلمت من هجرك وهل وصلت من قطعك وهل أنصفت من خانك وهل سألت العلماء عن أمر دينك ودنياك وإني لا انظر إلى صوركم ولكن أنظر إلى قلوبكم ونياتكم وأرضى بهذه الخصال عنكم (الموعظة الحسنة) هذه حال الظالم ثم اعلم حال العادل وفقنا الله وإياكم . وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يسرى بالليل فعبر على باب دار فسمع بكاء فوقف فسمع امرأة تقول لأولادها الله بيني وبين عمر بن الخطاب فأراد عمر أن يطيب قلبها من الحزن فدق الباب فقال ما فعل بك عمر ولم يعلموا أنه عمر فقالت المرأة قد بعث زوجي إلى غزوة كذا وترك أولاداً صغاراً وليس معي شيء أنفقه عليهم فيبكون ويقولون قد غفل أمير المؤمنين عنا فخرج عمر وأخذ عدلاً من الدقيق ولحماً كثيراً وحمله على ظهره فقال له خادمه ضعه حتى أحمله فقال هب أنك تحمل في الدنيا هذا فمن يحمل أوزاري يوم القيامة وكان يبكي حتى دخل الدار فعجن في الساعة من الدقيق بيده وأوقد التنور وطبخ الخبز واللحم ونبه الصبيان فكان يلقمهم بيده حتى شبعوا فقال لهم اجعلوني في حل على أن لا تخاصموني يوم القيامة فقالوا نعم فخرج وهو مع عدله . رؤي في المنام بعد موته بستة

أشهر فقيل له ما فعل الله بك يا عمر قال الآن فرغت من حساب قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية (من رونق مجالس) . حكاية . مكتوب على جناح الجراد . نحن جند من الأجناد . سلطنا الله على العباد . لتخريب النواحي والبلاد . عند ظهور الجور والفساد (نقل من المشكاة) ورد عن السلف الظلم والعلم في المدينة والجهل والبركات في القرى فيجذب العلم البركات إلى المدينة لسبب المناسبة بينهما ويجذب الجهل الظلم إلى القرى لمناسبتها والآن هكذا أهل المدينة يشكو من أهل المدينة ولا يشكو من أهل القرى وأهل القرى يشكو من أهل القرى ولا يشكو من أهل السفر وأهل السفر يشكو من أهل الحضر . حكي أن في سنة من السنين قحط الناس بمكة فخرج الناس يستسقون ثلاثة أيام فلم يمطروا قال عبدالله بن المبارك فقلت لنفسي اخرج من بين هؤلاء القوم وادعو الله تعالى فعسى أن يرحمني ويستجيب دعائي فاعتزلت منهم ودخلت بعض الكهوف فلم ألبث حتى دخل غلام أسود وصلى ركعتين ووضع رأسه على الأرض ودعا الله وكنت أسمعه يقول إلهي إن هؤلاء عبادك قد استسقوك ثلاثة أيام فلم تسقهم فبعزتك لا أرفع رأسي حتى تسقينا قال فلم يرفع رأسه حتى أمطرت السماء وقام ومضى فاتبعته حتى دخل في البلد فدخل داراً فوقفت على الباب فقعدت هناك حتى خرج واحد فقلت لمن هذه الدار فقال لفلان فدخلت فقلت أريد أن أشتري مملوكاً فعرض على المالك غلاماً فقلت أريد غيره فهل عندك غيره فقال إن معي غلاماً لكنه لا يصلح لك فقلت لم قال لأنه كسلان فقلت اعرضه عليّ فدعاه فأبصرته فقلت قد رضيته فبكم تبيعه قال أنا اشتريته بعشرين ديناراً لكنه لا يساوي عشرة دنانير وقد بعته منك بعشرة دنانير فقلت اشتريته منك بعشرين ديناراً ودفعت الثمن إليه وتسلمت منه المملوك فقال لي الغلام يا ابن المبارك لم اشتريتني فإني لا أخدمك فقلت ما اسمك قال الأخبة تعرف الأحبة قال فجئت به إلى بيتي فأراد التوضأ فقمت فقدمت الأناء إليه ووضعت النعل بين يديه فقام وتوضأ وصلى وسجد قال فدنوت لأن أسمع ما يقول فإذا سمعته يقول شعراً .

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا ولا أريد حياتي بعدما اشتهرا

ثم سكت ساعة فحركته فإذا هو ميت فأخذت في تجهيزه فدفنته فرأيت النبي عليه السلام من ليلتي في المنام وشيخ نوراني محبوب عن يمينه والغلام الأسود عن يساره فقال لي جزاك الله خيراً ولا أراك ضيراً لما أحسنت إلى حبيبنا فقلت هل هو حبيبك يا رسول الله قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « نعم هو حبيبي وحبيب خليل الرحمن » (رونق المجالس) وعن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة (مصابيح) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « ستة يدخلون

. . . .

النار بستة : الأمراء بالجور والأعراب بالتعصب وأهل الرستاق بالجهل والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة والعلماء بالحسد » . وذكر أن آدم عليه السلام قال إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه السلام أربع كرامات ما اعطانيها . إحداها أن قبول توبتي كان بمكة وأمة محمد عليه السلام يتوبون في كل مكان فيقبل الله توبتهم . والثانية اني كنت لابساً فلما عصيت جعلني عرياناً وأمة محمد عليه السلام يعصون عرياناً فيلبسهم . والثالثة لما عصيت فُرق بيني وبين امرأتي وامة محمد عليه السلام يعصون الله ولا يفرقون بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أني عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد عليه السلام يعصون الله تعالى خارج الجنة فيدخلهم فيها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) .



﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ يغلب الأوقات ويعم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أول النهار وآخره خصوصاً وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهورين كأفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان متوجهان إليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾ بالرحمة ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ بالإستغفار لكم والإهتمام بما يصلحكم والمراد القدر المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة ﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيما ﴾ حتى اعتنى بصلاح أمرهم وإناقة قدرهم واستعمل في ذلك الملائكة المقربين (قاضي) .

عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صلى عليّ كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبداً أي لم يحتج إلى أحد أبداً قال الله تعالى ﴿ فاذكروني ﴾ أي بالطاعة ﴿ اذكركم ﴾ أي بالمغفرة والثواب أو فاذكروني بالتوبة أذكركم بقبولي ومغفرتي أو فاذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة كما قال الله تعالى : ادعوني استجب لكم أو فاذكروني في مهدكم أذكركم في لحدكم وهو التثبيب بالقول الثابت حين يسأله الملكان في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه أو فاذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية بدليل قوله تعالى » ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أو فاذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة لقوله تعالى ﴿ إن رحمة الله قريب من

المحسنين ﴾(بحر الحقائق) قوله هو الذي يصلي إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين فإن صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى ﴿ وملائكته ﴾ عطف على المستكن في يصلي المكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولاً والاستغفار ثانياً فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقياً له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فإن كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له (أبو السعود) قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته إلى آخره صلاته مغفرته ورحمته لخلقه وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار للمؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوات كأنهم فاعلو الرحمة ولذا جاز عطف الملائكة عليه وإلا لا عموم للمشترك فى مفهوميه الحقيقة والمجاز (شيخ زاده) قال عليه السلام ﴿ لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تورث قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي ﴾ (مصابيح شريف) حكي أنه مات رجل من أهل الله تعالى فرآه البعض في النوم فسأله فقال جاءني ملكان وجههما أحسن شيء وريحهما أطيب شيء فقالا من ربك فقلت إن سألتم امتحانا فحرام وإن سألتم استفهاماً فربي الله تعالى فذهبا فقلت لا تذهبا ما لم تأتيا بالخبر عن سيدي فجاء النداء في الحال هو عبدي فذهبا انتهى - عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال :قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « رأيت ليلة المعراج بحراً لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وعلى شاطئه ملك على صورة طير وله سبعون ألف جناح إذا قال العبد سبحان الله تحرك من مكانه وإذا قال والحمدلله بسط أجنحته وإذا قال ولا إله إلا الله طار وإذا قال والله أكبر أوقع نفسه في البحر وإذا قال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يخرج فينفض أجنحته فيقطر من كل جناح سبعون ألف قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفرون لقائلها إلى يوم القيامة (زبدة الواعظين) عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق عموداً بين يدي العرش فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله اهتز العمود فيقول الله تعالى اسكن يا عمود فيقول العمود كيف اسكن ولم تغفر لقائلها فيقول الله تعالى قد غفرت له فيسكن عند ذلك » (زبدة الواعظين) حكي أن موسى عليه السلام كان ماراً في بعض الطرق فرأى شيخاً قد انحنى ظهره من الكبر وقد شد زناراً على وسطه وبين يديه نار يعبدها فقال موسى عليه السلام يا شيخ منذ كم سنة تعبد هذه النار فقال منذ أربع وتسعين سنة فقال ألم يأن لك أن تتوب من عبادة النار وتعود إلى

الملك الجبار فقال يا موسى أترى أن الله تعالى لو رجعت إليه يقبلني قال موسى عليه السلام نعم يقبل وهو أرحم الراحمين فقال يا موسى إن علمت أن الله تعالى يقبل الهاربين بكرمه ولطفه اعرض عليّ الإيمان فعرض عليه موسى عليه السلام فآمن فقال لا إله إلا الله موسى رسول الله فأخذته الصيحة والصواخ حتى خشي عليه الموت بفرح الإيمان فحركه موسى عليه السلام برجله فإذا هو فارق الدنيا فأخذ موسى عليه السلام في تجهيزه ودفنه ثم وقف على قبره فقال إلهي أريد أن تعلمني ماذا عاملت هذا العبد بتوحيد واحد فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا موسى إن ربك يقرئك السلام ويقول أما علمت أن من صالحنا بكلمة لا إله إلا الله موسى رسول الله نقربه إلى جنابنا ونلبسه من حلل الجنة فرجع موسى عليه السلام إلى قومه فأخبرهم القصة فعدوا حروف لا إله إلا الله موسى رسول الله أربعة وعشرين حرفاً فقد غفر الله بكل حرف ذنوب أربع سنين إلا شهراً (رونق المجالس) وفي الخبر يؤتي بعبد يوم القيامة ويوقف بين يدي الله تعالى ويحاسبه فيستحق النار بكثرة ذنوبه وقلة حسناته فيقرب إلى الهلاك وهو يرتعد فيقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا دفتره هل تجدون في ديوانه حسنة فينظرون فيقولون يا ربنا لم نجد شيئاً فيقول الله تعالى عندي له شيء إنه إن كان نائماً في الليل فاستيقظ من منامه وأراد أن يذكرني فغلب عليه النوم فلم يقدر أن يذكرني إني قد غفرت له بذلك (تنبيه الغافلين) عن سعيد عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن الشيطان عليه اللعنة قال لربه بعزتك وجلالك يا رب لا أزال أغوى عبادك وآمرهم بالكفر والمعصية ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال الله تعالى يا ملعون وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما داموا ذاكرين لي ومستغفرين مني » (مجالس الأنوار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يؤتي برجل يوم القيامة إلى الميزان فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً وكل سجل منها مدى البصر وفيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج قرطاس مثل الأنملة فيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله فيوضع في الكفة الأخرى فيرجح على خطاياه فينجيه الله تعالى بتوحيده من النار ويدخله الجنة » (تنبيه الغافلين) قال الفقيه أبو الليث من حفظ سبع كلمات فهو شريف عند الله تعالى والملائكة ويغفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ويجد حلاوة الطاعة ويكون حياته ومماته خيراً . الأولى أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله والثانية أن يقول بعد فراغ كل شيء الحمد لله . والثالثة إذا جرى على لسانه ما لا يعنيه أن يقول أستغفر الله . والرابعة إذا أراد فعلا غدا أن يقول إن شاء الله . والخامسة إذا استقبل إليه فعل مكروه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسادسة إذا أصابته مصيبة أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . والسابعة لايزال يجرى على لسانه في الليل والنهار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (من تفسير حنفي) فاعمل بما قررنا لك يا صوفي ، قيل سبعة أشياء

تنور القبر وكل واحد ثابت بكتاب الله تعالى أولها الإخلاص في العبادة لقوله تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ والثاني بر الوالدين لقوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً والثالث صلة الرحم لقوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾ . والرابعة أن لا يضيع عمره في المعصية لقوله تعالى واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله والخامس أن لا يتبع هواه لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ﴾ وقوله تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ والسادس أن يجتهد في الطاعة لقوله تعالى ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ والسابع أن يكثر ذكر الله لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (تنبيه الغافلين) قال عليه السلام أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وهذا الحديث من حسان المصابيح رواه جابر رضي الله تعالى عنه وإنما جعل فيه الحمد لله تعالى أفضل الدعاء لأن الدعاء عبارة عن ذكر العبد ربه وسؤاله من فضله ففي الحمدلله هذا المعنى موجود إذ فيه ذكر الرب وطلب المزيد لأنه رأس الشكر والعمدة فيه قوله عليه السلام الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والشكر يستلزم المزيد لقوله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ فمن قال الحمدلله يصير كأنه سأل منه تعالى زيادة فضله بعد الثناء عليه . وأما كون لا إله إلا الله من أفضل الأذكار فلأن فيه معنى لا يوجد في ذكر غيره وبمعرفة ذلك المعنى يحصل للمكلف جميع ما يجب عليه معرفته في حقه تعالى وذلك معنى إثبات الألوهية له تعالى ونفيها عما عداه ويندرج في معنى الألوهية جميع ما يجب على المكلف معرفته مما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه ويجوز له لأن الألوهية تشتمل على معنيين أحدهما استغناؤه تعالى عن جميع ما سواه والثاني افتقار جميع ما عداه إليه تعالى فعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد لا مستغني عن جميع ما سواه إلا الله فيجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء إذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجاً إلى محدث لأن انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث وكل حادث مفتقر إلى محدث وكذا يجب له تعالى التنزيه عن النقائص ويدخل في التنزيه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام (مجالس الرومي ملخصاً) .

* * *



﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ﴾ اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم

صل على محمد ﴿ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ قولوا السلام عيك أيهـا النبي وقيل وانقـادوا لأوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل تجب الصلاة عليه كلما جـرى ذكره لقوله . تعـالى : رغم أنف رجل ذكـرت عنده فلم يصـل عليّ فدخل النار فأبعـده الله ؛ وتجوز على غيـره تبعاً لـه وتكره استقـلالاً لأنه في العـرف صـار شعاراً لذكر الـرسول ولـذا يكره أن يقـال محمـد عـز وجـل وإن كـان عـزيـزاً وجليلاً

وعن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي عليه السلام أنـه قال : « إن الله تعالى خلق ملكاً أعطاه سمع الخلائق كلها وهـو قائم عـلى قبري إلى يـوم القيامـة فما من أحد من أمتي يصلي على صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه وقـال يا محمـد إن فلان ابن فـلان صلى عليك فقالوا يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتمـوني ما أخبرتكم به . قـال النبي عليه السلام إن الله تعالى وكل بي ملكين فـلا أذكر عنـد مسلم فيصلي عـليَّ إلا قال ذانـك الملكان غفر الله لك وتقول الملائكة جواباً لهما آمين » ولا أذكر عند مسلم فلم يصل عليَّ إلا قال ذانك الملكان لا يغفر الله لك وتقول الملائكة جواباً لهـما آمين (أبـو السعود) رحمـه الله تعالى . عن أنس بن مالك عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على النبي فإذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ويدخل الدعاء وإن لم يصل رجع دعاؤه . حكي أن واحداً من الصلحاء جلس للتشهد ونسي الصلاة على النبي عليه السلام فرأى رسول الله في نومه فقال له النبي عليه السلام لم نسيت الصلاة عليَّ فقال يا رسول الله اشتغلت بثناء الله تعـالى وعبادتـه فنسيت فقال عليـه الصلاة والسـلام أما سمعت قـولي الأعمال مـوقـوفـة والدعوات محبوسة حتى يصلى عليّ وقال لو جاء عبد يوم القيامة بحسنات أهل الدنيـا ولم تكن فيهـا صلاة عـليّ ردّت ولم تقبل » (زبـدة الواعـظين) (ت) عن النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صـلاة » . حكي أن زاهداً رأى النبي عليه السلام في نومه فاستقبل الزاهد إليه فلم ينظر إليه فقال الزاهد يا رسول الله أأنت علي غضبان فقال عليه السلام لا فقال أما تعرفني وأنا فلان الزاهد فقال النبي عليه السلام لم أعرفك فقـال يا رسـول الله أنا سمعت العلماء يقـولون إن النبي صـلى الله تعالى عليـه وسلم يعرف أمته كما يعرف الأبوان ولدهما فقال النبي صـلى الله تعالى عليـه وسلم صدق العلماء إن النبي أعرف منهما بأمته أي بالذي يصلي على نبيه بقدر صلاته » (زهـرة الريـاض) حكي أن امـرأة جاءت إلى الحسن البصـري فقالت يـا أستاذ إن لي بنتـاً ماتت أريـد أن أراها في المنـام فعلمني شيئاً من الخوّاص حتى أراهـا فعلمها الصـلاة فرأت بنتهـا في المنام وعليهـا لباس من

قطران وفي عنقها غل وفي رجليها قيد من نار فاستيقظت وجاءت إلى الحسن باكية ووصفت ما رأته فبكى الحسن وأصحابه ثم مضى مدة فرأى الحسن في المنام أنها في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج يضيء ما بين المشرق والمغرب فقالت يا أستاذ أتعرفني فقال الحسن لا فقالت أنا بنت تلك المرأة التي علمتها الصلاة فقال الحسن بأي سبب نلت هذا المنزل فقالت مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي مرة وجعل ثوابها لها وكان في مقبرتنا خمسمائة وخمسون إنساناً معذباً فنودي ارفعوا عنهم العذاب ببركة صلاة هذا الرجل على النبي عليه السلام (زبدة الواعظين) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه السلام أنه قال : « جاء جبرائيل وقال يا محمد لا يصلي عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » روي عن الحسن البصري أنه قال رأيت أبا عصمة في المنام فقلت يا أبا عصمة ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت بأي سبب قال ما ذكرت حديثاً إلا صليت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زبدة الواعظين) .

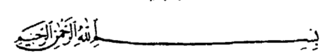
عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أتاني جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فقال جبرائيل يا رسول الله من صلى عليك في كل يوم عشر مرات أنا آخذ بيده وأمره على الصراط كالبرق الخاطف وقال ميكائيل أنا أسقيه من حوضك وقال ميكائيل أنا أسقيه من حوضك وقال إسرافيل أنا أسجد لله تعالى ما أرفع رأسي حتى يغفر الله تعالى له وقال عزرائيل أنا أقبض روحه كما أقبض أرواح الأنبياء عليهم السلام » . حكي عن عبدالله أنه قال لنا خادم يخدم السلطان وهو موصوف بالفسق فرأيته ليلة في منامي ويده في يد النبي عليه السلام فقلت له يا نبي الله هذا العبد من الفاسقين فكيف وضع يده في يدك فقال النبي عليه السلام قد غفر له وأنا أشفع له إلى لله تعالى فقلت يا نبي الله بأي سبب نال تلك المنزلة فقال بكثرة الصلاة عليّ إنه كان في كل ليلة حين يجيء إلى فراشه يصلي عليّ ألف مرة » (تحفة الملوك) وعن كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال إذا كان يوم القيامة يرى آدم عليه السلام واحداً من أمة محمد يساق إلى النار فيعدو خلفه النبي عليه السلام حتى يدركه ويقول يا ملائكة قفوا فيقولون يا محمد ألم تقرأ قوله تعالى في حقنا ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ فيسمعون نداء أطيعوا محمداً فيقول ردوه إلى الميزان فيوزن عمله فترجح سيآته على حسناته فيخرج النبي عليه السلام رقعة من كمه فيها الصلاة التي صلاها عليه في الدنيا فيضعها النبي على حسناته فتثقل فيفرح الرجل ويقول بأبي وأمي من أنت فيقول أنا محمد فيقبل ذلك الرجل قدم النبي عليه السلام فيقول يا رسول الله ما تلك الرقعة فيقول النبي عليه السلام هي صلاتك التي صليت عليّ في الدنيا ـ أنا حفظتها لك فيقول العبد يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله (كنز الأخبار) روي عن النبي عليه السلام أنه قال :

إن الله تعالى خلق ملائكة بأيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة لا يكتبون شيئاً إلا الصلاة علي وعلى أهل بيتي . حكي أن يهودياً كان ادعى بسرقة جمل على رجل مسلم فشهد عليه أربعة شهود من المنافقين زوراً فحكم النبي عليه السلام بالجمل لليهودي وبقطع يد المسلم فتحير المسلم فرفع رأسه إلى السماء فقال إلهي ومولاي أنت تعلم بأني لم أسرق هذا الجمل ثم قال يا رسول الله إن حكمك حق ولكن استخبر عني هذا الجمل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جمل لمن أنت فقال الجمل بلسان فصيح يا رسول الله أنا لهذا المسلم وإن هؤلاء الشهود لكاذبون فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا مسلم أخبرني ماذا تفعل حتى أنطق الله تعالى الجمل في حقك فقال المسلم يا رسول الله أنا لا أنام الليل حتى أصلي عليك عشر صلوات فقال النبي عليه السلام نجوت من القطع في الدنيا وتنجو من عذاب الآخرة في العقبى ببركة «صلاتك عليّ (درة المواعظين) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صلى عليّ عشراً إذا أصبح وعشراً إذا أمسى آمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة وكان من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » . حكي عن فضيل بن عياض عن سفيان الثوري أنه قال خرجت حاجاً فرأيت رجلاً في الحرم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان في الحرم وعند طواف البيت وعرفات ومنى فقلت أيها الرجل لكل مقام دعاء فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالصلاة سوى أنك تصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن لي فيه قصة فقلت أخبرني بها فقال خرجت من خراسان حاجاً إلى هذا البيت ومعي والدي فبلغت الكوفة فمرض والدي فتوفي فغطيت وجهه بإزار فلما كشفت عن وجهه رأيت صورته كصورة الحمار فحزنت حزناً شديداً وقلت كيف أظهر للناس هذه الحالة وإن والدي قد صار بهذه الصورة ثم نعست ساعة فرأيت في المنام كأنه دخل علينا رجل صبيح وعليه نقاب وكشف عن وجهه وقال لي ما هذا الغم العظيم فقلت وكيف لا أغتم مع هذه المحنة فانطلق إلى أبي فمسح وجهه فبرىء مما ابتلى به فقربت منه وكشفت عن وجهه فنظرت إليه فإذا وجهه كالقمر الطالع يلوح ليلة البدر فقلت له من أنت فقال أنا المصطفى فلمست طرف ردائه فقلت بحق الله تعالى أخبرني بالقصة فقال كان والدك آكل الربا وإن من حكم الله تعالى أن من أكل الربا يجعل صورته كصورة الحمار إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد جعلها الله تعالى لوالدك في الدنيا وكان والدك في الدنيا يصلي عليَّ كل ليلة قبل أن يضطجع مائة مرة فلما عرضت له هذه الحالة جاء الملك الذي يعرض عليَّ أعمال أمتي فأخبرني بحاله فسألت الله تعالى فشفعني فيه (تمت القصة) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي (مشارق) وقال عليه السلام من صلى عليّ مرة لم تبق من ذنوبه ذرة والقصص والأحاديث فيه كثيرة وقد اختصرناها

. . . .

كيلا تؤدي إلى أقوال طويلة » . روى أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن حبان في صحيحه على ما نقله مجد اللغوي عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من صلى عليّ صلاة صلى الله تعالى عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيآت ورفعت له عشر درجات » (كذا في المصابيح) قال الشيخ المظهر إن عادة الملوك والكرماء إعزاز من يعز أحبابهم وتشريف من يشرف أخلاءهم فإنه تعالى مالك الملوك وأكرم الكرماء فهو أحق بهذا الكرم فإن من يشرف حبيبه ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يصلي عليه يجد من الله الكريم الرحمة وحط الذنوب ورفع الدرجات انتهى كلامه » . قال بعض الكبار في هذا الحديث إيماء إلى أن الفيض من الحضرة الأحدية إنما يصل بواسطة الروح المحمدي لأنه قطب الأقطاب أزلاً وأبداً فالواجب على الطالب تحصيل المناسبة إلى جنابه الأعز بمداومة الصلاة عليه والتزام سنته فمن تقرب إليه بصلاة وصل إليه من الحضرة بواسطة متابعته عشر صلوات ورفع بينه وبين الحق عشرة من الحجب ورفعت له عشر درجات من درجات القرب» قال الله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ انتهى ثم معنى قولنا صل على محمد أي عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار شريعته وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وقال الحليمي المقصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره وقضاء حق النبي ﷺ علينا وقال عبد السلام ليست صلاتنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعة مناله فإن مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا وأنعم علينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فأرشدنا الله سبحانه لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا وإفضاله علينا انتهى قال ابن الشيخ رحمه الله تعالى والأحوط في « الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن نعمل بما اختاره الجمهور وهو وجوبها كلما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وإن ذكر في مجلس واحد ألف مرة انتهى لما ورد من الأحاديث فمنها قوله عليه السلام من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله فلا يلومن إلا نفسه رواه ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كذا في الترغيب وفي هذا الباب أحاديث كثيرة فمن كانَ ذا عقل سليم يكفيه ما ذكر فعلى العاقل أن يكثر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الليل والنهار سيما في يوم الجمعة وليلتها (انتهى)

* * *



﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

مِنْهَا وحملَهَا ٱلإِنْسَانُ ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء والمعنى أنها لعظم شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً ﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿ جَهُولاً ﴾ بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب وقيل المراد بالأمانة الطاعة التي تعم الطبيعية والإختيارية بعرضها استدعاؤها الذي يعم صلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والإمتناع عن أدائها وقيل إنه تعالى لما حلق هذه الأجرام خلق فيها فهماً وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها ناراً لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على خلقتنا لا نتحمل فريضة ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً ولما خلق ادم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحملها وكان ظلوماً لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولاً بو خامة عاقبته ولعل المراد بالأمانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبعي الذي هو عدم اللياقة والإستعداد وبحمل الإنسان قابليته واستعدادها له وكونه ظلوماً جهولاً لا غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية

(قاضي)

عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام فإذا صلى أحد على من أمتي في اليوم مائة مرة قضى الله تعالى له مائة حاجة سبعون منها في الآخرة وثلاثون في الدنيا » . قال بعضهم المراد من الأمانة التوحيد وهي كلمة الشهادة وكلمة الإيمان وكلمة النور وكلمة التقوى وعبر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله في المكلفين وأتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والإنقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها » (أبو السعود) وعن عبدالله بن عمر أنه قال كلمة لاإله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفاً والليل والنهار أربعة وعشرون ساعة فإذا قال العبد هذه الكلمات بالإخلاص في ساعة خفيفة يقول الله تعالى قد غفرت ذنوبك صغيرها وكبيرها خفيها وجهرها وعملها وسهوها بحرمة هذه الكلمات (حياة القلوب) قيل لما عرضت الأمانة على آدم عليه السلام قال رب إن السموات والأرض والجبال مع عظمها وسعتها لم يطقن حملها وأبين فكيف أحمل مع ضعفي

فقال الله تعالى الحمل منك والقدرة مني فحملها (تفسير حنفي) قال الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ خذها ولا تخف ﴾ الآية أري عصاه في عين فرعون وقومه ثعباناً عظيماً حتى خافوا وأراها في يمين موسى عليه السلام خشباً فلم يخف وكذا الأمانة أراها للسموات والأرض ثقيلة فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وأراها في عين الإنسان خفيفة فحملها (زهرة الرياض) فإن قيل ما الحكمة في أنها لم تقبل الأمانة مع عظم شأنها وجرمها وحملها الإنسان مع ضعفه قلنا لأنها لم تكن ذاقت لذة الجنة والإنسان كان قد ذاق لذتها فحملها ليبلغ إليها (تفسير حنفي) قال بعضهم المراد من الأمانة الصلوات الخمس قال الله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ قال عليه السلام « الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » روي أن علياً كرم الله وجهه كان كلما دخل وقت الصلاة تغير لونه فقيل له في ذلك فقال قد جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها فحملتها مع ضعفي فلا أدري أؤدّيها أم لا (بهجة الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة الأعضاء فالعين أمانة يلزم كفها عن الحرام كما قال الله تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ والبطن أمانة يلزم كفها عن إدخال الحرام كما قال الله تعالى ﴿ لا تأكلوا الربا ﴾ وقال ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ واللسان أمانة يلزم كفه عن الغيبة والفحش كما قال الله تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ والأذن أمانة يلزم كفها عن استماع المنكرات والمناهي كقوله تعالى ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ وكذا اليد والرجل والفرج أمانات يلزم كفها عن الحرام (بهجة الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة القرآن يلزم عليك أن تلازم قراءته وتعلمه وتعليمه . وفي الخبر إن الله تعالى يقول يوم القيامة للوح المحفوظ يا لوح أين الأمانة التي أودعت عندك يعني القرآن ما صنعت بها فيقول اللوح يا رب وكلت بها إسرافيل وسلمتها إليه فيقول الله تعالى يا إسرافيل ما صنعت بأمانتي فيقول يا رب سلمتها إلى ميكائيل وميكائيل إلى جبرائيل ثم يسأل جبرائيل فيقول ما صنعت بأمانتي فيقول جبرائيل يا رب سلمتها إلى حبيبك محمد فيقول الله تعالى هاتوا حبيبي محمداً بالرفق فجاء جبرائيل فقال يا محمد تدارك فيقول الله تعالى يا حبيبي هل بلغك جبرائيل أمانتي فيقول نعم فيقول الله ما صنعت بها فيقول رب بلغت أمتي فيقول الله تعالى يا ملائكتي هاتوا أمة حبيبي محمد حتى أسألهم عن أمانتي فيقول النبي يا رب أمتي ضعفاء لا يقدرون أن يجيئوا حضرتك ثم يقول يا رب ائذن لي حتى أذهب إلى آدم عليه السلام فيأذن الله تعالى ويذهب ويقول عليه الصلاة والسلام يا آدم أنت أبو البشر وأنا نبيهم إن أصابتهم العلة يكون الحزن علينا فخذ نصف ذنوب أمتي وأنا نصفها حتى ينجوا من السؤال والحساب فيقول آدم عليه السلام يا محمد أنا مشغول بنفسي فلا أقدر ثم يرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجيء تحت العرش ويضع رأسه ساجداً ويبكي بكاء شديداً ويتضرع إلى الله تعالى ويقول يا رب لا

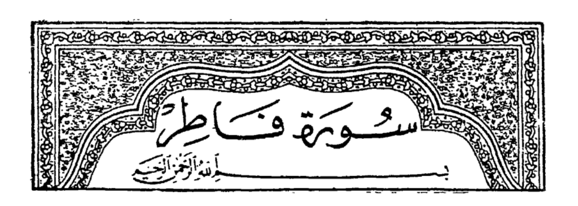
أسألك نفسي ولا فاطمة بنتي ولا الحسن والحسين بل أريد أمتي فيقول الله تعالى بلطفه وكرمه يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع أعطيت أمتك ما ترضى وفوق ما ترضى قال تعالى ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ (تفسير حنفي) .

أنا المطلوب فاطلبني تجدني * وإن تطلب سوائي لم تجدني .

قال بعضهم المراد من الأمانة الصوم فهو ركن الإسلام فمن أقامه فقد أقام الدين ومن تركه فقد هدم الدين وقال الله تعالى ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقال عليه السلام ﴿ فرض عليكم صوم رمضان ﴾ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ﴿ من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ (مطالع الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة الزكاة وهي تطهير البدن والمال قال الله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ﴾ الآية وقال الله تعالى ﴿ أقيموا الصلوة وآتو الزكاة ﴾ روي أن موسى عليه السلام مر يوماً على رجل يصلي مع خشوع وخضوع فقال يارب ما أحسن صلاة هذا قال الله يا موسى لو صلى كل يوم وليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وحج ألف حجة وشيع ألف جنازة لا ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله (تفسير قرطبي) وقال بعضهم المراد من الأمانة الحج وهو من أركان الإسلام قال الله تعالى ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ من ملك زاداً وراحلة ولم يحج فليمت على أي حال شاء يهودياً أو نصرانياً ﴾ (مجمع اللطائف ﴾ وقال بعضهم المراد من الأمانة سائر الأمانات قال الله تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ وقال عليه السلام ﴿ لا إيمان لمن لا أمانة له ﴾ وروي عن مالك بن صفوان أنه قال مات أخي فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال غفر لي ربي فرأيت به نقطة سوداء في وجهه فسألته عنها فقال عندي ليهودي كذا وكذا دراهم بالأمانة ولم أؤدّها إليه فهذه النقطة لأجلها فأسألك يا أخي أن تأخذ الأمانة من الموضع الفلاني وتردّها إلى اليهودي فلما أصبحت فعلت ما قاله فرأيته ثانياً قد زالت عنه تلك النقطة فقال رحمك الله يا أخي لما خلصتني من العذاب (تفسير عيون)

وقال بعضهم المراد من الأمانة الأهل والأولاد فيلزم عليك أن تأمرهم بالصلاة كما قال الله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلوة ﴾ وقال عليه السلام ﴿ مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً واضربوهم إذا بلغوا عشراً ﴾ فيلزم عليك أن تحفظهم من المحارم واللعب لأنك مسؤول عنهم كما قال النبي عليه السلام ﴿ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾ (تفسير عيون) حكي أن عابداً عبد الله تعالى مدة فيوماً من الأيام توضأ وصلى ركعتين ورفع رأسه

ويده نحو السماء فقال إلهي تقبل مني فنادى مناد من قبل الرحمن لا تنطق فإن طاعتك مردودة فقال العابد لم ذلك يا رب قال المنادي إن امرأتك فعلت فعلاً مخالفاً لأمري وأنت راض عنها فجاء العابد وسألها عن حالها فقالت ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة فقال الزاهد أنت طالق مني فإني لا أقبلك أبداً فطلق امرأته وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه ويده وقال اللهم تقبل مني فنودي : الآن قد قبلت طاعتك (عيون) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ آية المنافق﴾ أي علامته ﴿ ثلاث ﴾ أي ثلاث خصال ﴿ إذا حدث كذب ﴾ فعلى المؤمن الصادق في إيمانه أن يحترز عن الكذب لأنه سبب لسواد الوجه يوم القيامة كما ورد في حديث رواه البيهقي عن أبي بردة رضي الله تعالى عنه أنه كما في الجامع الصغير قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ الكذب يسود الوجه ﴾ أي يوم القيامة لأن الإنسان إذا قال شيئاً لم يكن كذبه الله تعالى وكذبه إيمانه من قلبه فيظهر أثره على وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . روى الترمذي وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به - كذا في الجامع الصغير ﴿ وإذا وعد أخلف ﴾ أي لم يوف بوعده ﴿ وإذا ائتمن ﴾ أي إذا جعل أميناً أو وضع عنده أمانة ﴿ خان ﴾ قيل هذا على سبيل إنذار المسلم وتحذيره لأن هذه الخصال الذميمة تفضي به الى النفاق وهذه الخصال كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى لأن الله تعالى لما خاطب الأرواح في عالم الأرواح بقوله ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ أقرّوا بربوبيته فأخذ الله سبحانه عليهم العهد والميثاق «ووعدوا الاستقامة على العهد فإذا أخل العبد بالإقرار في هذا العالم يكون كاذباً ومخلفاً لوعده وكذا الأمانة كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى لأن الله تعالى أعطى الإنسان أمانة وهي الأمر بالطاعات والعبادات فمن أداها فقد أدى الأمانة ومن تركها فقد خان الأمانة انتهى .



﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ﴾ يداومون قراءته أو متباعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنواناً والمراد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اختصاص حال المكذبين ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾ كيف اتفق من غير قصد إليهما ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً ﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خير إن ﴿ لَنْ تَبُورَ ﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ ﴾ علة لمدلوله أي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أو لمدلول ما عدّ من أفعالهم نحو ما فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون ﴿ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ على ما يقابل أعمالهم ﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴾ لفرطاتهم ﴿ شَكُورٌ ﴾ لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أو خبر إن ويرجون حال من واو وانفقوا . (قاضي) .

جاء رجل إلى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذاً تكفي همك ويغفر ذنبك (شفاء شريف) كان في زمن خلافة سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه رجل موسر من حيث الدنيا وكانت له سيرة سيئة وكان له شوق في الصلاة على النبي عليه السلام لا يغفل عنها ولا يفتر ساعة واحدة فلما حضرته الوفاة تضايق واسود وجهه وصار من يراه يحصل له الرعب فلما دخل في غمرات

الموت نادى يا أبا القاسم إني أحبك ومكثر من الصلاة عليك فما تم كلامه حتى نزل طائر من السماء فمسح بجناحه وجه ذلك الرجل فابيض وجهه وفاح له ريح كريح المسك الأذفر ومات على الشهادة فلما قدموه إلى القبر ووضعوه في اللحد سمعوا صوتاً من جو السماء إن هذا العبد لم يوضع في قبره إلا أكفانه وإن الصلاة التي كان يصليها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذته من قبره ووضعته في الجنة فتعجب الحاضرون من ذلك وانصرفوا فلما كان الليل رؤي الرجل في المنام وهو يمشي بين السماء والأرض يقرأ قوله تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ (موعظة) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من كان يرجو لقاء الله فليكرم أهل الله قيل يا رسول الله هل لله عز وجل أهل قال نعم قيل من هم يا رسول الله قال أهل الله في الدنيا الذين يقرؤون القرآن ألا من أكرمهم فقد أكرمه الله وأعطاه الجنة ومن أهانهم فقد أهانه الله وأدخله النار يا أبا هريرة ما عند الله أحد أكرم من حامل القرآن ألا وإن حامل القرآن عند الله أكرم من كل أحد إلا الأنبياء » . وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ذات يوم ألا أعلمكم بأفضل أمتي يوم القيامة قالوا بلى يا رسول الله قال الذين يقرؤون القرآن إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل يا جبرائيل ناد في المحشر ألا من كان يقرأ القرآن فليقم فينادي ثانياً وثالثاً فيقفون صفوفاً بين يدي الرحمن لا يتكلم أحد منهم حتى يقوم نبي الله داود عليه السلام فيقول الله اقرأوا وارفعوا أصواتكم فيقرأ كل واحد منهم ما ألهمه الله تعالى من كلامه فكل من قرأ رفعت له الدرجات كل واحد على حسن صوته ونغمته وخشوعه وتدبره وتأمله ثم يقول الله تعالى يا أهلي أتعرفون من أحسن اليكم في دار الدنيا فيقولون نعم يا رب فيقول الله تعالى اذهبوا إلى المحشر فكل من عرفتموه يدخل معكم الجنة » . وعن علي كرم الله وجهه أنه قال كنت جالساً مع النبي عليه السلام في جماعة من الصحابة إذ أتى رجل من البادية فقال السلام عليك يا رسول الله ثم قال إن الله تعالى قد فرض علينا خمس صلوات وقد ابتلينا بالدنيا وأهوالها فوحقك يا رسول الله ما نصلي ركعة واحدة إلا وأشغالنا داخلة فيها فكيف يتقبلها الله وهي مختلطة بأشغال الدنيا فقال علي كرم الله وجهه هذه صلاة لا يقبلها الله تعالى ولا ينظر اليها فقال عليه السلام : « وهل تقدر يا علي أن تصلي ركعتين خالصا لله تعالى من كل هم وشغل ووسوسة وأنا أعطيك بردتي الشامية » فقال علي أنا أقدر على ذلك فقام علي من بين الصحابة وأسبغ الوضوء وقام للصلاة ونوى لله تعالى خالصا بقلبه وركع الركعة الأولى ثم دخل في الثانية فلما ركع قام منتصباً على قدميه وقال سمع الله لمن حمده وذكر في قلبه لو كان النبي ﷺ يعطيني البردة القطوانية لكانت خيراً لي من تلك الشامية ثم سجد وتشهد وسلم فقال عليه السلام :

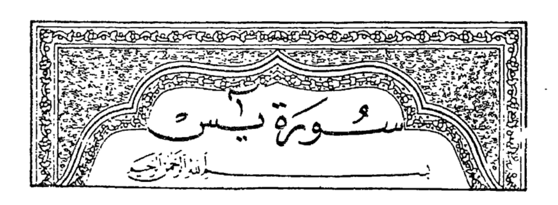
« ما تقول يا أبا الحسن » فقال وحقك يا رسول الله إني صليت الركعة الأولى خالياً من كل هم ووسوسة ثم صليت الركعة الثانية فذكرت في نفسي وقلت لو كنت تعطيني بردتك القطوانية لكانت خيراً لي من تلك الشامية وحقك يا رسول الله لا يقدر أحد أن يصلي ركعتين خالصا لله تعالى فقال عليه السلام ﴿ صلوا فرضكم ولا تتكلموا في صلاتم فإن الله لا يقبل صلاة مشوبة باشغال الدنيا ولكن صلوا واستغفروا ربكم بعد صلاتكم وأبشركم بأن الله تعالى خلق مائة رحمة ينشرها على أمتي يوم القيامة ما من عبد ولا أمة صلى الصلاة المفروضة إلا كان تحت ظل تلك الصلاة يوم القيامة ﴾ (موعظة) وقال عليه الصلاة والسلام : « سمعت ليلة أسري بي الحق يقول يا محمد مر أمتك أن يكرموا ثلاثة الوالد والعالم وحامل القرآن يا محمد حذرهم من أن يغضبوهم أو يهينوهم فإن غضبي يشتد على من يغضبهم يا محمد أهل القرآن هم أهلي جعلتهم عندكم في الدنيا إكراماً لأهلها ولولا كون القرآن محفوظاً في صدورهم لهلكت الدنيا ومن عليها يا محمد حملة القرآن لا يعذبون ولا يحاسبون يوم القيامة يا محمد حامل القرآن إذا مات تبكي عليه سمواتي وأرضي وملائكتي يا محمد إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة أنت وصاحبيك أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وحامل القرآن » (الموعظة الحسنة) قال النبي عليه الصلاة والسلام ﴿خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ رواه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه . وعن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن عمربن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين » رواه مسلم وابن ماجه . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « يقول تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب . وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام ﴿ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر ﴾ وفي رواية مثل الفاجر بدل المنافق رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة . وعن أنس

رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام ﴿ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك شيء من شراره أصابك من دخانه ﴾ رواه أبو داود . وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام : « يقول اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » رواه مسلم .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كما في مشكاة المصابيح أنه قال قال رسول الله عليه السلام ﴿ من نفس عن مؤمن كربة ﴾ أي أذهب عنه الحزن إذ الكربة بالضم الحزن وتنوينها للتحقير ﴿ من كرب الدنيا ﴾ بماله أو بمساعدته أو رأيه أو إشارته قيد بالمؤمن لأنه مظنة الكرب في الدنيا ﴿ نفس الله عنه كربة ﴾ تنوينها للتعظيم ﴿ من كرب الآخرة ومن يسر ﴾ أي سهل ﴿ على معسر ﴾ أي فقير وهو يشمل المؤمن والكافر أي من كان له على فقير دين فسهل عليه بإمهاله أو ترك بعضه ﴿ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ﴾ ملتبساً بفعل قبيح بأن لا يفضحه أو ستر عرياناً بأن ألبسه ثوباً ﴿ ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ﴾ أي في نصرته ﴿ ما كان ﴾ أي ما دام ﴿ العبد ﴾ مشغولاً ﴿ في عون أخيه المسلم ﴾ وقضاء حاجته ﴿ ومن سلك ﴾ أي ذهب ﴿ طريقاً يلتمس ﴾ أي يطلب حال أو صفة ﴿ فيه علماً ﴾ نكره ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليله وكثيره وفيه استحباب الرحلة في طلب العلم وقد ذهب موسى الكليم إلى الخضر عليهما السلام وقال هل أتبعك على أن تعلمني مما علمتَ رشداً ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس رضي الله تعالى عنهما في حديث واحد ﴿ سهل الله به ﴾ أي بسبب ذلك ﴿ طريقاً إلى الجنة ﴾ يعني جعل الله ذهابه في طلب العلم سبباً لوصوله إلى الجنة من غير تعب ويجازي عليه بتسهيل قطع العقبات الشاقة كالوقوف والجواز على الصراط وغير ذلك ﴿ وما اجتمع جماعة في مسجد من مساجد الله ﴾ احترز به عن مساجد اليهود والنصارى فإنه يكره الدخول فيها ﴿ يتلون كتاب الله ﴾ أي يقرؤون القرآن ﴿ ويتدارسونه بينهم ﴾ وهو قراءة بعض مع بعض تصحيحاً لألفاظه أو كشفاً لمعانيه ﴿ إلا نزلت عليهم السكينة ﴾ وفي مظهر المصابيح السكينة الشيء الذي يحصل سكون الرجل إليه والمراد ههنا بها حصول الذوق والشوق للرجل من القرآن وصفاء قلبه بنوره وذهاب الظلمة النفسانية من القلب ونزول الضياء الرحماني فيه وقيل اسم ملك ينزل قلب المؤمن ويأمره بالخير ويحرضه على الطاعة ويوقع في قلبه

. . . .

الطمأنينة والسكون على الطاعة انتهى ﴿ وغشيتهم الرحمة ﴾ أي أحاطت بهم يعني تنزل عليهم الرحمة والبركة من الله تعالى ﴿ وحفت بهم الملائكة ﴾ أي طافوا بهم وداروا حولهم يستمعون القرآن ودراسته ويحفظونهم من الآفات ويصافحونهم ويزورونهم ﴿ وذكرهم الله فيمن عنده ﴾ المراد من العندية الرتبة يعني في الملائكة المقربين ويقول انظروا إلى عبادي يذكرونني ويقرؤ ون كتابي وإي شرف أعظم من ذكر الله تعالى عباده بين ملائكته ﴿ ومن بطأ به ﴾ بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجيل والباء للتعدية أي أخره في الآخرة « عمله » السيء أو تفريطه في العمل الصالح ﴿ لم يسرع به نسبه ﴾ أي لم ينفعه شرف نسبه وتنجبر لم نقيصته به فإن التقرب إلى الله تعالى لا يحصل بالنسب وكثرة العشائر والأقارب بل بالعمل الصالح (كذا في شرح المصابيح) .



﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدم أن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ من جملة ما يقال لهم تقريعاً وإلزاماً للحجة وعهده إليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لأنه الآمر بها والمزين لها ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه ﴿ وأَنِ اعبُدُوني ﴾ عطف على أن لا تعبدوا ﴿ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته والجملة استئناف لبيان المقتضىٰ للعهد بشقية أو بشق الآخر والتنكير للمبالغة أو للتعظيم او للتبعيض فإن التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُم جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعقِلوْنَ ﴾ رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنىٰ عقل ورأىٰ والجبل الخلق ﴿ هٰذِهِ جَهَنَّمُ التي كُنْتُمْ تُوعَدُوْنَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا (قاضي) .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا دخلت المسجد فسلم على النبي ﷺ فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم ﴾ وفي حديث أوس رضي الله تعالى عنه ﴿ اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ ﴾ (شفاء شريف) قوله وامتازوا يعني

. . . .

اعتزلوا أيها الكفار عن المؤمنين فإنهم قد تأذوا منكم في الدنيا فاعتزلوهم حتى ينجو منكم . ويقال إن المنادي ينادي أيها المجرمون امتازوا فإن المؤمنين قد فازوا أيها المنافقون امتازوا فإن المخلصين قد فازوا أيها الفاسقون امتازوا فإن الصالحين قد فازوا أيها العاصون امتازوا فإن المطيعين قد فازوا كما قال الله تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ يعش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً (قاضي) كما قال الله تعالى في آية أخرى ﴿ إن الشيطان لكم عدو ﴾ عداوة قديمة ﴿ فاتخذوه عدواً ﴾ في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿ إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ (قاضي) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال خرج النبي عليه السلام ذات يوم من المسجد فإذا هو بإبليس فقال عليه السلام : « ما الذي أجاءك إلى باب مسجدي » قال يا محمد أجاءني الله قال فلماذا قال لتسألني عما شئت فقال ابن عباس أول شيء سأله عنه الصلاة قال له يا إبليس لم تمنع أمتي عن الصلاة بالجماعة قال يا محمد إذا خرجت أمتك إلى الصلاة تأخذني الحمى الحارة فلا يرتفع ذلك حتى يتفرقوا وقال عليه السلام : « يا إبليس لم تمنع أمتي عن قراءة القرآن » قال عند قراءتهم أذوب كالرصاص وقال عليه السلام : « يا إبليس لم تمنع أمتي عن الجهاد » قال إذا خرجوا إلى الجهاد قيدت بقيد على قدمي حتى يرجعوا وقال عليه السلام : « لم تمنع أمتي عن الحج » قال إذا خرجوا إلى الحج أسلسل وأغل وإذا هموا بالصدقة يوضع على رأسي المنشار فينشرني كما ينشر الخشب (زهرة الرياض) وفي الخبر لما وقع أهل النار في النار وضع لإبليس منبر من النار وألبس لباساً من النار وتوّج بتاج من النار وقيد بقيد من النار ثم يقال يا إبليس اصعد المنبر واخطب لأهل النار فيصعد ويقول لأهل النار يا أهل النار فيسمع صوته جميع من في النار فيتوجهون جميعاً إليه فينظرون فيقول يا معشر الكفار والمنافقين إن الله وعدكم وعد الحق بأنكم تموتون ثم تحشرون ثم تحاسبون ثم تفرقون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير إنكم ظننتم أن لا تزولوا من الدنيا وتبقوا فيها وما كان لي عليكم من سلطان إلا أني أوسوس لكم فاستجبتم لي واتبعتموني فالجرم لكم فلا تلوموني ولوموا أنفسكم فإنكم أحق بالملامة مني كيف لا تعبدون الله تعالى وهو خالق كل شيء ثم يقول ما أقدر على أن أنجيكم من عذاب الله ولا أنتم تقدرون على إن تنجوني أني تبرأت اليوم مما قلت لكم فإني مطرود ومردود من حضور رب العالمين فإذا سمع أهل النار هذا القول من إبليس لعنوه جميعاً ثم تضربه الزبانية برمح من النار فتلقيه من فوق منبره في النار إلى أسفل سافلين مؤبداً فيها مع من تبعه من أهل النار فتقول لهم الزبانية لا موت لكم ولا راحة لكم خالدين فيها (زهرة الرياض) وحكي أن أبا زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة أتاه صديق له في سكرات الموت ولقنه . لا إله إلا الله محمد رسول الله . فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقلها فقال له ثانياً

. . . .

فأعرض عنه فقال له ثالثاً فقال لا أقول فخشي عليه صديقه فلما كان بعد ساعة وجد أبو زكريا خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لي شيئاً قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثاً فأعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال أتاني إبليس ومعه قدح من ماء فوقف على يميني وحرّك القدح وقال أتحتاج إلى الماء فقلت لا-قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه وأتاني من قبل رجلي وقال لي كذلك وفي الثالثة قال قل لا إله قلت لا أقول فألقى القدح إلى الأرض وولى هارباً وأنا أردّ على إبليس لا عليكم فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهدا أن محمداً عبده ورسوله (زهرة الرياض) حكي أن إبليس عليه اللعنة كان يرى في الزمن الأول فقال له رجل يا ابا مرة كيف أصنع حتى أكون مثلك قال ويحك لم يطلب مني أحد هذا فكيف تطلبه أنت فقال الرجل إني أحب ذلك فقال إبليس إن أردت أن تكون مثلي فتهاون بالصلاة ولا تبال من الحلف صادقاً أو كاذباً فقال الرجل لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة ولا أحلف يميناً قط فقال إبليس ما تعلم أحد نصحاً مني بالاحتيال غيرك وقد عهدت أن لا أنصح لآدمي (كنز الأخبار) قال الحكماء من أراد أن يكون من العارفين وينجو من الشيطان فليرفع بينه وبين المعرفة أربعة أشياء إبليس وما شاء إبليس والنفس وما شاءت النفس والهوى وما شاء الهوى والدنيا وما شاءت الدنيا : شاء إبليس زوال دينك لتكون معه في النار مخلداً كما قال الله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ الآية . والنفس شاءت المعصية وترك الطاعة وهي معيوبة وقد بين الله تعالى. عيبها على لسان يوسف عليه السلام بقوله ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ وأما الهوى فإنه شاءت الشهوات ترك الجد بالخدمة وقد قال الله تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ الآية . والدنيا شاءت أن تختار عملها على عمل الآخرة وقد قال الله تعالى ﴿ فأما من طغى وآثرالحياةالدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء الأربعة فقد وصل العارف إلى المعروف وهو الله تعالى ومن أطاع إبليس فيما شاء فهو ساع في زوال دينه فيكون عذابه بالتأبيد كعذاب إبليس ومن أطاع النفس فيما شاءت وهي المعصية يكون عذابه على الانقطاع ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون عليه أشد الحساب ومن أطاع الدنيا فيما شاءت وهو اختيارها على الآخرة تذهب عنه الدنيا والآخرة قال الله تعالى ﴿ خسر الدنيا والآخرة ﴾ ومن أجاب إبليس ذهبت عنه المولى لقوله تعالى ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة لقوله تعالى ﴿ بئس للظالمين بدلاً ﴾ (زهرة الرياض) روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال قال

رسول الله عليه السلام : « إذا خلص المؤمنون من النار وأمنوا منها فما مجادلة أحدكم لصاحبه في حق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين دخلوا النار يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا فأدخلتهم النار قال فيقول الله تعالى اذهبوا وأخرجوا من عرفتم منهم قال فيأتون فيعرفونهم بصورتهم ولا تأكل النار صورتهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته النار إلى كتفيه فيخرجونهم فيقولون ربنا امرتنا أن نخرج من عرفناه فيقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان يريد به الإيمان كله لأن الشيء قد يسمى باسم بعضه والدليل على ذلك قوله تعالى﴿ ولحم الخنزير ﴾ وإنما أراد به الخنزير كله وقوله تعالى ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أراد به الكل قال أبو سعيد فمن لم يصدق به فليقرأ هذه الآية ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ ـ قال ويقولون ربنا أخرجنا من النار فلم يبقى في النار أحد فيه خير ثم يقول الله تعالى شفعت الملائكة والأنبياء والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار أو قبضتين ناساً لم يعلم الله فيهم خيراً قد احترقوا فيؤتي بهم إلى عين يقال لها عين الحياة فيغتسلون فيها قال فيخرجون منها وأجسادهم مثل اللؤلؤ وفي أعناقهم خاتم مكتوب فيه هؤلاء عتقاء الرحمن فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين قال فيقول الله تعالى إن لكم عندي أفضل منه قال فيقولون ربنا ما أفضل من ذلك فيقول رضاي ولا أسخط عليكم أبداً » (زهرة الرياض) قال تعالى في إهانة المجرمين لجزاء جرمهم وعظم قبائحهم ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ كما يساق البهائم ﴿ إلى جهنم وردا ﴾ جمع وارد فيساقون إليها رجالة عطاشاً قد تقطعت أكبادهم من العطش وأصل الورد من الورود إلى الماء والوارد على الماء يكون عطشان كذا في العيون ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ أي المؤمنون والمجرمون كلهم نصب على الحال ﴿ إلا من اتخذ ﴾ في الدنيا محله رفع بدل من واو يملكون كذا في العيون ﴿ عند الرحمن عهداً ﴾ يعني قال لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا مؤمن وقيل معناه لا يشفع الشافعون إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً يعني إلا للمؤمن كذا في المعالم أو إلا من اتخذ إذناً فيها لقوله تعالى ﴿ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ﴾ من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا أي أمره به (قاضي بيضاوي) أي لا يشفع إلا المأمور بالشفاعة من أهل الإيمان كذا في العيون . أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « من جاء بالصلاة الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئاً فله عند الله تعالى عهد أن لا يعذبه ومن جاء وقد انتقص منها شيئاً فليس له عهد إن شاء رحمه وإن شاء عذبه » ـ كذا في الدر (من التفاسير) .



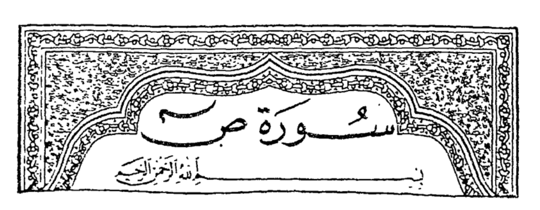
﴿ وَقَالَ إنِّي ذَاهِبٌ إلىَ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني ربي وهو الشام ﴿ سَيَهْـدِين﴾ إلى ما فيه صلاح ديني. ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن الصَّالحينَ﴾ بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيم﴾ بشره بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَـهُ السَّعْيَ﴾ اي فلما وجد بلغ أن يسعىٰ معه في أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي-لابه لأن صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ فإن بلوغها لم يكن معاً كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من ؟ فقيل معه ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أنه رأىٰ ذلك وأنه رأىٰ ما هو تعبيره ﴿ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىَ من الرأي وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه أن سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ﴾ اي ما تؤمر به ﴿ سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرينَ﴾ على الذبح او على قضاء الله ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ استسلما لأمر الله أو سلم الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه ﴿ وَتَلهُ لِلْجَبين﴾ صرعه على شقه فوضع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَـا إبْراهِيْمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بالعزم وإتيان المقدمات ﴿ إنَّا كَذٰلِكَ نَجْزي المُحسِنِيْنَ﴾ تعليل لإفراج تلك الشدة عنهما بإحسانهما (قاضي) .

قيل سبب ذبح إبراهيم إسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاة وثلاثمئة بقرة ومائة بدنة في سبيل الله فتعجب الناس والملائكة من ذلك فقال إبراهيم عليه السلام كل ما قرب به ليس بشيء عندي والله لو كان لي ابن لأذبحنه في سبيل الله وأتقرب به إلى الله تعالى فلما قال إبراهيم عليه السلام هذا القول مضى عليه زمان فنسى هذا القول فلما جاء إلى الأرض

المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره بالولد وولدته أمه فلما بلغ معه السعي أي لما صلح أن يمشي معه وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثلاث عشرة سنة ولفظ معه للبيان يعني لما بلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل له في نومه أوف نذرك . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما كانت ليلة التروية نام ورأى في المنام من يقول يا إبراهيم أوف نذرك فلما أصبح أخذ يتروى أي يتفكر أهو من الله أم من الشيطان فلذا سمي يوم التروية فلما أمسى رآى ثانياً في المنام فلما أصبح عرف أنه من الله ولذا سمي ذلك اليوم يوم عرفة واسم ذلك المكان عرفات ثم رآى في الليلة الثالثة مثله فهم بنحره ولذا سمي يوم النحر فلما أراد أن يذهب باسماعيل عليه السلام إلى النحر قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهي أم إسماعيل عليه السلام البسي ولدك إسماعيل أحسن ثيابه فإني ذاهب به إلى ضيافة فألبسته أمه ودهنته ورجلت شعر رأسه فحمل إبراهيم عليه السلام حبلاً وسكيناً وذهب معه إلى جانب منى ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر تردداً منه في ذلك اليوم فكان إسماعيل علية السلام يعدو أمام أبيه فجاء إبليس يقول لأبيه ألا ترى اعتدال قامته وحسن صورته ولطافة سيرته فقال إبراهيم نعم ولكن أمرت بذلك فلما أيس منه جاء إلى هاجر فقال كيف تقعدين ذهب إبراهيم بابنك ليذبحه قالت لا تكذب عليّ هل رأيت أباً يذبح ابنه فقال لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين قال لأي شيء يذبحه قال يزعم أنه أمره ربه بذلك فقالت النبي لا يؤمر بالباطل وأنا أفدي لأمره روحي فكيف بولدي فلما أيس من جانبها جاء إلى إسماعيل فقال إنك تفرح وتلعب ومع أبيك حبل وسكين يريد ذبحك فقال لا تكذب عليّ لا يذبحني أبي قال يزعم أنه أمره ربه بذلك قال سمعنا وأطعنا لأمر ربي فلما أراد إبليس أن يلقي كلاماً آخر أخذ إسماعيل حجراً من الأرض فرماه به ففقأ عينه اليسرى فذهب إبليس خائباً وخاسراً فأوجب الله لنا رمي الحجارة في ذلك الموضع طرداً للشيطان واقتداءاً بإسماعيل بن خليل الرحمن فلما بلغا منى قال إبراهيم لولده ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فأنظر ماذا ترى ﴾ أي بين لي ما الذي ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل العفو قبل الفعل ؟ هذا امتحان من إبراهيم لولده هل يجيبه بالسمع والطاعة أم لا ﴿ قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ على ما أمرت به من الذبح فلما سمع إبراهيم كلام ولده عرف أنه استجاب الله دعاءه حين دعا الله بقوله رب هب لي من الصالحين لحمد الله كثيراً ثم قال إسماعيل لأبيه يا أبت أوصيك بأشياء أن تربط يدي كيلا أضطرب فأوذيك وأن تجعل وجهي على الأرض كيلا تنظر إلى وجهي فترحمني واكفف عني ثيابك كيلا يتلطخ عليها شيء من دمي فينتقص أجري وتراه أمي فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي ليكون أهون فإن الموت شديد وأن تذهب بقميصي إلى أمي تذكرة لها مني وسلم عليها وقل لها

اصبري على أمر الله ولا تخبرها كيف ذبحتني وكيف ربطت يدي ولا تدخل الصبيان على أمي كيلا يتجدد حزنها لي وإذا رأيت غلاماً مثلي فلا تنظر إليه حتى لا تجزع ولا تحزن فقال إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا ولدي على أمر الله تعالى ﴿ فلما أسلما ﴾ أي استسلما وانقادا لأمر الله تعالى ﴿ وتله للجبين ﴾ أي صرعه على شقه كالشاة للذبح وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف عليه ووضع السكين على حلق ولده فعالجه بشدة وقوة فلم يقدر على قطعه وقد كشف الله الغطاء عن أعين ملائكة السموات والأرض فلما رأوا أن إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل خرّوا له سجداً فقال الله تعالى انظروا إلى عبدي كيف يمر السكين على حلق ولده لأجل رضائي وأنتم قلتم حين قلت إني جاعل في الأرض خليفة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ثم قال إسماعيل عليه السلام يا أبت حل يدي ورجلي حتى لا يراني الله مكرهاً أي في طاعة أمره مكرهاً بل ضع السكين على عنقي ليعلم الملائكة أن ابن الخليل مطيع لله ولأمره بالاختيار فمدّ يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض فأمرّ السكين بجميع قوته فانقلب السكين ولم يقطع بإذن الله تعالى فقال إسماعيل عليه السلام يا أبت ضعفت قوتك بسبب محبتك إلي فلا تقدر على ذبحي فضرب بالسكين الحجر فصار نصفين فقال إبراهيم عليه السلام تقطع الحجر ولم تقطع اللحم فتكلم السكين بقدرة الله تعالى فقال يا إبراهيم أنت تقول اقطع وإله العالمين يقول لا تقطع فكيف أمتثل أمرك عاصياً لربك ثم قال الله تعالى ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤ يا ﴾ فيما رأيت من الرؤ يا فظهر لعبادي أنك اخترت رضاي على حب ولدك وكنت في ذلك من المحسنين ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي المطيعين لأمري ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ أي الذبح هو الأختيار الظاهر أو الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعبة إذ لا شيء أصعب منها ﴿ وفديناه ﴾ أي خلصنا المأمور بذبحه ﴿ بذبح عظيم ﴾ من الجنة وهو الكبش الذي قرّبه هابيل وقبل منه وكان في الجنة حياً حتى فدى به اسماعيل وكان عظيم الجسم وقد أتى جبرائيل مع الكبش حتى رآى ابراهيم عليه السلام يعالج بالسكين حلق إسماعيل فقال جبرائيل تعظيماً لله تعالى وتعجباً لإبراهيم (الله أكبر الله أكبر) فقال إبراهيم عليه السلام (لا إله إلا الله والله أكبر) وقال إسماعيل (الله أكبر ولله الحمد) فحسن الله هذه الكلمات فأوجبها علينا في أيام النحر اقتداء بإبراهيم عليه السلام . عن ابن عباس رضي الله عنهما لو تمت تلك الذبيحة لصار ذبح الناس أبناءهم سنة وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة . روي أن إسماعيل عليه السلام قال لأبيه أنت سخي أم أنا فقال إبراهيم عليه السلام أنا وقال

إسماعيل عليه السلام بل أنا لأن لك إبنا اخر وليس لي إلا روح واحد قال الله أنا أسخى منكما حيث أعطيت الفداء لكما وأنجيتكما من عذاب الذبح (مشكاة الأنوار) وروي أن الملائكة تعجبوا من كرامة إسماعيل عليه السلام عند رب العالمين حيث بعث كبشاً من الجنة على عنق جبرائيل عليه السلام فداء له قال الله تعالى فوعزتي وجلالي لو أن جميع الملائكة حملوا على أعناقهم فداء له لما كان مكافأة لقوله ﴿ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ قيل لما رأى إبراهيم عليه السلام الرؤيا أولاً اختار مائة من الغنم من أسمنها فذبحها فجاءت النار فأكلتها فظن أنه قد وفى فلما رأى ثانياً عرف أنه من الله واختار مائة من الإبل من أسمنها فذبحها فجاءت النار فأكلتها فظن أنه قد وفى فلما رأى ثالثاً كأن قائلاً يقول ان الله تعالى يأمرك أن تذبح ولدك إسماعيل فانتبه وضم ابنه إلى نفسه وبكى حتى أصبح (مجالس الأبرار) قيل لما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً قالت الملائكة يا رب إن له مالاً وولداً وامرأة فكيف يكون خليلاً لك مع هذه الشواغل فقال الله تعالى لا تنظروا إلى صورة عبدي ولا إلى ماله بل إلى قلبه وأعماله وليس في قلب خليلي محبة إلى غيري ولو شئتم اذهبوا إليه وجربوه فجاء جبرائيل عليه السلام في صورة بني آدم وكان لإبراهيم عليه السلام اثنا عشر ألف كلب للصيد وحفظ الغنم وقس عليها عدد اغنامه ولكل كلب طوق من ذهب ليعلم أن الدنيا نجسة والنجس لا يصلح إلا للنجس وكان إبراهيم عليه السلام على تل مرتفع ينظر إلى الأغنام فسلم عليه جبرائيل عليه السلام فقال له لمن هذا قال إبراهيم لله ولكن الآن في يدي ثم قال تبرع واحداً منها فقال إبراهيم عليه السلام اذكر الله وخذ ثلثها فقال جبرائيل (سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح) ثم قال اذكر ثانياً وخذ نصفها فقال (سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح) ثم قال اذكر ثالثاً وخذ كلها برعاتها وكلابها فذكر ثم قال اذكره رابعاً وأقر لك بالرق فذكره فقال الله تعالى يا جبرائيل كيف وجدت خليلي فقال نعم الخليل يا رب فنادى إبراهيم عليه السلام يا رعاة الغنم سوقوا الغنم خلف صاحبها هذا إلى أين يريد فإنكم صرتم له فأظهر نفسه جبرائيل عليه السلام فقال يا إبراهيم لا حاجة لي في ذلك وأنا جئت لأجربك فقال أنا خليل الله لا أستردّ هبتي منك فأوحى الله تعالى إليه أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقار ويجعلها وقفاً يأكل منه الفقير والغني (مشكاة الأنوار) قيل من ملك عشرين مثقالاً من الذهب أو مائتي درهم من الفضة بعد الحوائج الأصلية فهو غني فإن ملك غير الدراهم والدنانير فإنه ينظر إن ساوى مائتي درهم فهو غني فعليه الأضحية وإلا فلا . وقيل صاحب الضياع جمع ضيعة وهي الأرض غنى لو ساوت مائتي درهم وصاحب الكرم إذا ساوى مائتي درهم فهو غنى بالاتفاق . لأن الكرم للنزهة لا للحاجة لأن الإنسان قد يعيش بغير فاكهة (كذا في زبدة الواعظين) .



﴿ واذْكرْ عَبْدَنَا أيوبَ﴾ هو ابن عيص بن إسحق عليه السلام ﴿ إذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان لـه ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ﴾ بأني مسني وقرأ حمـزة بإسكـان الياء وإسقاطها في الوصل ﴿ الشَّيْطَانُ بِنُصْب ﴾ بتعب ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ألم وهو حكـاية لكـلامه الـذي ناداه لـه ولولا هي لقـال وإنه مسـه والإسناد إلى الشيـطان إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثـه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كـافر فـداهنه ولم يغـزه او لسؤاله امتحـاناً لصبره فيكون اعترافاً بالذنب او مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى اتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كـان يوسـوس به إليـه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع (قاضي) .

قـال النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم : « من صـلى عـليّ مـرة صـار لا ذنب لـه ذرة وحبة . وفي الخبر إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ثمرة قلبه فيقولـون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولـون حمدك وشكـرك واسترجعـك فقال إنـا لله وإنا إليـه راجعون فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنـة وسموه بيت الحمـد » (زبدة الـواعظين) عن وهب بن منبه قال وجـدت في التوراة أربعـة أسطر متـواليات أحـدها من قـرأ كتاب الله تعالى فظن أن لن يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله . والثاني من تـواضع لغني لغنـاه فقد ذهب ثلثاً دينه . والثالث من حزن على ما فاته سخط قضاء ربه . والـرابع من شكـا مصيبته انما يشكو ربه .قال عليه السلام : « إن أعظم الجزاء مع أعظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا صبر اجتباه وإذا رضي اصطفاه » . كما حكي أن موسى عليـه السلام خـرج ومعه يوشع بن نون فإذا بطير أبيض قد وقع على منكب موسى عليه السلام وقـال يا نبي الله احفظني اليوم من القتل قال ممن ؟ قال من الصقر يريد أن يأكلني ودخل في كمـه فإذا الصقـر

. . . .

قد أقبل فقال يا نبي الله لا تمنع صيدي عني فقال اذبح لك شاة من غنمي قال لحم الغنم لا يصلح لي قال فكل من لحم فخذي فطار الطير من كمه فطار الصقر في أثره ثم أقبلا فقال أحدهما أنا جبرائيل والآخر أنا ميكائيل جئناك لنجربك في شفقة عباد ربك (زبدة الواعظين) قال ابن المبارك المصيبة واحدة فإذا جزع صاحبها تكون ثنتين إحداهما المصيبة والثانية ذهاب أجر المصيبة وهي أعظم من المصيبة . وكذا روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « الصبر ثلاثة صبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر على المعصية فمن صبر على المصيبة كتب له ثلثمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر على المعصية كتب له ثلثمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر على المعصية كتب له تسعمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين العرش إلى الثرى (زبدة الواعظين) حكي أن أيوب بن عيص بن إسحق عليه السلام كان رومياً وأمه بنت لوط عليه السلام وكان رجلاً عاقلاً نظيفاً حليماً حكيماً وكان أبوه رجلاً كثير المال يملك الماشية من الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير ولم يكن في أرض الشام أحد مثله في الغنى فلما مات انتقل جميع ذلك إلى أيوب عليه السلام فتزوج برحمة بنت افراثيم بن يوسف عليه السلام ورزقه الله منها اثني عشر بطناً في كل بطن ذكر وأنثى ثم بعثه الله تعالى إلى قومه وهم أهل حوران والتيه وأعطاه الله تعالى من حسن الخلق والرفق ما لم يخالفه أحد بالتكذيب والإنكار لشرفه وشرف آبائه وأمهاته فشرع لهم الشرائع وبنى لهم المساجد وكانت له موائد يضعها للفقراء والمساكين والأضياف وكان لليتيم كالأب الرحيم وللأرامل كالزوج الشفيق وللضعفاء كالأخ الودود وكان يأمر وكلاءه وأمناءه أن لا يمنعوا من زرعه وثماره وكانت مواشيه في كل سنة تتوئم ولم يكن يفرح لشيء من ذلك ويقول إلهي هذه عطاياك لعبادك في سجن الدنيا فكيف عطاياك في الجنة لأهل كرامتك في دار ضيافتك ومع هذا السرور لا يغفل قلبه عن شكر نعمائه ولا لسانه عن ذكر مولاه فحسده إبليس وقال إن أيوب قد ذهب بالدنيا والآخرة وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أوكلتيهما وكان إبليس في ذلك الزمان يصعد إلى السماء ويقف في أي مكان شاء فصعد يوماً كما كان يصعد فقال له رب العزة يا لعين كيف رأيت عبدي أيوب وهل نلت منه شيئاً فقال إلهي إن أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة في الدنيا والعافية ولولا ذلك لم يعبدك فهو عبد العافية قال الله تعالى كذبت فإني أعلم أنه يعبدني ويشكر لي وإن لم يكن له سعة في الدنيا قال يا رب سلطني عليه فانظر كيف أنسيه ذكرك وأشغله عن عبادتك فسلطه على كل شيء منه إلا روحه فرجع إبليس فانطلق إلى شط البحر فصرخ صرخة حتى لم يبق جني ولا جنية إلا اجتمعوا عنده وقالوا ما أصابك يا سيدنا قال فإني قد وجدت فرصة ما وجدت مثلها منذ أخرجت آدم من الجنة فأعينوني على أيوب

فانتشروا مسرعين وأحرقوا وأهلكوا كل مال لأيوب عليه السلام فانصرف إبليس إلى أيوب عليه السلام وهو قائم يصلي في المسجد فقال أتعبد ربك في ضرك وقد أرسل ناراً من السماء على جميع أموالك حتى صارت رماداً فلم يكلمه حتى فرغ من الصلاة ثم قال الحمدلله الذي أعطاني ثم أخذ مني ثم قام وشرع في صلاته فانصرف إبليس خائباً ذليلاً وكان لأيوب عليه السلام أربعة عشر ولداً ثمانيةٌ بنين وست بنات وكانوا يتغدون كل يوم في منزل أخ لهم وكانوا يومئذ في منزل أخيهم الأكبر واسمه هرمل فاجتمعت الشياطين وأحاطوا بالبيت وطرحوه على أولاد أيوب عليه السلام فماتوا كلهم على خوان واحد منهم من اللقمة في فمه ومنهم من الكأس في يده ثم انطلق إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال أتعبد ربك وقد طرح على أولادك البيت فماتوا جميعاً فلم يكلمه بشيء حتى فرغ من صلاته ثم قال يا لعين الحمدلله الذي أعطاني ثم أخذ مني فالأموال والأولاد فتنة للرجال والنساء فأخذها مني لأفرغ لعبادة ربي فانصرف إبليس خائباً وخاسراً بغيظ ثم جاء وكان أيوب عليه السلام في الصلاة فلما سجد نفخ في أنفه وفمه فانتفخ بدن أيوب عليه السلام فعرق عرقاً شديداً ووجد في نفسه ثقلاً عظيماً فقالت زوجته « رحمة » هذا من حزن المال ومصيبة الأولاد وأنت بالليل قائم وبالنهار صائم لا تستريح ساعة ولا تجد راحة ثم ظهر على بدنه عليه السلام جدري وأحاط به من رأسه إلى قدمه وسال منه الصديد ووقع فيه الدود وتفرق أقرباؤه وأصدقاؤه عنه وكان له ثلاث نسوة فطلبت اثنتان منهن طلاقاً فطلقهما فبقيت رحمة تخدمه وتقوم عليه ليلاً ونهاراً حتى جاءت نسوة من جيرانه وقلن يا رحمة نحن نخشى أن يسري بلاء أيوب إلى أولادنا أخرجيه من جوارنا وإلا أخرجناك كرهاً فخرجت رحمة وشدت عليها ثيابها ثم صاحت بأعلى صوتها واغربتاه وافرقتاه أخرجونا من بلادنا وطردونا عن ديارنا فحملته على ظهرها ودموعها تسيل على وجهها فانطلقت باكية إلى خرابة فوضعته في هذه الخرابة فخرج أهل القرية فنظروا إلى حال أيوب فقالوا أحملي زوجك وإلا أرسلنا عليه كلابنا حتى يأكلوه فحملته وهي باكية حتى أتت مفرق الطريق فوضعته فجاءت بفأس وحبل فاتخذت بيتاً من خشب ثم جاءت بحشيش ففرشت تحته وجاءت بحجارة فوسدت بها أيوب ثم جاءت بقصعة كان يسقي الرعاة بها مواشيهم ثم انطلقت إلى القرية فنادى أيوب ارجعي يا رحمة حتى أوصيك إن كنت تريدين أن تذهبي عني وتدعيني هنا فقالت رحمة لا تخف يا سيدي فإني لا أدعك ما دامت روحي في جسدي فانطلقت إلى القرية وكانت تعمل كل يوم بكسرة خبز وتطعم أيوب حتى علم في تلك القرية أنها امرأة أيوب فلم يطعموها فقالوا تنحي عنا فإنا نستقذر منك فبكت رحمة وقالت يا رب ترى حالي قد ضاقت بي الأرض والناس قد قذرونا في الدنيا ولا تقذرنا

أنت يا رب في الآخرة وطردونا من دارنا ولا تطردنا من دارك يوم القيامة ثم انطلقت إلى امرأة خباز وقالت إن حبيبي أيوب جائع فأقرضيني خبزاً قالت المرأة تنحي عني لئلا يراك زوجي ولكن أعطيني ذؤابة من شعرك وهي الضفيرة وكانت لها اثنتا عشرة ذؤابة واقعة بالأرض ولها شبه في الحسن بجدتها يوسف عليه السلام وكان أيوب يحب تلك الذؤابة حباً شديداً فجاءت بالمقراض وقطعتها وأعطتها إياها بأربعة أرغفة فقالت رحمة يا رب إن هذا في طاعة زوجي وفي طعام نبيك أيوب بعت بذؤابتي فلما رأى أيوب الخبز الصحيح اشتد عليه الأمر فظن أنها باعت نفسها فحلف إن شفاء الله تعالى ليضربنها مائة جلدة وهي التي قال الله تعالى في كفارتها ﴿ وخذ بيدك ضغثاً ﴾ أي قبضة من حشيش ﴿ فاضرب به ولا تحنث ﴾ فلما قصت عليه القصة بكى أيوب وقال يا رب ذهبت حيلتي حتى بلغ من أمري أن زوجة نبيك باعت شعرها وأنفقته على نفسي قالت رحمة يا سيدي لا تجزع اليوم فإن الشعر ينبت أحسن مما كان فقطعت الخبز وأطعمته أيوب وقعدت عنده فما بقي من جسده الشريف إلا قلبه ولسانه وكان لا يخلو قلبه من شكر الله ولسانه من ذكر الله وبقي في مرضه في رواية ثمان عشرة سنة فقالت له رحمة يوماً أنت نبي كريم على ربك لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها أيوب عليه السلام كم كانت مدة الرخاء قالت ثمانون سنة فقال أني استحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما لم يبق على بدنه إلا دودتان فطافتا جميع بدنه تطلبان لحماً فلم تجدا غير قلبه ولسانه فجاء إحداهما إلى قلبه فعضته والأخرى إلى لسانه فعضته فعند ذلك نادى أيوب عليه السلام ربه فقال ﴿ أني مسني الضر ﴾ أي شدة البلاء ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ وهذا ليس بشكاية منه فلم يخرج به عن زمرة الصابرين ولذا قال الله تعالى في حقه ﴿ إنا وجدناه صابراً ﴾ لأنه لم يجزع لماله وأولاده إنما جزع خوفاً من القطيعة كأنه يقول يا رب أصبر على كل بلاء منك ما دام قلبي مشغولاً بحبك ولساني بذكرك وإذا ذهب هذان العضوان تحصل القطيعة وأنا لا أصبر على قطيعتك وأنت أرحم الراحمين فأوحى الله تعالى إليه يا أيوب اللسان لي والقلب لي والدود لي والألم مني فالجزع لماذا، وقيل أوحي الله تعالى إليه إن سبعين من الأنبياء طلبوا هذا مني وأنا اخترته لك زيادة في كرامتك فهذا لك بلاء صورة وولاء حقيقة وإنما جزع أيوب من أن يؤكل قلبه ولسانه لأنه مشغول بفكره تعالى وذكره فإذا كلا لا يشتغل بفكر الله تعالى ولا بذكره ثم أسقط الله الدودتين منه فوقعت واحدة في الماء فصارت علقاً تستشفى به الأمراض والأخرى وقعت في البر فصارت نحلاً يخرج منه العسل فيه شفاء للناس ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ومعه رمانتان من الجنة قال أيوب عليه السلام يا جبرائيل هل ذكرني ربي قال نعم سلم عليك وأمرك أن تأكلها فتبرأ حتى لحمك وعظمك فلما أكلها قال له جبرائيل عليه السلام قم بإذن الله فقام وقال اركض

برجلك فضرب برجله اليمنى فخرج ماء حارّ فاغتسل منه ثم ركض برجله اليسرى فخرجت عين باردة فشرب منها فزال عنه كل ألم بظاهره وباطنه فإذا بدنه أحسن من الأول ووجهه أنور من القمر كما قال الله تعالى ﴿ فاستجبنا له ﴾ أي قبلنا دعاءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم ﴾ قال مقاتل أحياهم ورزقه مثلهم وقال الضحاك أوحى الله تعالى إليه أتريد أن أبعثهم قال يا رب دعهم في الجنة فعلى هذا أتاه أهله في الآخرة وأعطاه مثلهم في الدنيا بأن ولد له أولاد كذلك ﴿ رحمة ﴾ أي نعمة ﴿ من عندنا ﴾ لأيوب ﴿ وذكرى ﴾ أي عظة ﴿ للعابدين ﴾ ليعلموا بذلك أن أشد بلائي على الأنبياء ثم على الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فيصنعوا كما صنعوا ويصبروا كما صبروا فعلم من هذا أن الطريق إلى الله تعالى على جادة المحنة أقرب من جادة المنحة أي العطاء وروي أن الشبلي رحمه الله حبس في دار الشفاء فدخل عليه جماعة وقالوا نحن أحباؤك جئنا زائرين لك فأخذ الشبلي يرميهم الحجارة فهربوا فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي ﴿ قال عليه السلام : صبر ساعة على المصيبة خير من عبادة سنة ﴾ ولذا قيل الصبر أفضل من الشكر لأن الشاكر مع المزيد كما قال الله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ والصابر مع الله تعالى كما قال الله تعالى ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ وكذا روي عن محمد بن مسلمة عن النبي عليه السلام أنه قال : « لا خير لعبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبره » (كذا في زبدة الناصحين) وروى ابن أبي الدنيا في الصبر وأبو الشيخ في الثواب (كما في الجامع الصغير) عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ الصبر ثلاثة ﴾ أي أنواعه باعتبار متعلقة ثلاثة ﴿ فصبر على المصيبة ﴾ حتى لا يسخطها ﴿ وصبر على الطاعة ﴾ حتى يؤدّيها ﴿ وصبر على المعصية ﴾ حتى لا يقع فيها ﴿ فمن صبر على المصيبة ﴾ أي على المهالك حتى يردّها بحسن عزائمها ﴿ كتب الله له ﴾ أي قدر أوامر بالكتابة في اللوح والصحف ﴿ ثلاثمائة درجة ﴾ أي منزلة عالية في الجنة ﴿ مقدار ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ومن صبر على الطاعة ﴾ أي على فعلها وتحمل مشاق التكاليف ﴿ كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع ﴾ والتخوم جمع تخم كفلوس جمع فلس وهو حد الأرض ﴿ ومن صبر على المعصية ﴾ أي على تركها ﴿ كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش ﴾ وهو أعلى المخلوقات مرتين فالصبر على المحرمات أعلى المراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب النفوس الفاضلة ودونه الصبر على المكروه لأنه يأتي من البر والفاجر اختياراً واضطراراً كذا في التيسير شرح الجامع الصغير ، عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه قال قال موسى عليه السلام يوم

الطور يا رب أي منزل من منازل الجنة أحب إليك قال الله تعالى يا موسى حظيرة القدس قال يارب من يسكنها قال أصحاب المصائب قال يارب صفهم لي قال الله تعالى يا موسى هم قوم إذا أصابتهم بلية صبروا وإذا أنعمت عليهم شكروا وإذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون هؤلاء سكان حظيرة القدس كذا في الروضة . روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده فكتمها ولم يشكها إلى الناس كان على الله أن يغفر له ﴾ (كذا في الجامع الصغير) فعلى العاقل أن يصبر على المصائب والبلايا والمحن والفقر كي ينال المغفرة من الله تعالى ومحو السيآت ورفع الدرجات . روى الإمام أبو الليث رحمه الله تعالى في التنبيه عن عبدالله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شكا نبي من الأنبياء إلى ربه وقال يا رب العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلايا والعبد الكافر لا يطيعك ويجترىء على معاصيك تزوي عنه البلايا وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه الذنوب فأزوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق فأزوي عنه البلاء وأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته . وفي الخبر إن مؤمناً وكافراً في الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك فأخذ الكافر يذكر آلهته فيطرح شبكته حتى أخذ سمكاً كثيراً وجعل المؤمن يذكر الله تعالى ويطرح شبكته ولا يجيء شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء من يده فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته من السمك فأسف ملك المؤمن عليه فلما صعد إلى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن في الجنة فقال والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا ، وأراه مسكن الكافر في النار فقال والله ما يغني عنه ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إليه المنتهى .



﴿ وَسِيقَ الَّذِيْنَ كَفرُوا إلَى جَهَنَّمَ زُمراً﴾ أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت إذا الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة ﴿ حَتَّى إذَا جَاءُوْهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خزَنَتُهَا﴾ تقريعاً وتوبيخاً ﴿ أَلَمْ يأْتِكُم رُسُلٌ مِنكُمْ ﴾ من جنسكم ﴿ يَتْلُوْنَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ ربِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾ وفتكم وهو وقت دخولكم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكافِرِيْنَ ﴾ كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِيْنَ فِيْهَا﴾ أبهم القائل لتهويل ما يقال لهم ﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ﴾ اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لأن كلمة العذاب حقت عليهم فإن تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام أنَّ الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتّى يموت على عمل من أعمال

أهل الجنة فيدخل بـه الجنة وإذا خلـق العبـد للنار استعمله بعمـل أهل النـار حتَّى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار. (قاضي)

روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ﴿ من صلى عليّ تعظيماً جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكاً له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغـرب ورجلاه تحت الأرض وعنقـه ملتوية تحت العرش يقول الله تعالى له : صل على عبدي كما صـلى على نبي فيصلي عليه إلى يوم القيامة ﴾ روي أنه يساق أعداء الله تعـالى إلى النار تسـودّ وجوههم وتـزرق أعينهم ويختم على أفواههم فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانيـة بالسـلاسل والأغـلال توضـع في فمهم وتخرج من دبرهم وتغل يدهم اليمنى إلى عنقهم وتـدخل يـدهم اليسرى في صـدورهم وتنزع من بين كتفيهم ويشد بالسلاسل ويقرن كل كافر مع قرينه الشيـطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كما قال تعـالى ﴿ كلما أرادوا أن يخـرجـوا منهـا أعيـدوا فيهـا وقيـل لهم ذوقـوآ عـذاب النـار الـذي كنتم بـه تكذبون ﴾ (دقائق الأخبار) وحكي أن أبا يزيـد كان لا تنقـطع دموع عينيـه ولا يزال بـاكياً فسئل عن ذلك فقال : « لو أن الله تعالى أوعدني إن أذنبت يحبسني في الحمام أبداً لكـان حقاً علي أن لا تنقطع دمـوع عيني فكيف وقد أوعـدني أن يحبسني في النار التي أوقـد عليها ثـلاثة آلاف سنة (مشكاة) وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أتاني جبرائيـل فقلت يا جبرائيل صف لي جهنم قال إن الله خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرّت ثم أوقدها ألف عـام حتى ابيضت ثم أوقدهـا ألف عام حتى اسـودّت فهي سوداء كـالليـل المـظلم لا يسكن لهبها ولا يطفأ جمرها . روي أن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى ملك بأن يـأخذ جـزءاً من النار فيأتي آدم عليه السلام حتى يطبخ به طعاماً فقال مالك يا جبرائيل كم تـريد من النـار ؟ فقال جبرائيل عليه السلام أريد منها مقدار تمرة فقال مالك لو أعطيتك مقدار تمرة لذابت السموات السبع والأرضون من حرّها فقال جبرائيل عليه السـلام أعط نصفها فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لم تنزل من السمـاء قطرة ولم ينبت من الأرض نبـات ثم نادى جبـرائيل عليـه السلام إلهي كم آخـذ من النار فقـال الله تعالى خـذ مقدار ذرة منهـا فأخـذ جبـرائيـل عليـه السـلام مقدار ذرة وغسلها سبعين مرة في سبعين نهراً ثم جاء إلى آدم عليه الصلاة والسـلام فوضعهـا على جبل شاهق فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها وبقي دخانها في الأحجار والحديد إلى يومنا هذا فهذه النار من دخان تلك الذرة فاعتبروا يا أولى الألباب . وقال أحمد بن كعب إن لأهـل النار خمس دعـوات يجيبهم الله في أربع فـإذا كانت الخـامسة لم يتكلم بعـدها أبـداً يقولون ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾ فيقـول الله تعالى مجيباً لهم ﴿ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحـده كفرتم وإن يشـرك به تؤمنـوا فالحكم لله

العلي الكبير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ فيجيبهم الله تعالى بقوله ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ فيجيبهم الله تعالى بقوله ﴿ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ثم يقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فيجيبهم الله تعالى بقوله ﴿ اخسؤوا فيها ولا تكلمون ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب ﴿ لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً ﴾ قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « لو أن دلواً من ذلك الغساق ألقي على الدنيا لأحرق أهل الدنيا كلها » وقال ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ قال النبي عليه السلام : « تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة وكلما أكلت قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ولا يموتون فيها كما قال الله تعالى » ﴿ ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴾ (مشكاة الأنوار) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يؤتى بجهنم يوم القيامة من تحت الأرض السابعة وحولها سبعون ألف صف من الملائكة وكل صف أكثر من الثقلين سبعون ألف مرة يجرّونها بأزمتها ولجهنم أربع قوائم ما بين كل قائمتين مسيرة ألف ألف عام ولها ثلاثون ألف رأس وفي كل رأس ثلاثون ألف فم وفي كل فم ثلاثون ألف ضرس كل ضرس مثل أحد ثلاثين ألف مرة وفي كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا وفي كل شفة سلسلة من حديد وفي كل سلسلة سبعون ألف حلقة ويمسك كل حلقة ملائكة كثيرة فيؤتى بها عن يسار العرش (دقائق الأخبار) وفي الخبر إذا كان يوم القيامة يقول الكفار ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ وقال مقاتل يوضع لإبليس منبر في النار فيرقاه فيجتمع عليه الكفار ومن اتبعه فيقولون يا ملعون أنت أضللتنا عن طريق الحق ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ وإني لم آتكم ببرهان وكنتم لا ترونني فلا تلوموني ولوموا أنفسكم (درة الواعظين) ويقال إن أهل النار يجزعون ألف سنة ثم يقولون كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون ﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾ فيدعون مالكاً ويتضرعون ويصيحون يا مالك قد حق بنا الوعيد قد أثقلنا العذاب قد نضجت منا الجلود إن أخرجتنا منها فإنا لا نعود فيقول لهم مالك والخزنة ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى ﴾ فيقال لهم ﴿ فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ فيقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾ فلا يجيبهم مقدار ما كان في الدنيا مرتين ثم يرد عليهم

بقوله ﴿ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ فإذا استيأسوا من الخروج منها يطلبون الغيث من الله تعالى ألف سنة يقولون ربنا أرسل علينا غيثاً فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمطرون فتمطر عليهم العقارب كالبغال إذا لدغ واحد منهم لا يذهب عنه الوجع ألف سنة ثم يسألون الله ألف سنة أن يرزقهم الغيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر فتنزل عليهم الحيات كأعناق البخت كل من أخذته بفمها لا يذهب عنه الوجع ألف سنة هذا معنى قوله تعالى ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ مشكاة الأنوار) حكي عن بعض أهل العلم أنه قال دركات جهنم سبع . أولاها السعير قال الله تعالى ﴿ فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ ينزلها المكذبون نعوذ بالله منها ومن سائرها . والثانية لظى دركة لتارك الزكاة قال الله تعالى ﴿ كلا إنها لظى نزاعة للشوى ﴾ والثالثة سقر قال الله تعالى حكاية عن المجرمين ﴿ ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ﴾ وأفضل الأمور في الشريعة الصلاة . والرابعة الجحيم قال الله تعالى ﴿ فأما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ وهي خلقت لتابعي الهوى . والخامسة جهنم قال الله تعالى ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ والسادسة الهاوية قال الله تعالى ﴿ فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ﴾ والسابعة الحطمة خلقت للنمامين قال الله تعالى ﴿ كلا لينبذن في الحطمة ﴾ (أعرجية) قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعنا صوتاً مع الهيبة والشدة فقال عليه الصلاة والسلام : « أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً والآن انتهى إلى قعرها » . وعن أبي الدرداء أنه قال عليه السلام : « يلقي على أهل النار الجوع فيعدل ألم الجوع ما فيها من العذاب فيستغيثون بالطعام فيطعمون الزقوم كما قال الله تعالى » ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ﴾ الآية وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما (كذا في زبدة الواعظين) وفي الخبر يدفع كل واحد من الزبانية بالدفعة الواحدة أربعين ألفاً من أهل النار إلى جهنم وهم أي الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة والرأفة . خلصنا الله تعالى من أيديهم آمنين وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تجدد عذاب الكفار في تفسير ﴿ بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس وقال ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قرىء عند عمر رضي الله تعالى عنه ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في الساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت من رسول صلى تعالى عليه وسلم وأخرج ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن قال بلغني أنه يحرق أحدهم في اليوم سبعين ألف مرة

كلما نضجت وأكلت لحومهم قيل لهم عودوا فيعادوا كذا في الدر المنثور . روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ضرس الكافر كجبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام كذا في اللباب » انتهى .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَسِيقَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ﴾ إسراعاً بهم إلى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم إلَّا راكبين ﴿ زُمَراً ﴾ على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة ﴿ حَتَّى اذَاجَاءُوْها وَفُتِحَتْ أَبْوابُهَا ﴾ حذف جواب اذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة مفتوحة لهم قبل مجيئهم منتظرين ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ لا يعتريكم بعد مكروه ﴿ طِبْتُمْ ﴾ طهرتم من دنس المعاصي ﴿ فَادْخُلوهَا خَالِدِيْنَ ﴾ مقدرين الخلود والفاء للدلالة على أن طيهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه تعالى لأنه يطهره ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ بالبعث والثواب ﴿ وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ ﴾ يريدون المكان الذي استقروا فيه على الإستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ أي يتبوأ كل منا في أيِّ مقام اراده من الجنة الواسعة مع أن في الجنَّة مقامات معنوية لا يتمانع وأردوها ﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِيْنَ ﴾ الجنة (قاضي) .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نسي الصلاة عليّ نسي طريق الجنة » (شفاء شريف) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إن للجنان ثمانية أبواب من الذهب المرصع بالجواهر مكتوب على الباب الأول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والأسخياء . والثاني باب المصلين الذين يكملون الصلاة والوضوء . والثالث باب المزكين أموالهم . والرابع باب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . والخامس باب من قطع نفسه عن الشهوات . والسادس باب الحجاج والمعتمرين . والسابع باب المجاهدين . والثامن باب الذين يغضون أبصارهم عن المحارم ويعملون الخيرات والحسنات من بر الوالدين وصلة الرحم وغير ذلك

من الأعمال الحسنة (دقائق الأخبار) وأما الجنان فثمان . دار الجلال . وهي من اللؤلؤ الأبيض ودار السلام . وهي من الياقوت الأحمر وجنة المأوى وهي من الزبرجد الأخضر وجنة الخلد وهي من المرجان الأصفر وجنة النعيم وهي من الفضة البيضاء ودار القرار وهي من الذهب الأحمر وجنة الفردوس وهي لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها المسك . وجنة عدن . وهي من الدرة البيضاء ومشرفة على الجنان كلها ولها بابان من ذهب وما بينها كما بين السماء والأرض وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها العنبر وملاطها المسك وفيها أنهار تجري في جميع الجنان وحصى الأنهار من اللؤلؤ وماؤها أبرد من الثلج وأحلى من العسل وفيها نهر الكوثر وهو نهر محمد عليه الصلاة والسلام وفيها نهر الكافور ونهر التسنيم ونهر السلسبيل ونهر الرحيق المختوم ونهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل (دقائق) .

عن النبي عليه السلام أنه قال : « ليلة أسري بي إلى السماء عرض علي جميع الجنان فرأيت أربعة أنهار نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى كما في قوله تعالى ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى) فقلت لجبرائيل من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب قال تذهب إلى حوض الكوثر ولكن لا أدري مجيئها فاسأل من الله حتى يعلمك ويريك فدعا عليه السلام ربه فجاء ملك فقال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني فقال افتح ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت عندها قبة من درة بيضاء ولها باب من ياقوت أخضر وقفل من ذهب أحمر لو جمعت الدنيا وما فيها ووضعت على تلك القبة لكانت مثل طائر جالس على جبل أو بيضة ألقيت عليه فرأيت تلك الأنهار الأربعة تجري من تحت تلك القبة فأردت أن أرجع فقال الملك لم لا تدخل فيها فقلت كيف أدخل وعلى بابها قفل قال لي مفتاحه في يدك فقلت أين هو فقال هو بسم الله الرحمن الرحيم فقلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل فرأيت تلك الأنهار تجري من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج قال لي الملك يا محمد هل رأيت فقلت رأيت فقال انظر ثانياً فنظرت فإذا رأيت على أركان القبة مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فرأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ونهر اللبن من هاء الله ونهر الخمر من ميم الرحمن ونهر العسل من ميم الرحيم فعرفت أن مأخذ هذه الأنهار من البسملة فقال تعالى يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك فأسقيه من هذه الأنهار » (مشكاة الأنوار) وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « إن الله لما خلق جنة عدن دعا جبرائيل عليه السلام فقال له انطلق وانظر إلى ما خلقت لعبادي وأوليائي فذهب جبرائيل عليه السلام فقال له انطلق وانظر إلى ما خلقت لعبادي وأوليائي فذهب جبرائيل

عليه السلام وطاف في تلك الجنة فأشرفت عليه جارية من الحور العين من بعض القصور فتبسمت إلى جبرائيل عليه السلام فأضاءت جنة عدن من ضوء ثناياها فخر جبرائيل عليه السلام ساجداً يظن أنه من نور العزة فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك فرفع رأسه فنظر إليها فقال سبحان الذي خلقك فقالت الجارية يا أمين الله أتدري لمن خلقت فقال جبرائيل عليه السلام لمن خلقت فقالت خلقني الله تعالى لمن آثر رضاء الله تعالى على هوى نفسه (مكاشفة القلوب) روي عن كعب أنه قال سألت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن أشجار الجنة فقال عليه السلام لا تيبس أغصانها ولا تتساقط أوراقها ولا تفنى أرطابها وإن أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى أصلها من درة ووسطها من ياقوت أحمر وأعلاها من الذهب وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس وعليها سبعون ألف غصن وأقصى أغصانها ملحق بساق العرش وأدنى أغصانها في سماء الدنيا ليس في الجنة غرفة ولا قبة إلا وفيها غصن مظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهيه الأنفس لا نظير لها في الدنيا إلا الشمس أصلها في السماء وضوؤها في كل مكان (» (دقائق الأخبار) وفي الخبر إن وراء الصراط صحاري فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينان من ماء يتفجر من الجنة احدهما عن اليمين والأخرى عن اليسار والمؤمنون حين يجاوزون الصراط يشربون من إحدى العينين فيزول عنهم الغل والخيانة والقذر والدم والبول فيطهر ظاهرهم وباطنهم ثم يجيئون إلى حوض آخر فيغتسلون فيه فتصير وجوههم كالقمر ليلة البدر وتلين نفوسهم كالحرير وتطيب أجسادهم كالمسك فينتهون إلى باب الجنة فتخرج الحور فتعانق كل واحدة زوجها وتدخل بيته وفي البيت سبعون سريراً وعلى كل سرير سبعون فراشاً وعلى كل فراش زوجة عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من لطافة الحال . يسرنا الله تعالى لذلك (دقائق الأخبار) روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن الله تعالى خلق وجوه الحور العين من أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر وخلق أبدانها من الزعفران والمسك والكافور وشعرها من القرنفل ومن أصابع رجليها إلى ركبتيها من الزعفران المطيب من ركبتيها إلى ثدييها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ولو بزقت واحدة منهن في الدنيا لصارت مسكاً ومكتوب على صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى وفي يد كل منهن أسورة وفي أصابعها عشرة خواتم من الجواهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « رأيت ملائكة يبنون قصوراً لبنة من ذهب ولبنة من فضة فكفوا عن البناء فقلت لهم لم كففتم عن البناء فقالوا قد تمت نفقتنا فقلت ما نفقتكم قالوا ذكر الله فإن صاحب هذا القصر كان يذكر الله فلما كف عن ذكر الله تعالى كففنا عن البناء كما قال الله تعالى » ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾ (زبدة

الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ﴿ من صلى عليّ في كل جمعة مائة مرة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ﴾ (زبدة الواعظين) وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة ﴾ حال كونهم ﴿ زمراً ﴾ جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلوا الطبقة وذلك قبل الحساب أو بعده يسيرا أو شديدا وهو الموافق لما قبل الآية من قوله ووضع الكتاب ، والسائقون هم الملائكة بأمر الله تعالى يسوقونهم مساق إعزاز وتشريف بلا تعب ولا نصب بل بروح وطرب للإسراع بهم إلى دار الكرامة والمراد بهم المتقون عن الشرك فهؤلاء عوام أهل الجنة وفوق هؤلاء من قال الله تعالى في حقهم ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ وفوقهم من قال الله تعالى فيهم ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ وفرق بين من يساق إلى الجنة وبين من قربت إليه الجنة وفي الحقيقة أهل السوق هم الظالمون لأنفسهم وأهل الزلفة المقتصدون وأهل الوفد السابقون . واعلم أنه إذا نفخ في الصور نفخة الإعادة واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتي كلا منهم عمله فيقول له قم وانهض إلى المحشر فمن كان له عمل جيد يشخص له عمله بغلاً ومنهم من يشخص له عمله حماراً ومنهم من يشخص له كبشاً تارة يحمله وتارة يلقيه وبين يدي كل واحد منهم نور شعشعاني كالمصباح وكالنجم وكالقمر وكالشمس بقدر قوة عملهم وصلاح حالهم وعن يمينه مثل ذلك النور وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة شديدة يقع فيها الكفار والمرتابون والمؤمن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور ويهتدي به في تلك الظلمة ومن الناس من يسعى على قدميه ومنهم من يسعى على طرف بنانه . قيل لرسول الله ﷺ كيف يحشر الناس يا رسول الله قال : « اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير وذلك إذا اشتركوا في عمل يخلق الله سبحانه لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه كما يبتاع جماعة مطية يتعاقبون عليها في الطريق فأعمل هداك الله عملاً يكون لك بعيراً خالصاً من الشركة ومنه يعلم حال التشريك في ثواب العمل فالأولى أن يهدي من المولى لكل واحد ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه » روي أن رجلاً من بني إسرائيل ورث من أبيه مالاً كثيراً فابتاع بستاناً فحبسه على المساكين وقال هذا بستاني عند الله وفرق دراهم عديدة في الضعفاء وقال اشتري بها جواري وعبيداً وأعتق رقاباً كثيراً وقال هؤلاء خدمي عند الله والتفت يوماً إلى أعمى يمشي تارة ويكبو أخرى فابتاع له مطية يسير عليها وقال هذه مطيتي عند الله أركبها قال عليه السلام في حقه والذي نفسي بيده لكأني أنظر وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى الموقف

(من روح البيان)



﴿ الَّذِيْنَ يَحْمِلُوْنَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه ﴾ وهم الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً وحملهم إياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره ﴿ يُسَبِّحُوْنَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام وجعل التسبيح اصلاً والحمد حالاً لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ﴿ وَيُؤْمِنُوْنَ بِهِ ﴾ أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله وتعظيماً لأهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوْنَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوا ﴾ وإشعاراً بأن حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء رداً على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت الأجناس لأنها أقوى المناسبات كما قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة ﴿ رَبَّنَا ﴾ أي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال ﴿ وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً ﴾ اي وسعت رحمته وعلمه فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومها وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِيْنَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق ﴿ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ واحفظهم منه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (قاضي).

قال الإمام محمد بن محمود السمرقندي في قوله تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال إن الله تعالى نظر إلى جوهرة فصارت حمراء ثم نظر إليها ثانية فذابت وارتعدت من هيبة ربها

. . . .

ثم نظر إليها ثالثه فصارت ماء ثم نظر إليها رابعة فجمد نصفها فخلق من النصف العرش ومن النصف الماء ثم تركه على حاله فمن ثمة يرتعد إلى يوم القيامة انتهى ما نقله السمرقندي . قال الإمام القرطبي وأقاويل أهل التفاسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدها بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به والاستقبال إليه . وعن علي رضي الله عنه الذين يحملون العرش أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه أقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة مسيرة خمسمائة انتهى من كلام القشيري . قال الإمام أبو الليث السمرقندي في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال بعضهم هذه من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله وذكر عن يزيد بن مروان أنه سئل عن تأويله فقال تأويله الإيمان به وذكر أن رجلاً دخل على مالك بن انس فسأله عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالاً فأخرجوه وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا وعن أبي كعب أنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي قال عليه السلام : «ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذاً تكفي همك ويغفر ذنبك» (شفاء شريف) قوله يؤمنون به أي يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا نظير له ، فإن قلت الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ولا يكون التسبيح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به . قلت فائدته التنبيه عن شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله تعالى عز وجل محتجباً عنهم بحجب جلاله وجماله وكمال صفاته وصفهم بالإيمان (تفسير الخازن) فإن قلت ما الفائدة في استغفارهم للمؤمنين وإنهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد ، قلت هذه بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب (كشاف) قيل هذا الاستغفار لهم من الملائكة مقابل لقولهم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ فلما صدر منهم ما صدر أولاً تداركوا بالاستغفار لهم ثانياً هو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في حق واحد أن يستغفر له اعتذار لقوله السابق (تفسير الخازن) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما خلق الله تعالى العرش أمر حملة العرش بحمله فثقل عليهم فقال الله تعالى قولوا سبحان الله فقالت الملائكة سبحان الله فسهل الحمل عليهم فجعلوا يقولون طول الدهر

سبحان الله إلى أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام وعطس وألهمه الله تعالى قول الحمدلله فقال الحمدلله وقال الله تعالى يرحمك الله لهذا خلقتك يا آدم قالت الملائكة هذه كلمة جليلة لا ينبغي لنا أن لا نغفل عنها فضموا إليها هذه فقالوا طول الدهر (سبحان الله والحمد لله ﴾ وسهل عليهم حمل العرش فوق الأول وداموا عليه إلى أن بعث الله تعالى نوحاً عليه السلام وكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى نوح ليأمر قومه أن يقولوا ﴿ ولا إله إلا الله ﴾ ويرضى نوح عليه السلام عنهم فقال الملائكة هذه كلمة ثالثة جليلة فضموها إلى هاتين فجعلوا يقولون طول الدهر ﴿ سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله ﴾ إلى أن بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام فلما بعثه أمره بالقربان ثم فداه بالكبش فلما رأى الكبش فقال ﴿ والله أكبر ﴾ فرحا بذلك قالت الملائكة هذه كلمة رابعة شريفة فضموها إلى هذه الكلمات الثلاث فجعلوا يقولون طول الدهر ﴿ سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ فلما أخبر جبرائيل عليه السلام هذا الحديث لرسول الله عليه السلام قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعجباً ﴿ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ فقال جبرائيل عليه السلام نضم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات الأربع ﴿ تنبيه الغافلين ﴾ قال الإمام القشيري جاء في بعض الأخبار أن ملكاً من الملائكة قال يا رب إني أريد أن أرى العرش فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار بها ثلاثين ألف سنة فقال يا رب هل بلغت العرش فقال لم تقطع بعد عشر قائمة العرش فاستأذن من الله تعالى أن يعود إلى مكانه (هيئة الإسلام) وقال شهر بن حوشب إن حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون ﴿ سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على حلمك وعلمك ﴾ وأربعة يقولون ﴿ سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ﴾ قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم فيستغفرون للذين آمنوا ويسألون الله تعالى لهم المغفرة ﴿ تفسير الخازن ﴾ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما خلق الله تعالى العرش العظيم فعرف أنه أعظم الخلق قال لم يخلق الله خلقاً أعظم مني فاهتز فخلق الله تعالى حية طوقت العرش وللحية سبعون ألف جناح وفي كل جناح سبعون ألف ريشة وفي كل ريشة سبعون الف وجه وفي كل وجه سبعون ألف فم وفي كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين فالتوت الحية بالعرش فالعرش نصف الحية (هبة الإسلام) حكي عن بعض أهل العلم كان قبل أن خلق الله تعالى الأرض مكان العرش ماء والعرش مستقر على الماء فأمر الله تعالى العرش أن يصعد فوق الماء فارتفع فجعل يعلو فصار الماء الذي في موضعه كعبة وشيع العرش وصعد معه إلى ما شاء الله فأمر بالرجوع إلى موضعه فقال لولا أن الله أمرني أن أرجع إلى مقرّي لشيعتك إلى مكانك فأوحى

الله تعالى إلى ذلك الماء أنك أكرمت العرش وشيعته لأجلي جعلت مكانك أفضل البقاع وجعلته قبلة للخلائق ومظنة لطلب الحوائج ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من شيع ضيفاً سبع خطوات غلق الله عليه سبعة أبواب جهنم وإذا شيعه ثمانية خطوات فتح الله له ثمانية أبواب الجنة حتى يدخلها من أي باب شاء » (حقائق) وذكر أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق ما شاء على حسب المشيئة الأزلية ثم خلق العرش ثم حملة العرش ثم السموات والأرض وإنما خلق العرش لأجل عباده ليعلموا إلى أين يتوجهون في دعائهم لكيلا يتحيروا في الدعاء كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة انتهى ما نقله السمرقندي . قال الثعلبي في قوله تعالى ﴿ ويحمل عرش ربك ﴾ عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال إن الله تعالى خلق العرش ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنون ثم خلق من أنوار مختلفة من ذلك نور أخضر اخضرت منه الخضرة ونور أصفر اصفرت منه الصفرة ونور أحمر احمرت منه الحمرة ونور أبيض فمنه نور الأنوار ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين ألف ألف طبق ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويحمده ويقدسه بأصوات مختلفة لو أذن الله تعالى للأشياء أن تسمع ذلك لتهدمت الجبال والقصور وانخسفت البحار وقال في قوله تعالى ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ وفي الخبر إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة انتهى ما نقله الثعلبي . قال الإمام البغوي في تفسير وسع كرسيه السموات وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه الكرسي موضوع أمام العرش ومعنى وسع أي سعته مثل السموات والأرض وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين وهو بين يدي العرش انتهى كلامه . قال العلامة السيوطي أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿ يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة ﴾ وأخرج أبو الشيخ عن حماد قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء وخلق له ألف لسان وخلق في الأرض ألف أمة تسبح كل أمة بلسان من ألسن العرش وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده آدم عليه السلام والعرش والقلم وجنة عدن وقال لسائر الخلق كن فكان . وأخرج أبو الشيخ عن عثمان بن سعد الدارمي في الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سيد السموات العرش انتهى .



﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ﴾ اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ في العمل وثم لتراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث أنه مبدأ الاستقامة أو لأنها عسيرة قلما تتبع الإقرار وما روىٰ عن الخلفاء الراشدين في معنىٰ الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض في جزئياتها ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت أو الخروج من القبر ﴿ أَنْ لَا تَخَافُوا ﴾ ما تقدمن عليه ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ على ما خلفتم وأن مصدرية أو مخففة مقدرة بالباء أو مفسرة ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدنيا على لسان الرسل ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا ﴾ في الآخرة ﴿ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ﴾ من اللذائذ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ ما تتمنون من الدعاء بمعنىٰ الطلب وهو أعم من الأول ﴿ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ حال مما تدّعون للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف .

(قاضي بيضاوي)

عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أنه قال دخلت على النبي عليه السلام فرأيت من بشرته وطلاقته ما لم أره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبرائيل آنفاً فأتاني ببشارة من ربي فقال إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله تعالى عليه والملائكة بها عشراً (شفاء شريف) قالوا في سبب النزول عن ابن عباس رضي

الله عنهما قال إنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فإن المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بنات الله واليهود قالوا ربنا الله وعزير ابن الله ومحمد ليس بنبي وأبو بكر قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام ومعنى الآية إن الذين أقروا بوحدانية الله ونفوا عنه الأنداد والصاحبة والأولاد ثم أقاموا على طاعته وأداء فرائضه مخلصين له الدين إلى حين موتهم (تفسير) قال بعضهم المراد من الاستقامة أخذ الميثاق في عالم الأرواح ويقال الاستقامة في الظاهر والباطن فاستقامة العوام في الظاهر الامتثال بالأوامر والاجتناب عن المناهي وفي الباطن الإيمان والتصديق واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زينتها وشهواتها وفي الباطن بالتفريد عن نعيم الجنان شوقاً إلى لقاء الرحمن (شهاب الدين) سئل أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن الإستقامة فقال ألا تشرك بالله شيئاً وقال عمر الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب وقال عثمان بن عفان الإستقامة الاخلاص وقال علي رضي الله تعالى عنه الاستقامة أداء الفرائض (معالم التنزيل) وقال بعض أهل الحق الاستقامة على ثلاثة أضرب استقامة باللسان واستقامة بالجنان واستقامة بالنفس فالاستقامة باللسان المداومة على كلمة الشهادة والاستقامة بالجنان المداومة على صدق الإرادة والاستقامة بالنفس المداومة على العبادات والطاعات . قال بعضهم الاستقامة بأربعة أشياء الطاعة في مقابلة الأمر والتقوى في مقابلة النهي والشكر في مقابلة النعمة والصبر في مقابلة الجنة وتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى تمام الطاعة بالإخلاص وتمام التقوى بالتوبة وتمام الشكر بمعرفة العجز وتمام الصبر بالانقطاع (إمام نسفي) قال الفقيه أبو الليث علامة الاستقامة أن يراعي عشرة أشياء فريضة على نفسه . الأول حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ والثاني الإجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ ولقوله عليه السلام ﴿ إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث ﴾ . والثالث الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى ﴿ لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ﴾ والرابع غض البصر عن المحارم لقوله تعالى ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ والخامس صدق اللسان لقوله تعالى ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ والسادس الإنفاق في سبيل الله لقوله تعالى ﴿ أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ والسابع أن لا يسرف لقوله تعالى ﴿ ولا تبذر تبذيراً ﴾ والثامن أن لا يطلب العلو والكبر لنفسه لقوله تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ والتاسع المحافظة على الصلوات الخمس لقوله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ﴾ والعاشر الاستقامة على اعتقاد أهل السنة والجماعة لقوله تعالى ﴿ وأن هذا

صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ (تنبيه الغافلين) عن أبي بكر الرازي أنه قال الإيمان في قلب المؤمن كشجرة لها سبعة أغصان غصن ينتهي إلى قلبه وثمرته صحة الإرادة وغصن ينتهي إلى لسانه وثمرته صدق المقالة وغصن ينتهي إلى رجليه وثمرته المشي إلى الجماعة وغصن ينتهي إلى يديه وثمرته إعطاءالصدقة وغصن ينتهي إلى عينيه وثمرته النظر إلى العبرات وغصن ينتهي إلى جوفه وثمرته أكل الحلال وترك الشبهات وغصن ينتهي إلى نفسه وثمرته ترك الشهوات (رجبية) في الخبر إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتي الملائكة إلى رؤوس المؤمنين ويمسحون رؤوسهم من التراب فينتثر التراب منهم إلا من جباههم ومواضع سجودهم فيمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب التراب منها فينادي لهم يا ملائكتي ليس ذلك التراب من قبورهم إنما هو تراب محاريبهم دعوه عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى إن من نظر إليهم يعرف أنهم خواص عبادي (زهرة الرياض) المبشرون ثلاثة محمد عليه السلام في الدنيا بقوله تعالى ﴿ وبشر الصابرين ﴾ وغير ذلك والملائكة وقت النزع بقوله تعالى ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ والله تعالى بقوله تعالى ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ﴾ الآية (روضة العلماء) يقال البشارة عند الموت على خمسة أوجه . الأول لعامة المؤمنين يقال لهم لا تخافوا بتأبيد العذاب يعني لا تبقون في العذاب أبداً وتشفع لكم الأنبياء والصالحون ولا تحزنوا على فوت الثواب وأبشروا بالجنة يعني مرجعكم الجنة . والثاني للمخلصين يقال لهم لا تخافوا على رد أعمالكم فإن أعمالك مقبولة ولا تحزنوا على فوت الثواب فإن الثواب مضاعف لكم . والثالث للتائبين يقال لهم لا تخافوا على ذنوبكم فإن ذنوبكم مغفورة ولا تحزنوا على فوت الثواب ما فعلتم بعد التوبة يبدل الله سيآتكم إلى الحسنات . والرابع للزهاد يقال لهم لا تخافوا الخسران والحساب ولا تحزنوا على نقصان الأضعاف وأبشروا بالجنة بلا حساب ولا عذاب . والخامس للعلماء الذين يعلمون الناس الخير وعملوا بالعلم يقال لهم لا تخافوا من أهوال القيامة فإنه يجزيكم بما عملتم وأبشروا بالجنة لكم ولمن اقتدى بكم وطوبى لمن كان ختم عمره بالبشارة وإنما تكون البشارة لمن كان مؤمناً محسناً في عمله فتنزل عليهم الملائكة فيقولون من أنتم فما رأينا أحسن وجوهاً ولا أطيب ريحاً منكم فيقولون نحن أولياؤكم يعني حفظناكم وكنا نكتب أعمالكم في الدنيا فينبغي للعاقل أن ينتبه من الغفلة وعلامة الانتباه أربعة الأول أن يدبر أمور الدنيا بالقناعة والتسويف . والثاني أن يدبر أمور الآخرة بالحرص والتعجيل . والثالث أن يدبر أمور الدين بالعلم والاجتهاد . والرابع أن يدبر أمور الخلق بالنصيحة والمودة والمداراة ويقال أفضل الناس من فيه خمس خصال . الأولى أن يكون مقبياً على عبادة ربه . والثانية أن يكون مخلصاً ظاهراً وباطناً . والثالثة أن يكون الناس من

شره امنين . والرابعة أن يكون مما في أيدي الناس آيساً . والخامسة أن يكون مستعداً للموت (تنبيه الغافلين) وأما استعداد الموت وفائدته فيما روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال أكثروا ذكر هاذم اللذات وهو الموت وهذا الحديث من حسان المصابيح . ومعناه الموت يكسر كل لذة فأكثروا ذكره حتى تستعدوا له فإن قوله عليه السلام أكثروا ذكر هاذم اللذات كلام موجز مختصر لكن جمع فيه جميع المواعظ فإن من ذكر الموت حقيقة ينغص عليه لذته الحاضرة ويمنعه من تمنيها في المستقبل ويزهده فيما يؤمله منها لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تكثير اللفظ وتطويل الوعظ وإلا ففي قوله عليه السلام أكثروا ذكر هاذم اللذات مع قوله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ما يكفي السامع له والناظر فيه لأن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الباقية إذ قد قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته عنه وتبدل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب وقد سماه الله مصيبة حيث قال فأصابتكم مصيبة الموت فالموت هو المصيبة العظمى وأعظم منه الغفلة عنه وعدم ذكره وقلة التفكير فيه مع أن فيه وحده عبرة لمن اعتبر وقد قال القرطبي في تذكرته إن الأمة قد اجتمعت على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وإنما كان كذلك ليكون المرء على أهبة منه مستعداً له لكن من غلب عليه حب الدنيا والانهماك في لذائذها لا محالة يغفل عن ذكره ولا يذكره بل إن ذكر عنده يكرهه وينفر منه طبعه لأن غلبة حب الدنيا في قلبه ورسوخ علائقها فيه يمنعه عن التفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ولا يحب ذكره وإن ذكره يذكره للتأسف على الدنيا ويشتغل بذمه ويزيده ذكره بعداً من الله .ولقد أطلنا الكلام في حق الموت (مجالس الرومي)

قال يحي بن معاذ قدس سره للسمتقيم علامات السعي في طاعة الله تعالى من غير علاقة والنصح للعامة من غير طمع والتعبد للحق مع قلب وجل والاعتبار بما يرى في الدنيا من غير شهوة والتفكر في المعاد من غير غفلة (كذا في الخالصة) فمن كان حاله هكذا بشر عند الموت بالكرامة والسعادة والزلفى . روي أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبي علي الروذبادي رحمه الله تعالى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تسألها وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم ترجها . حكي أنه لما مات سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى أكب الناس على جنازته وكان في البلد شيخ يهودي عمره قد بلغ إلى السبعين سنة فسمع الصيحة فخرج لينظر ما هو فلما نظر إلى الجنازة قال أترون ما أرى قالوا ما ترى قال أرى قوماً ينزلون من السماء ويتبركون بهذه الجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه (كذا في روض الرياحين) .



﴿ وَهُو الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يتعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإنابة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء يدل كل ضحك ضحكته ﴿ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء ﴿ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي وحفص يعلم ما تفعلون بالتاء ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعاء والإثابة على الطاعة فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها ﴿ وَيَزِيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا به بالاستجابة ﴿ وَالكافِرُوْنَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل. (قاضي)

روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لا يرى وجهي ثلاثة عاق الوالدين وتارك سنتي ومن ذكرت عنده فلم يصل علي » (صدق من نطق) لما نزلت هذه

الآيـة ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ تـطاول إبليس عليه اللعنـة فقال أنـا شيء من الأشياء يكون لي نصيب من رحمة الله وتطاول اليهود والنصارى فلما نزل قوله تعالى ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة ﴾ يعني سأجعلها للذين يتقون من الشرك ويؤتون الزكاة ﴿ والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ يعني يصدقون بآياتنا يئس إبليس من رحمة الله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن نتقي الشـرك ونؤتي الزكـاة ونؤمن بآيـات الله حتى نزل قـوله تعـالى ﴿ الـذين يتبعـون الـرسول النبي الأمي الـذي يجدونـه مكتوبـاً عندهم في التـوراة والإنجيل ﴾ يعني يصـدقـون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيئس اليهـود والنصارى وبقيت الـرحمة للمؤمنـين خاصـة وهذه الآية في سورة الأعراف (تنبيه الغافلين) قيل العجلة من الشيطان لكن العجلة سنة في خمسة واضع في دفن الميت وفي تزويج البنـات وفي أداء الديـون وفي التوبـة بعد المعصيـة وفي إحضار الطعام للمسافر (تفسير كبير) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « إن لكـل داء دواء ودواء الذنـوب الاستغفار » وقـال عليـه السلام : « أيهـا الناس تـوبوا إلى الله فـإني أتوب إليه في اليوم مـائة مـرة » وقال عليه السلام : « من لم يستغفر الله في كل يوم مرتين فقد ظلم نفسه » وعن شـداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال قال ﷺ : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إلـه إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعـوذ بك من شـر ما صنعت ، أبـوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » حكـاية . كـان في بني إسرائيل شاب عبدالله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر يوماً في مرآة فرأى في لحيته شعراً أبيض فحزن لذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فـإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلاً يقول أحببتنا أحببناك فتركتنا تركناك وعصيتنا أمهلناك فإن رجعت إلينـا قبلناك (حيـاة القلوب) حكي عن الشيخ الإمـام أبي نصر السمـرقندي أنـه قـال كـان الحسن البصري في أول حاله شاباً مليحاً يلبس أحسن الثياب ويطوف في دور البصرة ويتفرج فيها فبينما هو يمشي يوماً من الأيام إذ رأى امرأة ذات جمال وحسن قامة فمشى خلفها فالتفتت إليـه وقالت أمـا تستحي ! ؟ فقال الحسن ممن فقـالت : ممن يعلم خـائنـة الأعـين ومـا تخفي الصدور ، قال فوقع في قلبـه شيء ولكن لم يصبر ولم يتمـالك نفسـه ولم يرجـع من خلفها ؛ فقالت لماذا تجيء قـال لها إني فتنت بعينيـك ، فقالت لـه : اقعد حتى أبعث بمـرادك فحسب الحسن أنها قد شغفته كما شغفها ، فقعد ، فإذا بجارية معها طبق مغطى بمنـديل فكشف عن الطبق فإذا عيناها على الطبق ، فقالت الجارية له : إن سيدتي تقول لا أريد عيناً يفتن بسببها أحد ؛ فإذا ما رأى وسمع ذلك منها اقشعر جلده وأمسك لحيتـه بنفسه وقـال لنفسه أف لـك من لحية تكون أقـل من امرأة ونـدم وتاب في تلك الساعة ورجـع إلى بيته وبـات باكيـاً فلما

أصبح جاء إلى دار تلك المرأة لأن يستحل منها فإذا هو قد رأى باب دارها قد سدّ والنائحات ينحن فسأل عن ذلك فقيل له قد توفيت صاحبة هذه الدار فانصرف وبكى إلى آخر ثلاثة أيام فرآها في الليلة الثالثة وهي في الجنة جالسة فقال لها اجعليني في حل ، قالت جعلتك فيه لأني قد نلت من الله خيراً كثيراً بسببك فقال لها عظيني ، قالت إذا خلوت فاذكر الله تعالى وإذا أصبحت وأمسيت فاستغفر الله وتب إلى الله . فقبل قولها وكان مشهوراً بين الناس بالزهد والطاعة وأصاب من الدرجة ما أصاب عند الله وكان من أولياء الله تعالى (جواهر البخاري) وذكر أن آدم عليه السلام قال إن الله أعطى أمة محمد عليه السلام أربع كرامات ما أعطانيها . الأولى أن قبول توبتي كان بمكة وأمة محمد عليه السلام يتوبون في كل مكان فيتقبل الله تعالى توبتهم . والثالثة أني كنت لابساً فلما عصيت جعلني عرياناً ، وأمة محمد يعصون عراة فيلبسهم الله تعالى . والثانية إني لما عصيت فرّق بيني وبين امرأتي وأمة محمد عليه السلام يعصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أني عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد عليه السلام يعصون الله خارج الجنة فيدخلونها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) وحكي أنه كان في بني إسرائيل امرأة بغية وكانت فاتنة للناس بجمالها وكان باب دارها مفتوحاً وهي قاعدة في دارها على السرير حذاء الباب فكل من نظر إليها افتتن بها فطلب رجل أن يأتي إليها بعشرة دنانير أو أكثر حتى يؤذن له في الدخول عليها فمر على بابها ذات يوم عابد من العباد فوقع بصره عليها في الدار فافتتن بها وجعل يجاهد نفسه ويدعو الله أن يزول ذلك عن قلبه فلم يزل ولم يملك نفسه حتى باع أقمشته وما كان له وجمع من الدنانير ما يحتاج إليه فجاء إلى باب دارها فأمرته بأن يسلم ذلك إلى جار لها وكيل عنها ووعدته وقتاً لمجيئه فجاء إليها في ذلك الوقت وقد تزينت بنفسها وجلست على السرير في بيتها فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير فلما مد يده إليها تداركه الله برحمته وببركة عبادته وتوبته المتقدمة فوقع في قلبه أن الله يراني في هذه الحالة ويحبط عملي كله فوقعت الهيبة في قلبه وارتعدت فرائصه وتغير لونه فنظرت المرأة فرأته متغير اللون فقالت ما الذي أصابك قال إني أخاف الله فأذني لي في الخروج فقالت ويحك إن كثيراً ليتمنون الذي وجدته فأي شيء هذا الذي أنت فيه فقال لها إني أخاف الله وإن المال الذي دفعته هو لك حلال فأذني لي في الخروج فقالت له ألم تعمل هذا العمل قط قال لا فقالت له من أين أنت وما اسمك فأخبرها أنه من قرية كذا واسمي كذا فأذنت له في الخروج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه فوقعت الهيبة في قلب المرأة ببركة ذلك العابد فقالت في نفسها إن هذا أول ذنب شرع فيه هذا الرجل وقد دخل عليه من الخوف ما دخل وإني قد أذنبت مذ كذا وكذا سنة وإن ربه الذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي أن يكون أشد فتابت إلى الله وأغلقت بابها

على الناس ولبست ثياباً خلقة وأقبلت على الله فكانت في عبادتها ما شاء الله فقالت في نفسها إني لو انتهيت إلى ذلك الرجل فلعله يتزوجني فأكون عنده وأتعلم منه أمر ديني ويكون عوناً على عبادة الله فتجهزت وحملت من الأموال والخدام ما شاءت فانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه وأخبر العابد أن امرأة قدمت تسأل عنك فخرج العابد إليها فلما رأته المرأة كشفت عن وجهها لكي يعرفها فلما رآها عرفها العابد وتذكر الذي كان بينه وبينها فصاح صيحة فخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة وقالت إني خرجت لأجله وقد مات فهل له أحد من أقربائه يحتاج الى امرأة فقالوا إن له أخاً صالحاً ولكنه معسر ليس له مال فقالت لا بأس فإن لي من المال ما فيه غناء فجاء أخوه فتزوج بها فولد بينهما سبعة من البنين كلهم صاروا صلحاء في بني إسرائيل ببركة التوبة والحمدلله (كذا نقل عن البخاري عليه رحمة الباري) .

قال الإمام الزندوستي رحمه الله تعالى سمعت الإمام أبا محمد عبد الله بن الفضل يقول قالت الحكماء من رزق أربعاً لم يحرم أربعاً من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى ﴿ إنه كان غفاراً ﴾ ومن رزق الشكر لم يحرم المزيد لقوله تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ كذا في روضة العلماء . وعن أبي هاشم الصوفي رحمه الله تعالى قال أردت البصرة فجئت إلى سفينة أركبها وفيها رجل معه جارية فقال لي الرجل ليس ههنا موضع فسألته الجارية أن يحملني ففعل فلما سرنا دعا الرجل بالغذاء فوضع فقالت ادع ذلك المسكين ليتغذى معنا فجئت على أنني مسكين فلما تغدينا قال لجاريته هاتي شرابك فشرب وأمرها أن تسقيني فقلت يرحمك الله إن للضيف حقاً فتركني فلما دب فيه الشراب قال يا جارية هاتي عودك وهاتي ما عندك فأخذت العود وغنت ثم التفت الرجل إليّ فقال أتحسن مثل هذا فقلت عندي ما هو أحسن وخير منه فقال قل قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأت ﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت ﴾ فجعل الرجل يبكي فلما انتهيت إلى قوله تعالى ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ قال يا جارية اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى وألقى ما معه من الشراب وكسر العود ثم دعاني فاعتنقني وقال يا أخي أترى أن الله يقبل توبتي قلت إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وواخيته واصطحبنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيته في المنام فقلت له إلى ما صرت قال لي إلى الجنة قلت بماذا قال بقراءتك علي ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ انتهى (من الموعظة) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ ﴾ بـربهم بصنوف من البـر لا تبلغها الأفهـام ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته ﴿ وَهُوَ القَوِيُّ ﴾ الباهر القدرة ﴿ العَزِيـزُ ﴾ المنيع الـذي لا يغلب ﴿ مَنْ كانَ يُـرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ ﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الـدنيا ولـذلك قيل الدنيا مزرعـة الآخرة والحـرث في الأصل إلقـاء البذر في الأرض ويقـال للزرع الحاصل منه ﴿ نَزِدْلَهُ فِي حَرْثِـهِ ﴾ فنعطيـه بالـواحدة عشـراً إلى سبعمائـة فما فـوقها ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ شيئاً منها على ما قسمناه له ﴿ وَمَا لَـهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ إذ الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوىٰ (قاضي بيضاوي) .

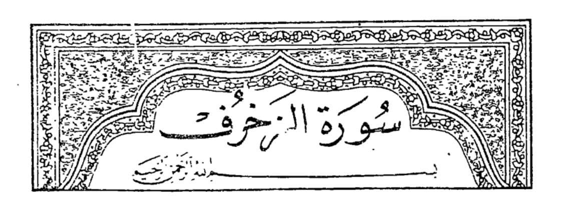
عن أنس بن مـالك عن النبي صـلى تعالى عليـه وآله وسلم أنـه قال : « إن الله تعـالى خلق بحراً من نور تحت العرش ثم خلق ملكاً له جناحان أحدهما بالمشـرق والآخر بـالمغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة فإذا صلى العبد عليّ في شهر شعبان أمر الله تعالى ذلك الملك أن يغمس في ماء الحياة فيغمس ذلـك الملك ثم يخرج منـه فينفض جناحيـه فيقطر من كل ريشة قطرات فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفـر له إلى يـوم القيامـة (زبدة الواعظين) قيل الله لطيف بهم بالأرزاق من الـطيبات ولم يـدفع إليهم جملة وقيـل الله لطيف بعباده يعني يرحم من لا يرحم نفسه بالعناية والرحمة وبالشوق إلى طاعته وطاعة رسوله بعد الرجوع عن صفة المنافقين وقيل الله لطيف بعبـاده يعني يرحم التـائبين والمستغفـرين قال عليه السلام : « ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبـد مذنب تـاب إلى الله تعالى فيقـول لبيك يـا عبدي سـل ما تـريده » . وقيـل الله لطيف أي رفيق وقيـل الله لطيف بـالبر والإحسان بحيث لم يهلكهم بمعاصيهم ويرزق من يعصيه وقيـل الله لطيف أي الـذي يستقل الكثير من عطائه ويستكثر القليـل من الطاعـة من عباده حيث قـال في كلامـه القديم ﴿ قـل متاع الدنيا قليل ﴾ (زهرة الرياض) وقال بعضهم الله لطيف بعباده في العرض والمحاسبة كما جـاء في الخبر يؤتى بعبـد يوم القيـامة وتعـرض سيآتـه فيقول الله تعـالى أما استحييت مني إذ عصيتني فيرفع العبد صوته ببكاء شديد فيقول الله اخفض صوتك حتى لا يسمع محمـد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا يعرف أني سترتها في الدنيا وأنـا أغفرهـا اليوم فيبكي أشـد منه من فرحه فيسمع محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيقـول : « إلهي أنت أرحم الراحمين هبه مني فيقول الله تعالى وهبتك ولا تحزن يا حبيبي » (زهـرة الريـاض) عن النبي صلى الله

تعلى عليه وآله وسلم أنه قال : « فضل شعبان على سائر الشهور كفضلي على سائر الأنبياء وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على عباده كما قال الله تعالى » ﴿ ويختار ما كان لهم الخيرة ﴾ لأن النبي عليه السلام كان يصوم شعبان كله ويقول يرفع الله أعمال العبد كلها في هذا الشهر وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون لم سمي شعبان قالوا الله ورسوله أعلم قال لأنه يتشعب فيه خير كثير » (روضة العلماء) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزأ واحداً فمن ذلك تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه الضرر وفي رواية لمسلم وأخر تسعة وتسعين يرحم الله تعالى بها عباده يوم القيامة (طريقة محمدية) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال عليه السلام : « أتاني جبرائيل ليلة النصف من شعبان فقال يا محمد هذه الليلة ليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة فقم وصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء فقلت يا جبرائيل ما هذه الليلة فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلاثمائة باب من الرحمة فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك بالله شيئاً إلا من كان ساحراً أو كاهناً أو مشاحناً أو مدمن خمر أو مصراً على الزنا أو آكل الربا أو عاق الوالدين أو النمام أو قاطع الرحم فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا ويتركوا » فخرج النبي عليه السلام فصلى وبكى في سجوده وهو يقول ﴿ اللهم إني أعوذ بك من عقابك وسخطك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى ﴾ (زبدة الواعظين) وعن يحي بن معاذ أنه قال إن في شعبان خمسة أحرف يعطي بكل حرف عطية للمؤمن بالشين الشرف والشفاعة وبالعين العزة والكرامة وبالباء البر وبالألف الألفة وبالنون النور ولذا قيل رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح فإن من يطهر البدن في رجب يطهر القلب في شعبان ومن يطهر القلب في شعبان يطهر الروح فإن لم يطهر البدن في رجب والقلب في شعبان فمتى يطهر الروح في رمضان ولذا قال بعض الحكماء إن رجب للاستغفار من الذنوب وشعبان لإصلاح القلب من العيوب ورمضان لتنوير القلوب وليلة القدر للتقرب إلى الله تعالى (زبدة الواعظين) روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من صام ثلاثة أيام من أول شعبان وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره كتب الله له ثواب سبعين عابداً وكان كمن عبدالله تعالى سبعين عاماً وإن مات في تلك السنة مات شهيداً وقال عليه السلام من عظم شعبان واتقى الله تعالى وعمل بطاعته وأمسك نفسه عن المعصية غفر الله تعالى ذنوبه وآمنه من كل ما يكون في تلك السنة من البلايا والأمراض كلها » (زبدة الواعظين) حكي عن محمد بن عبدالله الزاهد أنه قال مات صديقي أبو حفص الكبير وصليت على جنازته فلم أزر قبره ثمانية أشهر ثم قصدت زيارته ونمت الليل

فرأيته متغير اللون مصفر الوجه فسلمت عليه فقلت له مالي أراك متغير اللون وقد كنت حسن الوجه فقال لما وضعت في قبري جاء ملك وقام على رأسي وقال يا شيخ السوء وعد ذنوبي وسوء أفعالي وضربني بعمود واشتعل جسدي ناراً ثم تكلم معي قبري فقال أما استحيت من ربي ثم ضغطني ضغطة حتى اختلفت أضلاعي وانقطعت مفاصلي وبقيت في العذاب إلى الليلة التي أهل فيها هلال شعبان فإذا أنا بمناد ينادي من فوقي أيها الملك ارفع عنه فإنه أحيا ليلة من شعبان في عمره وصام يوماً من أيامه فرفع الله العذاب عني بحرمة قيامي ليلة من شعبان وصيام يوم منه ثم بشرني بالجنة والرحمة ولذا قال النبي عليه السلام من أحيا ليلة العيدين وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه حين تموت القلوب (زهرة الرياض) روي عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أنه قال ما من ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة نصف شعبان وقد ورد في فضلها أحاديث أخر متعددة وكان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم رحمهم الله يعظمونها ويجتهدون بالعبادة فيها فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمه لكن أكثر العلماء من أهل الحجاز أنكروا ذلك وقالوا ذلك كله بدعة والحق أن المؤمن إذا اشتغل في تلك الليلة الخاصة بأنواع العبادات من الصلاة والتلاوة والذكر والدعاء يجوز ولا يكره وأما الاجتماع فيها في المساجد والجوامع للصلاة النافلة بالجماعة الكثيرة كما هو المعتاد في زماننا فيكره وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وعالمهم وفقيههم وكذا في إسراج السرج الكثيرة في المساجد وإيقاد القناديل الكثيرة في الجوامع في تلك الليلة لا يجوز لما ذكر في القنية أن إسراج السرج الكثيرة ليلة البراءة في السكك والأسواق بدعة وكذا في المساجد ويضمن القيم بل لو ذكره الواقف وشرط لا يعتبر ذلك شرعاً وإن لم يكن من مال الوقف بل تبرع به يكون ذلك تبذيراً وإضاعة المال والتبذير حرام بنص القرآن وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن إضاعة المال واعتقاد أن ذلك قربة من أعظم البدع وأقبح السيئات وكذا التنفل في تلك الليلة بالجماعة الكثيرة بدعة قبيحة يجب اجتنابها لأن الفقهاء قد اتفقوا على كراهة الجماعة في النوافل ما عدا التراويح والاستسقاء والكسوف إذا كان سوى الإمام أربعة والصلاة التي تصلى في تلك الليلة بالجماعة الكثيرة وتسمى صلاة البراءة بدعة أيضاً لعدم وقوعها في عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والتابعين رحمهم الله تعالى بل إنما ظهرت بعد المائة الرابعة من الهجرة فإنها حدثت في المسجد الأقصى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وأصلها على ما ذكره الإمام الطرطوشي أن رجلاً قدم بيت المقدس فقام يصلي ليلة النصف من شعبان في المسجد الأقصى فأحرم خلفه واحد ثم ثان ثم ثالث ثم رابع فما أتمها إلا وهي جمع كثير ثم جاء في العام الآتي فصلى معه خلق كثير ثم شاعت في المسجد وانتشرت

. . . .

في البلاد واستقرت سنة بين العباد وقد ذمها العلماء من أعيان المتأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتمله على منكرات فعلى هذا ينبغي للعاجز عن تغيير تلك المنكرات أن لا يحضر الجماعة في تلك الليلة بل يصلي في بيته إن لم يجد مسجداً سالماً من هذه البدعة لأن الصلاة في المسجد بالجماعة سنة وتكثير أهل سواد البدع منهي عنه وترك المنهى عنه واجب وفعل الواجب متعين لا سيما لمن كان مشهوراً بين الناس بالعلم والزهد فإن الواجب عليه أن لا يحضر في مسجد شاهد فيه هذه المنكرات لأن حضوره مع عدم الإنكار يوهم العامة أن هذه الأفعال مباحة أو مندوب اليها فيكون حضوره شبهة عظيمة في ظن العوام أن تلك الأفعال مستحسنة شرعاً فإذا ترك عادته ولم يجيء المسجد تلك الليلة وأنكر بقلبه لعجزه عن تغييره بيده ولسانه يسلم من الأثم ولا يقتدي به غيره بل يستشعر بعض الناس من عدم حضوره أن هذه الأفعال غير مرضية عند الله بل هي بدعة لا يسوغها الشرع ولا يرضاها أهل الدين فربما يمنع بعض الناس عن ذلك فيحصل له الثواب بفعل ما يقدر عليه من الإنكار بالقلب والامتناع عن الحضور والحاصل أن تلك الليلة وإن ورد في فضلها أحاديث متعددة لكن ليس لأحد أن يعظمها بما ذمه الشارع ونهى عنه مع أن بعض العلماء قالوا لم يثبت في قيامها شيء عن النبي عليه السلام ولا عن أصحابه فعلى هذا يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يحذر من الاغترار والميل إلى شيء من البدع والمحدثات ويصون دينه من البدع التي استأنس بها وتربى عليها فانها سم قاتل قل من سلم من آفاتها وظهر له الحق معها لأن البدعة لها حلاوة في قلوب أهلها تستحسنها طباعهم فلا يتركونها (هذا من مجالس الرومي) .



﴿ الْأَخِلَّاءُ ﴾ الأحباء ﴿ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ أي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق بظهور ما كانوا يتخالون له سبباً للعذاب ﴿ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآبدين ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا ﴾ صفة للمنادي ﴿ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ حال من الواو الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ نساؤكم المؤمنات ﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ تسرون سروراً يظهر حباره اي أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الوجه والهيئة أو تكرمون إكراماً يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بالجميل. (قاضي بيضاوي)

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ زينوا مجالسكم بالصلاة عليّ فإن صلاتكم علي نور لكم يوم القيامة ﴾ رواه صاحب الفردوس . وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن لله تعالى عباداً يوضع لهم يوم القيامة المنابر يقعدون عليها هم قوم لباسهم نور ووجوهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء فقالوا من هم يا رسول الله قال المتحابون في الله والمتزائرون في الله والمتجالسون في الله » رواه الطبراني في الأوسط . روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قال يا موسى هل عملت لي عملاً قط قال إلهي صليت لك وصمت

لك وتصدقت لك وذكرت لك فقال الله يا موسى إن الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة لك ظل والذكر لك نور فأي عمل عملت لي فقال دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي ولياً وهل عاديت لي عدواً فعلم أن أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله » . عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون فيَّ فوعزتي وجلالي اليوم أظلهم بظلي يوم لا ظل إلا ظلي » (رواه الطبراني وفي الخبر أنه يؤتى برجل مؤمن في القيامة فتوزن أعماله فترجح سيآته على حسناته فيؤمر به إلى النار فيقول يا رب أمهلني ساعة أستوهب من أمي حسنة فيمهله فيأتي اليها فيقول يا أماه بالذي ربيتني في الدنيا وبلغتني إلى كل إحسان وهبي لي حسنة من حسناتك كي أنجو من النار فتقول يا بني إني عاجزة في شأني ومتحيرة في أمري فكيف يمكنني أن أخلصك اليوم فييأس منها وهكذا يأتي إليّ جميع أقربائه فييأس منهم جميعاً فيأمر الله تعالى به إلى النار فيراه خليله يساق إلى النار فيقول له الخليل وهبت لك جميع حسناتي لينجو أحدنا من النار وذلك أهون من أن يكون كلانا في النار فيؤمر به إلى الجنة فيسرع إليها فينادي في الطريق ليس من الفتوة أن تنسى خليلك في النار فتدخل الجنة فيخر ساجداً ويشفع له فيأمر الله تعالى بهما إلى الجنة (موعظة) وروي عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ من زار أخاه المسلم فله بكل خطوة عتق رقبة حتى يرجع ويحط عنه بها ألف سيئة ويكتب له ألف حسنة ويرفع له نور كنور العرش عند ربه رواه حارث بن أبي أسامة روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ﴾ قلنا بلى يا رسول الله قال النبي عليه السلام ﴿ النبي في الجنة والصديق في الجنة والشهيد في الجنة والرجل يزور أخاه المسلم في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة ﴾ رواه أبو نعيم الحافظ . وروي عن بريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله للمتحابين والمتزاورين والمتباذلين فيه » رواه الطبراني وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام ﴿ المتحابون والمتزاورون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة تضيء على أهل الجنة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فإذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضيء الشمس على أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله والمتزاورون ﴾ وروي عن علي بن الحسين أنه قال إذا اجتمع الأولون والآخرون نادى مناد أين جيران الله في أرضه أي

في الدنيا فتقوم طائفة من الناس يريدون الجنة فتقول لهم الملائكة أين تريدون فيقولون الجنة فتقول الملائكة أقبل الحساب فيقولون نعم فتقول الملائكة من أنتم فيقولون نحن جيران الله فتقول لهم وما جيرتكم فيقولون كنا متحابين في الله فتقول الملائكة ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . وفي الخبر إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى أن يحضر بين يديه رجلان مؤمنان أحدهما عاص والآخر مطيع وقد ماتا على الإيمان فيأمر رضوان أن يذهب بالرجل الذي كان مطيعاً إلى الجنة ويكرمه فيقول أنا كنت عنه راضياً ويأمر الزبانية أن يذهبوا بالذي كان عاصياً إلى النار ويعذبونه عذاباً شديداً ويقول إنه كان شارب الخمر فيذهب المطيع ضاحكاً مسروراً نحو الجنة فإذا قرب من الجنة يسمع نداء من ورائه يقول بالله يا صاحبي ويا حبيبي ارحمني واشفع في ، فإذا سمع المطيع ذلك النداء يقف في موضعه ولا يدخل الجنة فيقول له رضوان ادخل الجنة واشكر الله تعالى على ما نجوت من النار فيقول لا أدخل الجنة اذهب بي إلى النار فيقول رضوان كيف أذهب بك إلى النار وأمرني الله أن أدخلك الجنة وأخدمك فيقول الرجل أنا لا أريد خدمتك ولا الجنة فينادي مناد يا رضوان أنا أعلم بما في سر عبدي ولكن سله أنت تعلم ما في ضميره فيقول له رضوان لم لا تدخل الجنة وترضى بالنار فيقول لأن العاصي الذي ذهب إلى النار كان يعرفني في الدنيا فنادى واعتذر إليّ وطلب مني الشفاعة وأنا لا أقدر أن أخرجه من النار وأدخله الجنة فلم يبق لي إلا أن أذهب إلى النار فأكون معه في العذاب فينادى مناد من قبل الرحمن يا عبدي أنت بضعفك لم ترض أن يذهب ذلك إلى النار لأنه رآك في الدنيا رؤية قليلة وكان يعرفك وصاحبك أياماً قليلة فكيف أرضى أنا بدخول عبدي النار وقد كان يعرفني في جميع عمره واتخذني إلهاً سبعين سنة فاذهب به إلى الجنة فقد عفوت عنه ووهبته لك .

﴿ موعظة ﴾ روي أن أخوين في الله التقيا فقال أحدهما للآخر من أين اقبلت ؟ ق حججت بيت الله الحرام وزرت قبر النبي ﷺ ، فأنت من أين أقبلت قال من زيارة أخ لـ.. في الله ، فقال فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجي ، فأطرق الآخر رأسـ. ملياً فإذا بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مائة حجة نافلة (موعظة) حكي عن بعض العلماء في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام ﴿ وجاؤوا أباهم عشاء يبكون ﴾ أي كذباً ومعهم ذئب أخذوه قهراً فقالوا لأبيهم هذا الذئب أكل ابنك يوسف فخلا يعقوب عليه السلام بالذئب فصلى ركعتين ثم قال « أيها الذئب أأكلت ولدي وقرة عيني » ؟ فأنطق الله الذئب فقال : معاذ الله يا نبي الله فإن لحوم الأنبياء لا تأكلها الأرض ولا النار ولا السباع ولكن أخذوني قهراً فجاؤوا بي إليك ، فقال له يعقوب عليه السلام « أيها الذئب كيف

. . . .

وقعت في أيديهم من أين أقبلت وأين قصدت ؟ قال أقبلت من أرض جرجان وقصدت كنعان لأزور أخاً لي في الله فقال يعقوب عليه السلام لم تزور فقال الذئب لأن أبي حدث عن جدي وجدي عن جدك إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال من زار أخاً في الله كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع الله له ألف درجة وانجاه من عذاب يوم القيامة بزيارة أخيه وجمع بينه وبين أخيه في الجنة كالسبابة مع الوسطى وكنت أريد زيارة ذئب هو رضيعي فسمعت موته فغمني ذلك قال يعقوب عليه السلام اكتبوا هذا الحديث عن هذا الذئب ، يا إخواني إن الذئب يزور أخاه في الله لطلب الثواب من الله والنجاة من عذابه والجمع بينه وبين أخيه في الجنة فكيف لا تطلبون الثواب من الله بزيارة إخوانكم والنجاة من عذابه والجمع بينكم وبين إخوانكم في الجنة انتهى .

(موعظة) وأما ثواب المتزاورين في الله فروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد يزور أخاً له في الله إلا قال الله تعالى في ملكوت عرشه عبدي زارني وعلى قراه أي ضيافته لا أرضى لعبدي قرى دون الجنة » (رواه صاحب الفردوس بغير إسناد) وروي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « خرج رجل يزور أخاً له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكاً قال أين تريد ؟ قال أريد فلاناً ، قال ألقرابته ؟ قال لا ، قال ألنعمة له عندك تريدها ؟ قال لا ، قال ففيم تزوره ؟ قال إني أحبه في الله قال اني رسول الله وإنه يحبك وإياه » (رواه صاحب الفردوس) وروي أنه عليه السلام قال ﴿ أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله ﴾ هذا من حسان المصابيح رواه أبو هريرة وفيه إشارة إلى إن المؤمن لا بد أن يكون له أصدقاء يحبهم في الله ولا بد أن يكون له من يبغضه في الله عند كونه عاصياً لله تعالى لأن من يكون محبوباً لسبب فبالضرورة يكون مبغوضاً لضده وهو مطرود في الحب والبغض لكن كل واحد منهما دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة إذ عند غلبة الحب يظهر أفعال المحبين من المقاربة والموافقة وتسمى موالاة وعند غلبة البغض يظهر أفعال المبغضين من المباعدة والمخالفة وتسمى معاداة فإن قيل بأي طريق يمكن إظهار البغض فالجواب أن اظهاره لا يخلو إما أن يكون في القول أو في الفعل ، أما في القول فيكون تارة بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته وتارة بتغليظ القول عليه ، وأما في الفعل فيكون تارة بقطع السعي في إعانته وتارة بالسعي في إساءته وإفساد مآربه . فيما يفسد عليه في طريق المعصية لا فيما لا يؤثر فيه وهذا إذا صدر عنه المعصية على طريق القصد كبيرة كانت أو صغيرة وأما ما جرى مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها غير

. . . .

مصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر لا سيما إذا كانت معصية بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك فالإعراض عنه حسن لأن العفو عمن ظلمك وأساء إليك من أخلاق الصديقين وأما من ظلم غيرك وعصي الله تعالى فعدم الإعراض عنه إحسان إليه فلا يحسن الإحسان إليه لأن الإحسان إليه إساءة إلى المظلوم والمظلوم أولى بالمراعاة وتقوية قلب المظلوم بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالى من تقوية قلب الظالم (هذا من مجالس ابن الرومي) ولقد أطنبنا الكلام . بعناية الملك القوي السميع الجهر والخفي من الكلام . وله الحمد في الأولى والأخرى على التمام . إلى يوم القيام .



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ﴾ بإشاعة الفاحشة وقرأ نافع والبزي وأبو بكر وأبو عمرو وحمزة بسكونها ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشيطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾ بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ مَا زَكَى ﴾ ما طهر من دنسها ﴿ مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً ﴾ آخر الدهر ﴿ وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾ بحمله على التوبة وقبولها ﴿ وَاللهُ سَمِيعٌ ﴾ بمقالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بأفعالهم وبنياتهم (قاضي).

روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ﴿ أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة ﴾ (صدق من نطق) وعن ابن هشام أنه قال بلغنا أن رسول الله عليه السلام قال (أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي عليّ إلا حملها ملك حتى يؤديها إليّ ويسميه حتى يقول إن فلاناً يقول كذا وكذا)(شفاء شريف) والمراد بخطوات الشيطان سيرة الشيطان طريقته والمعنى لا تسلكوا مسالكه لا تتبعوا آثاره وسواسه بإشاعة الفاحشة ، الإصغاء إلى الإفك . والقول به (شيخ زادة) قوله ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بالتوبة لما طهر منكم أحد إلى آخر الدهر من دنس الإثم ولكن الله تعالى يطهر التوابين بقبوله توبتهم بلطفه وكرمه (كشاف) عن شقيق البلخي أنه قال كان إبراهيم بن أدهم يمشي في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا يا أبا إسحق إن الله تعالى قال في كتابه ﴿ ادعوني

أستجب لكم ﴾ ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجيب لنا قال يا أهـل البصرة مـاتت قلوبكم في عشرة أشياء فكيف يستجاب دعاؤكم . الأول عرفتم الله تعالى ولم تؤدوا حقه . والثاني قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث أدعيتم حب رسول الله وتركتم سنته . والرابع ادعيتم عـداوة الشيـطان وأطعمتموه ووافقتمـوه . والخامس ادعيتم دخـول الجنة ولم تعملوا لهـا . والسادس ادعيتم النجـاة من النار ورميتم فيهـا أنفسكم . والسابـع قلتم الموت حق ولم تستعـدوا لـه . والثامن اشتغلتم بعيوب إخوانكم فلا ترون عيوب أنفسكم . والتاسع أكلتم نعمـة ربكم ولم تشكروا له . والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم (حياة القلوب) وفي الخبر إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس عليه اللعنة جنوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس ويشغلوهم على الصلاة فيجيء الشيطان إلى من أراد الصلاة فيشغله حتى يؤخرها عن وقتها فإن لم يقدر على ذلـك يأمـر بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسبيحها فإن لم يقدر على ذلك يشغل قلبه بأشغـال الدنيا فإن لم يقدر على شيء من ذلك ذهب خاسراً ذليـلاً فيأمـر إبليس عليه اللعنـة بأن يـوثق ذلك الشيطان ويرمي في البحر وإن كان يقدر على شيء من ذلك يكرمه ويعظمه (تنبيه الغافلين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (إن الشيطان لمة بابن آدم وللملك لمـة فأمـا لمة الشيطان فإيعاد الشر وتكذيب الحق وأما لمة الملك فايعاد الخير وتصديق الحق فمن وجد هـذه فليعلم أنـه من الله فليحمـد الله تعـالى ومن وجـد الآخـرة فليعـوذ من الشيـطان الـرجيم (مصـابيح) فـاللمـة من الالمـام وهـو القـرب فـإن كـل واحـد من الملك والشيـطان يقـرب القلب أحدهما بواسطة الملك والآخر بواسطة الشيطان وما وقع بواسطة الملك يسمى إلهاماً وما وقع بواسطة الشيطان يسمى وسوسة والقلب متجاذب بينهما لأنه بأصـل فطرتـه يصلح لقبول آثار الملك وآثار الشيـطان صلاحـاً متساويـاً لا يترجـح أحدهمـا على الآخـر إلا باتبـاع الهوى والإكباب على الشهوات أو مخالفة الهوى والإعراض عن الشهوات («سنانية) وقال أبو الليث اعلم أن لك أربعة من الأعداء تحتاج إلى أن تجاهد كـل واحد منهم . الأول الـدنيا قـال الله تعالى ﴿ فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ والثاني نفسك وهي أشر الأعداء لـما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (أعـدى عدوك نفسـك التي بين جنبيك) قال الله تعالى ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ والثـالث شيطان الجن فاستعذ بالله تعالى منه كما قال الله تعالى ﴿ إن الشيـطان لكم عدوّ فـاتخذوه عـدواً ﴾ والرابـع شيـــطان الإنس فـاحـــذر منـــه فـإنـــه أشـــد عـليـــك من شيـــطان الجن لأن شيـــطان الجن يكـون اغواؤه بـالوسـوسة فقط وأمـا شيـطان الإنس فبـالمعاينـة والمواجهـة والإعـانـة (تنبيه الغافلين) وذكر عن وهب بن منبه أنـه قال أمر الله تعالى إبليس أن يـأتي محمداً عليـه الصلاة والسـلام ويجيبه عن كل ما يسأله فجاءه عـلى صورة شيـخ صبيح وبيـده عكازة فقـال

عليه الصلاة والسلام (من أنت) قال أنا إبليس قال (لماذاجئت) قال إن الله أمرني أن آتيك وأجيبك عن كل ما سألتني فقال عليه السلام : « يا إبليس كم أعداؤك من أمتي » قال خمسة عشر . الأول أنت يا محمد . والثاني إمام عادل . والثالث غني متواضع . والرابع تاجر صادق . والخامس عالم مصل يتخشع . والسادس مؤمن ناصح . والسابع مؤمن رحيم . والثامن تائب ثابت على توبته . والتاسع متورع عن الحرام . والعاشر مؤمن يداوم الطهارة . والحادي عشر مؤمن كثير الصدقة . والثاني عشر مؤمن حسن الخلق . والثالث عشر مؤمن ينفع الناس . والرابع عشر حامل القرآن يديم قراءته . والخامس عشر قائم بالليل والناس نيام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لإبليس (كم رفقاؤك من أمتي) قال عشرة الأول سلطان جائر . والثاني غني متكبر . والثالث تاجر خائن . والرابع شارب الخمر . والخامس الفتات . والسادس صاحب الرياء . والسابع آكل مال اليتيم . والثامن المتهاون بالصلاة . والتاسع مانع الزكاة . والعاشر من يطيل الأمل فهؤلاء إخواني وأصحابي (نقل من تنبيه الغافلين) وذكر في الخبر أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبد في صومعته يقال له برصيصا العابد وكان مستجاب الدعوات وكان الناس يأتونه بمرضاهم ويبرأ المريض بدعائه فدعا إبليس عليه اللعنة الشياطين فقال من يفتن هذا ويضله فقال عفريت من الشياطين أنا أفتنه فإن لم أفتنه لست منكم فقال إبليس أنت له فانطلق حتى أتى ملكاً من ملوك بني إسرائيل وله بنت من أحسن الناس وهي جالسة مع أبيها وأمها وأخواتها فصرعها ففزعوا لذلك فزعاً شديداً فصارت البنت مجنونة وكانت على ذلك أياماً ثم أتاهم على صورة إنسان فقال لهم إن أردتم أن تبرأ فاذهبوا بها إلى فلان الراهب وهو يبرئها ويدعو لها فذهبوا بها إليه فبرئت من علتها فلما رجعوا بها عاد ذلك فقال لهم إن أردتم أن تبرأ بالكلية فاجعلوها عنده أياماً فانطلقوا بها إليه وتركوها عنده فأبى الراهب فألحوا عليه وتركوها عنده فكان الراهب مقيماً للصلاة ومديماً للصيام فأجلسها الراهب عنده فأطعمها حتى طال عليها الوقت فنظر إليها يوماً فرأى وجهها وجسدها لم ير مثلها في الحسن فمال قلبه إليها وبوسوسة الشيطان ولم يصبر ثم قربها فحملت منه ثم أتاه الشيطان فقال له إنك حبلتها وليس لك نجاة من الملك مما صنعت بها إلا أن تقتلها وتدفنها عند صومعتك فإذا سألوك عنها فقل إنها ماتت فانهم يصدقونك فذبحها ودفنها فجاؤوا وسألوه عنها فقال ماتت فصدقوه ورجعوا فانطلق الشيطان فقال لهم إن الراهب قد وقع عليها فلما خشي أن يطلع عليها أحد ذبحها ودفنها فركب الملك مع الناس مقبلاً إلى نحو الراهب وحفروا قبرها فوجدوها مذبوحة فأخذوا الراهب وصلبوه وجاء الشيطان وهو على صلبة فقال له أنا أنجيك منها إن سجدت من دون الله تعالى فقال كيف أسجد لك وأنا في هذه الحالة فقال أرضى منك أن تومي برأسك فسجد له إيماء له برأسه قال أنا بريء منك إني

أخاف الله رب العالمين وهو قوله تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ هكذا روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فإذا علمت حال برصيصا الذي كان في النار مخلداً فاعلم أن الإنسان إذا اتبع مقتضى الشهوات والغضب يظهر تسلط الشيطان على قلبه بواسطة الهوى ويصير قلبه عش الشيطان ومقره لكون الهوى مرعى الشيطان ومرتعه وإذا جاهد نفسه ولم يتبع معتضى الشهوة والغضب يكون قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم لكن لما لم يكن قلب من القلوب خالياً عن الشهوة والغضب والحرص والطمع وغير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لم يتصور أن يوجد قلب خال من أن يكون فيه للشيطان جولان بالوسوسة ولا تزول وسوسته إلا بذكر شيء سوى ما يوسوس فيه إذ عند حصول ذكر شيء فيه ينعدم ما كان فيه من قبل إلا أن كل شيء سوى ذكر الله تعالى وما يتعلق به يجوز أن يكون مجالاً للشيطان فأما ذكر الله تعالى فهو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس مجالاً للشيطان فخذ ما أهديتك وأعمل بالإيمان . سهل عليك الله الملك المستعان . فمثل قلب الآدمي كمثل حصن له أبواب كثيرة والشيطان يريد أن يدخل فيه من كل باب ويملكه ويستولي عليه فلا بد للعبد من حفظه ولا يقدر على حفظه إلا بحراسة أبوابه وسد مداخله وأبوابه ومداخله الصفات المذمومة فليس للآدمي صفة من الصفات المذمومة إلا وهي قوة من قوى الشيطان وسلاح من أسلحته وباب من أبوابه ومدخل من مداخله (عن مجالس الرومي) وشروط التوبة ثلاثة : الأول الرجوع عن المعاصي ؛ والثاني الندم عليها ؛ والثالث العزم على أن لا يعود إليها أبداً . روي عن جابر رضي الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله ﷺ وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة . فقال : يا أمير المؤمنين وما توبة الصادقين ؟ قال : هي إثم يقع على ستة معان : الندامة على الماضي من الذنوب ، والإعادة لما ضيع من الفرائض ، وردّ المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته كذا ذكره أبو السعود . قال نجم الدين قدس الله سره : إذا أراد الله أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى عليين القرب يخلصه من عبودية ما سواه بتصرف جذبات العناية ثم يوفقه للرجوع إلى الحضرة ويقبل منه الرجوع بالتقرب إليه كما قال الله تعالى من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً « الحديث » انتهى . معناه : من تقرب إليَّ بالتوبة والطاعة تقربت إليه بالرحمة والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت انتهى .



﴿ يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُوْنِ ﴾ أي إذا لم يسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتمشىٰ لكم ذلك وعنه عليه السلام من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنىٰ ان أرضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ﴾ تناله لا محالة ﴿ ثُمَّ إلينا تُرْجَعُوْنَ ﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته يبغي أن يجتهد في الأستعداد له ﴿ والَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ لننزلنهم ﴿ مِنَ الجنَّةِ غرفاً ﴾ علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم أي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفاً لإجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا نِعْمَ أَجْرُ العَامِلِيْنَ ﴾ وقريء فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله (قاضي).

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « للمصلي علي نور على الصراط ومن كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار » صدق رسول الله قال مقاتل والكلبي نزلت هذه الآية في ضعفاء مسلمي مكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة إن أرضي يعني المدينة واسعة أمينة قال مجاهد : هو أن أرضي واسعة فتهاجروا فيها . وقال سعيد بن جبير : إذا عمل في أرض بالمعاصي فاخرجوا فإن أرضي واسحة . وقال عطاء : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن أرضي واسعة . ولذلك يجب على كل من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث تهيأ له العبادة . وقيل : نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا

نموت من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج . وقال مطرف بن عبدالله : إن أرضي واسعة أي رزقي لكم واسع فاخرجوا (معالم التنزيل) روي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : « إذا مات المؤمن حام روحه حول داره شهراً فينظر إلى من خلف من عياله كيف يقسم ماله ، وكيف يؤدي ديونه . فإذا أتم شهراً ردّ إلى حفرته فيحوم حول قبره سنة وينظر من يأته ويدعو له ومن يحزن عليه فإذا أتم سنة رفع روحه إلى حيث يجتمع فيه الأرواح إلى يوم ينفخ في الصور » (بهجة الأنوار) سئل أبو حنيفة رحمة الله عليه : أي ذنب أخوف يسلب الإيمان ؟ قال ترك الشكر لله على الإيمان ، وترك خوف سوء الخاتمة ، وظلم العباد (كنز الأخبار) ويرسل الله تعالى إليه بعد موته عند حمل الجنازة أربعة ملائكة ، فإذا أتوا على رأس قبره نادى أحدهم انقضت الآجال وانقطعت الآمال ، ونادى الثاني ذهبت الأموال وبقيت الأعمال ، ونادى الثالث زالت الأشغال وبقي الوبال ، ونادى الرابع طوبى لك إن كان مطعمك من الحلال وكنت مشغولاً بخدمة ذي الجلال (بهجة الأنوار) وحكي أن سليمان عليه السلام لما وسع عليه دنياه وحكم الإنس والجن والوحوش والطيور والرياح عزت نفسه فاستأذن ربه فقال يا رب ائذن لي حتى أعطي رزق كل مرزوق سنة كاملة فأوحى الله تعالى إليه إنك لا تستطيع فقال إلهي ائذن يوماً فأذن الله له يوماً فأمر سليمان عليه السلام الإنس والجن أن يأتوا بجميع من في الأرض وأمر أن يطبخ ما يطبخ وأن يحضر ما يحضر فطبخ وحضر أربعين يوماً ثم أمر الصبا أن لا تهب على المأكولات حتى لا تفسد الطعام وأمر أن يصف الطعام في صحراء واسعة فكان طول السماط مسيرة شهر وقس عليه عرضه ثم أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه السلام بمن تبتدىء من المخلوقات قال بسكان البر والبحر فأمر الله تعالى من سكان البحر المحيط حوتاً بأن يأتي دعوة سليمان فرفع الحوت رأسه وتقدم نحو السماط وقال يا سليمان قد جعل الله رزقي في هذا اليوم عليك فقال سليمان عليه السلام دونك الطعام فابتدأ فما تم لحظة حتى ابتلع ذلك الزاد كله ثم نادى يا سليمان أشبعني فإني جائع فقال أما شبعت قال إلى الآن ما شبعت فعند ذلك خرّ ساجداً وقال سبحان من تكفل برزق كل مرزوق من حيث لا يشعر (بديع الأسرار) وروي أن سليمان عليه السلام سأل نملة قال كم رزقك في السنة فقالت حبة من حنطة فجعل سليمان عليه السلام النملة في قارورة ووضع معهاحبة من حنطة وسد رأسها فلما تمت السنة فتح فم القارورة فإذا النملة أكلت نصف الحبة فقال سليمان عليه السلام لماذا لم تأكلي نصفها الآخر قالت لأن توكلي كان على الله فآكل الحبة لأنه لا ينساني فلما صار توكلي عليك في القارورة تركت نصفها وقلت أن نسيني في هذه السنة أكلت النصف الآخر في السنة الآتية (رجبية) وفي الخبر إذا أخذ العبد في النزع ينادي ملك الموت دعه حتى يستريح وإذا بلغ

الـروح الصدر قـال دعه حتى يستـريح وإذا بلغ الحلقـوم جاء نـداء دعه حتى يـودع الأعضاء بعضها بعضاً فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيـامة وكـذا الأذنان واليـدان والرجلان.ويودع الروح النفس فنعوذ بالله تعالى من وداع الإيمان اللسان والمعرفة الجنان فتبقى اليدان بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعينان لا نظر لهما والأذنـان لا سمع لهـما والبدن لا روح له ولو بقي القلب بلا معرفة فكيف حال العبـد في اللحد لا يـرى أحداً ولا أبـاً ولا أماً ولا أولاداً ولا أصحاباً ولا فراشاً ولا إخواناً ولا حجاباً فلو لم ير رباً كريماً فقـد خسر خسـراناً عظيماً (زهرة الرياض) وفي الخبر أيضـاً إن ملك الموت إذا أراد قبض الـروح يقول العبـد لا أعطيك ما لم تؤمر به فيقول ملك الموت أمرني ربي بذلك ويطلب الروح منه العلامة والبرهان فيقـول الروح إن ربي خلقني وأدخلني في جسـدي ولم تكن عند ذلـك معي فـالآن تـريـد أن تـأخذني فيـرجع ملك المـوت إلى الله تعالى ويقـول إن عبدك فـلاناً يقـول كذا وكـذا ويطلب البرهان فيقول الله تعالى صدق روح عبدي يا ملك الموت اذهب إلى الجنة فخذ تفاحة عليهـا علامتي وأرها روحه فيذهب ملك المـوت فيأخـذها وعليهـا مكتوب بسم الله الـرحمن الرحيم فيريه إياها فإذا رآها روح العبد يخرج من النشاط (زهرة الـرياض) روي أنـه عليه السـلام قال لا يخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة فلا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده عند ذلك من حب ذلك المكان ولا يخرج روح المنافق حتى يرى مكانـه في النار فـلا ينظر إلى أولاده ولا أبويه من فزع ذلك المكان قيل يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والمنـافق مكانـه في النـار قال : « إن الله تعـالى خلق جبرائيـل عليه السـلام في أحسن صورة ولـه ستمـائـة جناح وبين تلك الأجنحة جناحـان أخضران مثـل جناح الـطاووس إذا نشر جنـاحاً من تلك الأجنحة يملأ ما بين السمـاء والأرض وعلى جنـاحه الأيمن مكتـوب صورة الجنـة وما فيهـا من الحور والقصور والدرجات والخدام وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة النار وما فيها من الحيات والعقارب الدركات والزبانية وإذا جاء أجل واحد يدخل فوج من الملائكة في عروقه ويعصرون روحه من قدميـه إلى ركبتيه ويخـرج ذلك الفـوج ويدخـل الفوج الثـاني فيعصرون روحـه من ركبتيه إلى بطنه ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثالث فيعصرون روحه من بطنه إلى صدره ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الرابع فيعصرون روحه من صـدره إلى الحلقوم وعنـد ذلك يكون وقت النزع فإذا كان مؤمناً ينشر جبرائيل عليـه السلام جنـاحه الأيمن فيـرى مكانـه في الجنة فيعشقه ولا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من حب ذلك المكـان فينصب بصره إليـه وإن كان منافقاً ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه في النار ولا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من فـزع ذلك المكان فينصب بصره إليه فطوبى لمن كان قبره روضة من رياض الجنة وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران (زهرة الرياض) في ذكر نداء الروح بعد الخروج من البدن وفي الخبـر أنه إذا فارق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا

تركتك أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك وإذا وضع على المغتسل نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم أين بدنك القوي ما أضعفك وأين لسانك الفصيح ما أسكتك وأين أذنك السامعة ما أصمك وأين أحباؤك الخلص ما أوحشك وإذا وضع في الكفن نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم طوبى لك إن صحبك رضوان الله والويل لك إن صحبك سخط الله يا ابن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان والويل لك إن كان مأواك النيران يا ابن آدم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع إليه أبد الآباد وتصير إلى بيت الأهوال وإذا حمل على الجنازة نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم طوبى لك إن كان عملك خيراً وطوبى لك إن كنت تائباً وطوبى لك إن كنت مطيعاً لله وإذا وضع للصلاة نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة فإن كان عملك خيراً تراه خيراً وإن كان عملك شراً تراه شراً وإذا وضعت الجنازة على شفير القبر نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب وما حملت من الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة وإذا وضع في اللحد نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم كنت على ظهري ضاحكاً فصرت في بطني باكياً وكنت على ظهري فرحاً فصرت في بطني حزيناً وكنت على ظهري ناطقاً فصرت في بطني ساكتاً وإذا ادبر الناس عنه يقول الله تعالى يا عبدي بقيت فريداً وحيداً وتركوك في ظلمة القبر وقد عصيتني لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أشفق عليك من الوالدة بولدها (كذا في دقائق الأخبار) عليك بمضمونه بعون الملك الغفار تكن في دار السلام رفيق الأبرار .

قال الله تعالى ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ أي واجدة مرارة الموت ومتجرعة غصص المفارقة كما يجد الذائق ذوق المذوق وهذا مبنى على أن الذوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب وقال بعضهم أصل الذوق بالفم فيما يقل تناوله فالمعنى إذاً إن النفوس تزهق بملابسة جزء من الموت . واعلم أن للإنسان روحاً وجسداً وبخاراً لطيفاً بينهما هو الروح الحيواني فما دام هذا البخار باقياً على الوجه الذي يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن مفارقة اضطرارية وهو الموت الصوري ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الصلاح التام ﴿ ثم إلينا ﴾ أي إلى حكمنا وجزائنا ﴿ ترجعون ﴾ من الرجع وهو الرد أي تردون فمن كانت هذه عاقبته ينبغي أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هيناً ؛ هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصي والبدع وهو لا يقدر على تغييرها والمنع منها فيهاجر إلى أرض المطيعين من أرض الله الواسعة (من روح البيان)



﴿ حم وَالكِتَابِ المُبِينِ ﴾ أي القرآن والواو للعطف إن كان حم مقسماً بها وإلاَّ فللقسم والجواب قوله ﴿ إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ في ليلة القدر أو البراءة ابتدىء فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم أنزل على الرسول نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وبركتها لذلك فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية أو لما فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأقضية ﴿ إنَّا كنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ استئناف يبين المقتضى للإنزال وكذلك قوله ﴿ فِيْهَا يُفْرَقَ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو المتلبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها (قاضي).

قال النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ من نسي الصلاة عليّ فقد أخطأ طريق الجنة ﴾ وإنما أراد بالنسيان الترك وإذا كان التارك يخطىء طريق الجنة كان المصلي عليه سالكاً إلى الجنة « الحديث » وقال قتادة إن ﴿ حم ﴾ اسم من أسماء القرآن ويقال اسم من أسماء الله تعالى ويقال قسم أقسم الله تعالى به ويقال معناه قضي ما هو كائن إلى يوم القيامة ويقال الحاء مفتاح كل اسم أوله حاء كالحكيم والحليم والميم مما في أوله ميم من الأسماء كالمبين والملك والمهيمن . وفي تفسير أبي الليث حم يا محمد بحق الحي القيوم ﴿ والكتاب المبين ﴾ بحق القرآن الفارق بين الحق والباطل انتهى ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ أي في ليلة القدر أو البراءة قال صاحب الكشاف في ليلة مباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ﴿ إنا كنا منذرين ﴾ مع ما بعده تفسير لجواب القسم أي أنزلناه انذارنا وتحذيرنا للكافرين من العذاب والعقاب ﴿ فيها يفرق ﴾ أي في ليلة القدر أو البراءة يفصل ويكتب ﴿ كل أمر حكيم ﴾ أي محكوم بوقوعه من خير وشر ورزق وأجل وكل ما هو كائن من هذه الليلة إلى الليلة الأخرى

. . . .

من السنة القابلة (شيخ زادة) قوله إن كان حم مقسماً به فيكون حم مجرور المحل بإضمار حرف القسم ولا يجوز أن يكون منصوباً بحذف الجار وإيصال الفعل إليه لأنهم قالوا في الفرق بين حذف الجار وإضماره إن المضمر لا يكون مذكوراً لفظاً ولكن يكون أثره باقياً في الكلام والمحذوف هو المتروك أصلاً لا بقاء له لا بحسب لفظه ولا بحسب أثره وههنا أثر الجار قائم في حم بشهادة المعطوف عليه وهو الكتاب (شيخ زادة) قوله وإلا فللقسم أي وإن لم يكن حم مقسماً بها سواء جعلت تعديداً للحروف أو اسماً للسورة مرفوع المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف (شيخ زادة) وإنما سميت براءة لأن الله تعالى يعطي في هذه الليلة للأعداء والأشقياء براءة من الجنة كما قال الله تعالى ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ ويعطي للأصفياء والأتقياء براءة من النار وفيها يرفع عمل الأرض من السنة إلى السنة وفيها تفرق الأرزاق كما قال الله تعالى ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل في تلك الساعة إلى السماء الدنيا عند غروب الشمس فيقول هل من سائل فأعطيه سؤاله وهل من مستغفر فأغفر له وهل من مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر » (مجالس الرومي) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي عليه السلام إنه قال : « من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب والإخلاص خمس مرات أنزل الله تعالى عليه خمسمائة ألف ملك مع كل ملك دفتر من نور يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة وقال عليه السلام والذي بعثني بالحق نبياً من صلى في هذه الليلة يعطى من ثواب النبيين والمرسلين والملائكة والناس أجمعين » (مشكاة الأنوار) روي عن أبي نصر بن سعيد عن النبي عليه السلام أنه قال : « لما كانت ليلة الثالثة عشرة من شعبان أتاني جبرائيل فقال يا محمد قم فقد جاء وقت التهجد لتسأل مرادك في أمتك ففعل عليه الصلاة والسلام فأتاه عند انفجار الصبح «فقال يا محمد إن الله تعالى قد وهب لك ثلث أمتك فبكى النبي عليه السلام وقال يا جبرائيل أخبرني عن الثلثين الباقيين فقال لا أدري فأتاه الليلة الثانية وقال يا محمد قم فتهجد ففعل عليه الصلاة والسلام فأتاه عند الفجر وقال يا محمد قد وهب الله لك ثلثي أمتك فبكى النبي عليه السلام وقال يا جبرائيل أخبرني عن الثلث الباقي فقال لا أدري ثم أتاه ليلة البراءة فقال يا محمد البشارة لك فإن الله تعالى قد وهب لك جميع أمتك ممن لا يشرك بالله شيئاً ثم قال جبرائيل عليه السلام يا محمد ارفع رأسك إلى السماء فانظر ماذا ترى فنظر النبي عليه السلام فإذا أبواب السموات مفتوحة والملائكة من سماء الدنيا إلى العرش في السجود يستغفرون لأمة محمد عليه الصلاة والسلام وعلى كل باب سماء

ملك فعلى باب الأولى ملك ينادي طوبى لمن يركع في هذه الليلة وعلى باب الثانية ملك ينادي طوبى لمن يسجد في هذه الليلة وعلى باب الثالثة ملك ينادي طوبى للذاكرين في هذه الليلة وعلى باب الرابعة ملك ينادي طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة وعلى باب الخامسة ملك ينادي طوبى لمن بكى من خشية الله في هذه الليلة وعلى باب السادسة ملك ينادي طوبى لمن عمل خيرًا في هذه الليلة وعلى باب السابعة ملك ينادي طوبى لمن قرأ القرآن في هذه الليلة ثم ينادي ذلك الملك هل من سائل فيعطى سؤاله وهل من داع فيستجاب له دعاؤه وهل من تائب فيتاب عليه وهل من مستغفر فيغفر له » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أبواب الرحمة مفتوحة على أمتي من أول ليل إلى طلوع الفجر فإن الله تعالى يعتق من النار في هذه الليلة أكثر من عدد شعر غنم لقبيلة بني كلب » (زبدة الواعظين) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كنت نائمة مع النبي ﷺ فانتبهت فما وجدت النبي ﷺ فصرت متحيرة فظننت أنه رجع إلى بعض نسائه في نوبتي فطلبته في بيوتهن فلم أجده ثم جئت منزل فاطمة رضي الله عنها فقرعت الباب فنودي من على الباب فقلت أنا عائشة جئت هنا في هذا الوقت لطلب النبي عليه الصلاة والسلام فخرج علي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقلت أين نطلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا نطلبه في المساجد فطلبناه فما وجدناه فقال علي ما ذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلا بقيع الفرقد فجئنا إلى المأتم فإذا نور يسطع في المقبرة فقال علي رضي الله تعالى عنه ما ذاك إلا نور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا فرأيناه ساجداً وهو يبكي ولا يشعر به أحد قط ويتضرع ويقول في سجوده إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فلما رأته فاطمة وقعت على رأسه ثم رفعت وجهه من الأرض فقالت يا أبي ماذا أصابك أعدو حضر أم وحي نزل فقال يا فاطمة ما حضر العدو وما نزل الوحي ولكن هذه الليلة ليلة البراءة أطلب من الله تعالى وقال يا عائشة لو قامت القيامة فأنا أكون ساجداً أطلب من ربي وأشفع ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أردتم رضاي فاسجدوا واعينوني بالدعاء والتضرع فسجدوا وبكوا إلى انفجار الصبح . يا أهل المجلس أنتم أولى بالتضرع لأن ذنوبكم أكثر فإنهم يبكون لأجلكم فأولى أن تبكوا على أنفسكم(روضة العلماء) هذا دعاء البراءة (اللهم إن كنت كتبت اسمي شقياً في ديوان الأشقياء فامحه واكتبني في ديوان السعداء وإن كنت كتبت اسمي سعيداً في ديوان السعداء فأثبته فإنك قلت في كتابك الكريم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (كذا في على القارىء عليه رحمة الباري) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : « إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من

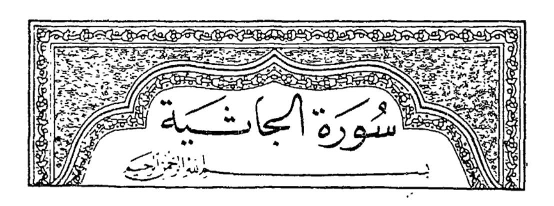
شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم لقبيلة بني كلب وانما خصها لأنهم أكثر نفراً وغنماً من سائر القبائل » . والمعنى أنه تعالى يحول في تلك الليلة صفة الجلال المقتضية للقهر والانتقام من العصاة إلى صفة الجمال المقتضية للرحمة والمغفرة وانما حمل لفظ الحديث على هذا المعنى لأن النزول والصعود والحركة والسكون لما كانت من صفات الأجسام المتحيزة وقد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية إن الله تعالى منزه عن الجسم والتحيز امتنع النزول والصعود من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه فيكون المعنى على ما ذكره أهل الحق وهو نزول رحمته تعالى على عباده وإجابة دعوتهم وقبول توبتهم (شرح) وعن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « خمسة أوقات لا يردّ فيهن الدعاء ليلة الجمعة وليلة العشر من المحرم وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين » (زبدة الواعظين) حكي أن عيسى عليه السلام كان سائحاً فنظر إلى جبل عال فقصده فإذا هو بصخرة في ذروة الجبل أشد بياضاً من اللبن فطاف حولها وتعجب من حسنها فأوحى الله إليه يا عيسى أتحب أن أبين لك أعجب من هذا قال نعم يا رب فانفلقت الصخرةفإذا هو بشيخ فيها عليه مدرعة من الشعر وبين يديه عكازة وبيده عنب وهو قائم يصلي فتعجب عيسى عليه السلام فقال يا شيخ ما هذا الذي أرى قال رزقي في كل يوم فقال له مذ كم سنة تعبد في هذه الصخرة فقال مذ أربعمائة سنة فقال عيسى عليه السلام يا إلهي أخلقت خلقاً أفضل من هذا فأوحى الله تعالى إليه يا عيسى إن رجلاً من أمة محمد أدرك شهر شعبان فصلى ليلة النصف صلاة البراءة لهي أفضل عندي من عبادة عبدي أربعمائة سنة فقال عيسى عليه السلام ليتني كنت من أمة محمد (زهرة الرياض) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « أتاني جبرائيل ليلة النصف من شعبان فقال يا محمد هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة فقم فصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء فقلت يا جبرائيل ما هذه الليلة فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلاثمائة باب من الرحمة والمغفرة فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك به إلا من كان ساحراً أو كاهناً أو مشاحناً أو مدمن خمر أو مصراً على الزنا أو على الربا أو عاقاً لوالديه أو نماماً أو قاطع رحم فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا أو يتركوا فخرج النبي عليه السلام فصلى وبكى في سجوده وهو يقول (اللهم إني أعوذ بك من عقابك وسخطك ولا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى) (زبدة المجالس) وقيل فضل الله الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى احترامها وتتسوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ويرغب الخلق في فضائلها وأما تضاعف الحسنات في بعضها فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال القاشاني

. . . .

في شرح التائية كما أن شرف الأزمنة وفضيلتها بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والمقاصد الباعثة وشرف النية في العمل أن يؤدى للمحبوب ويكون خالصاً لوجهه غير مشوب بغرض آخر قال عمر بن الفارضْ قدس الله سره .

وعندي عيدي كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالي ليلة القدر إن دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة

(من روح البيان)



﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرىء جاذية اي جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم ﴿ كُلُّ أُمَّة تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ﴾ صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعي صفة أو مفعول ثان ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ محمول على القول ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا ﴾ أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم ﴿ يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أعمالكم (قاضي بيضاوي).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى وعدني إذا مت أن يسمعني صلاة من صلى عليّ وأنا في المدينة وأمتي في مشارق الأرض ومغاربها وقال يا أبا أمامة إن الله تعالى يجعل الدنيا كلها في قبري وجميع ما خلق الله اسمه وانظر إليه فكل من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ومن صلى عليّ عشراً صلى الله عليه مائة » (قوله جاثية) أي مجتمعة أو باركة مستوفزة على الركب يقال استوفز في قعدته إذا قعد قعوداً منتصباً غير مطمئن (شيخ زاده) وقيل الجثو جلوس على الركب جلسة المخاصم بين يدي الحاكم وذلك لأنها خائفة فلا تطمئن في جلستها (شيخ زاده) وعن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق في صعيد واحد جنهم وإنسهم والأمم جثياً صفوفاً فينادي مناد ستعلمون اليوم من أصحاب

الكرم ليقم الحمادون الله على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي ثانياً ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فيقومون فيسرحون إلى الجنة ثم ينادي ثالثاً ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة فيقومون فيسرحون إلى الجنة فإذا أخذ هؤلاء الثلاث منازلهم وذهبوا إلى الجنة خرج عنق من النارُ وأشرف على الخلائق وله عينان بصيرتان ولسان فصيح فيقول إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فيخنس بهم في جهنم ثم يخرج ثانية فيقول إني وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم في جهنم ثم يخرج ثالثة قال أبو المنهاج حسبت أنه قال وكلت باصحاب التصاوير فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم في جهنم فإذا أخذ هؤلاء الثلاث نشرت الصحف ونصب الميزان ودعيت الخلائق إلى الحساب (تنبيه الغافلين) وذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ يستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم فيجدون ذلك موافقاً لما يعلمونه قالوا والاستنساخ لا يكون إلا من أصل وهو أن يستنسخ كتاب من كتاب (وسيط) ويقال الشهداء على الناس سبعة الأول الملائكة لقوله تعالى ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ والثاني الأرض لقوله تعالى ﴿ وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها ﴾ والثالث الزمان كما ورد في الخبر ينادي كل يوم وأنا يوم جديد وأنا على ما تعمل شهيد . والرابع اللسان لقوله تعالى ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم ﴾ الآية . والخامس الأعضاء لقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ والسادس الملكان الكاتبان لقوله تعالى ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ والسابع الديون لقوله تعالى ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴾ فكيف يكون حالك يا عاصي بعدما شهد عليك هؤلاء الشهداء ؟ وعن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل قال فيقوم أناس منهم يسيرون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي المنادي أين أهل الصبر فيقوم أناس منهم يسيرون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم فيقولون نحن أهل الصبر فيقولون ما كان صبركم فيقولون كنا نصبر على مصيبة الله فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادي أين المتحابون في الله فيقولون أناس منهم يسيرون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة

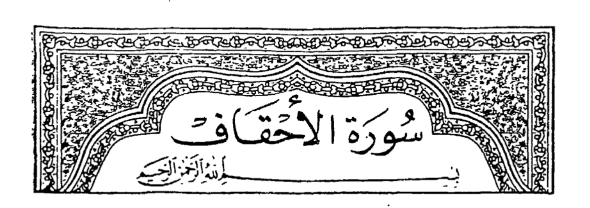
. . . .

فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم فيقولون نحن المتحابون في الله فيقولون ما كان تحابكم فيقولون كنا نتحاب في الله ونتبادل في الله فيقال لهم ادخلوا الجنة وقال عليه السلام . وضع الميزان للحساب بعد دخول هؤلاء الجنة . اعلم أن كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل ويكون للمؤمن والكافر والإنس والجن إلا من ورد الحديث باستثنائهم وقال البقالي لم أقف في حساب الأطفال والمجانين وأهل الفترة على نص صريح ومراتب الموقف البعث ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض أي يميز كل نبي أمته ثم تطاير الصحف ثم أخذها بالإيمان أو الشمائل ثم السؤال والحساب ثم الميزان وإذا جمع الله الخلائق في العرصات وأراد أن يحاسبهم تطاير عليهم كتبهم كتطاير الثلج وينادي المنادي من قبل الرحمن يا فلان خذ كتابك بيمينك ويا فلان خذ كتابك بشمالك ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك فلا يقدر أحد أن يأخذوا كتابه بيمينه إلا الأتقياء يعطون كتابهم بيمينهم والأشقياء بشمالهم والكفار من وراء ظهورهم وكذلك الناس في المحاسبة على ثلاثة طبقات طبقة يحاسبون حساباً يسيراً وهم الأتقياء وطبقة يحاسبون حساباً شديداً ثم يهلكون وهم الكفار وطبقة يحاسبون ويناقشون ثم ينجون وهم العصاة . وفي الحديث أنه عليه السلام قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة بين يد الله تعالى حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم ابلاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكسبه وفيم أنفقه ويسأل عما في كتابه فإذا بلغ آخر الكتاب يقول الله تعالى يا عبدي أعملت هذا كله أم ملائكتي زادوا عليك في كتابك فيقول لا يا رب ولكن عملت ذلك كله فيقول الله تعالى أنا الذي سترتها في الدنيا عليك وأنا أغفرها لك اليوم اذهب فإني قد غفرتها لك ، هذا حال من يناقش في الحساب ثم ينجو بفضله تعالى » . ومما يجب اعتقاده ان لله تعالى ملائكة يكتبون أفعال العباد من خير وشر هزلاً وجدا خطأً ونسيانا في الصحة والمرض حتى أنينه وإنفاسه فيه والعبد مؤمناً كان أو كافراً . وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال كنت جالساً مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يحدثنا عن أخبار بني إسرائيل والأمم الماضية ثم قال في آخر حديثه يا علي أن جبرائيل أرسله الله تعالى يخبرني عن أحوال أمتي فقال يا محمد إن في أمتك رجالاً يقفون في الحساب بين يدي الله تعالى ثم يتكلمون معه كما يتكلم الخصم مع خصمه فقلت يا أخي جبرائيل فهل يقدر أحد على ذلك فقال نعم يا رسول الله فقلت أعلمني بهم يا أخي جبرائيل فقال هؤلاء يطول شرحهم حتى أستأذن ربي وآتي اليك فغاب عني ساعة ثم أقبل وهو يضحك فقلت ما أضحكك يا أخي جبرائيل فقال يا محمد قد وقع لي في هذه الساعة حكايات عجيبة فقلت ما

هي فقال الحكاية الأولى التي وعدتك بها يا رسول الله فاعلم يا محمد إذا كان يوم القيامة يعطي الله كل أحد كتابه فيأخذ ذلك العبد كتابه فينظر إليه ويقرؤه ويعرف ما فيه من خير وشر ثم يقول الله تعالى يا عبدي أقرأت كتابك فيقول نعم ولكن هذا الذي في كتابي ما عملته قط فيقول الله تعالى يا عبدي أغيرك عمله فيقول يا رب لا أدرى فيقول ان كراماً كاتبين أحصوه عليك وأنت متغافل فيقول يا رب إن الملائكة الكاتبين هم عبيدك يقولون ما شاؤوا ولا يتركونك معي فإن كان ولا بد فأنت الحكم العدل لا تأخذ إلا بالبينة فيقول الله تعالى يا عبدي ومن يشهد عليك وكلهم عبيدي وأنت اختصمت الملائكة الكرام وكتابهم فيقول نعم يا رب لا أقبل شهوداً عليّ إلا مني فيقول الله تعالى وإذا أتيت بالبينة منك أتقبل وتعترف فيقول العبد نعم يا رب فيقول الله تعالى للسان بقدرتي انطق ولا تقل إلا حقاً فإن هذا يوم يموت فيه الباطل فينطق اللسان بكل ما عمل في دار الدنيا من القبيح والحسن فيقول العبد إلهي وسيدي ومولاي أنت تعلم أني لا حكم لي على اللسان وهو من طبعه إنه لا يزال ناطقاً ولا أقبل شهادة ذلك فإنه كان عدوي في الدنيا وجميع ما وقع لي من الآثام وقع بسببه وقد قال رسولك مخبراً عنه اللسان عدو الإنسان وأنت تحكم بالعدل لا تقبل شهادة العدو على عدوه فيقول الله لي عليك غيره منك فما تقول فيقول ذلك العبد لا أتكلم بعد ذلك يا رب فيقول الله ليديه انطقا بما فعل عبدي فتنطقا بكل ما فعل بهما وتشهدان فيقول ذلك العبد إلهي وسيدي ومولاي إنك أرسلت إلينا رسولاً فشرع فينا شرعاً فاتبعناه بإذنك حيث قلت ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ فيقول الله تعالى يا عبدي وما شرع رسولي فيقول قد قال الشاهد الواحد في البينة لا يكفي واليدان شاهد واحد فلا يكفي وبقي الشاهد الثاني فيقول الله وإذا شهد عليك الشاهد الثاني أتقر وتعترف فيقول ذلك العبد نعم فيقول الله لرجليه ما تقولان انطقا بما فعل ذلك العبد واشهدا بالحق فتنطقان بقدرة الله وتقول إنه مشى بي وعمل من حسن وقبح وتشهدان بكل ما فعل فيلتفت ذلك العبد وهو متحير إلى أعضائه ويعاقبهم ويقول يا أعضائي ما أنا غيركم بل أنا أنتم وأنتم أنا وإنما أنازع ربي لأجلكم فما رأيت أجهل منكم أدافع عنكم وأنتم تطعمون أنفسكم إلى النار فيقولون أنت نسبتنا إلى الجهل والتقصير وما رأينا أجهل منك إنما نحن مأمورون أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ثم يصير ذلك العبد حائراً باهتاً خجلاً فيأمر الله تعالى الزبانية أن يسحبوه فيقول يا رب أين رحمتك وأنت أرحم الراحمين فيقول الله تعالى هي للمسلم فلو وقع الاعتراف منك حصل الانتصاف فيقول يا رب إني مقصر ومعترف ولكن خوف النار ألجأني إلى ذلك فيقول الله تعالى يا ملائكتي امضوا بعبدي إلى الجنة فإني قد غفرت وعفوت عنه فيمضون به إلى الجنة وتقول

تلك الملائكة (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) يا عبدالله ادخل في رحمته ادخلوها بسلام آمنين (هذه مكالمة جبرائيل مع النبي عليه السلام انتهى) .

وقيل (نستنسخ) أي نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله سبحانه وتعالى منه ما كان له ثواب أو عليه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب كذا في معالم التنزيل (سنانية) . .



﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً ﴾ أي أيصاءً حسناً ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ ذات كره أو حملاً ذات كره وهو المشقة ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ﴾ ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام والمراد به الرضاع التام المنتهىٰ به ولذلك عبر به كما يعبر بالأ مد عن المدة ﴿ ثَلاَثُونَ شَهْراً ﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الأم في تربية الولد مبالغة في التوصية بها ﴿ حَتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ إذا اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَة ﴾ قيل لم يبعث نبي إلاَّ بعد أربعين ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْني ﴾ ألهمني وأصله أولعني من أوزعته بكذا ﴿ : أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى وَالِدَيَّ ﴾ يعني نعمة الدين وما نعهما وغيرها ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَهُ ﴾ نكره للتعظيم أو لانه أراد نوعاً من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل ﴿ وَأَصْلِحْ لِي في ذُرِّيَّتي ﴾ واجعل لي الصلاح سارياً في ذرّيتي راسخاً فيهم ﴿ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ عما لا ترضاه أو يشغل عنك ﴿ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمينَ ﴾ المخلصين لك (قاضي بيضاوي).

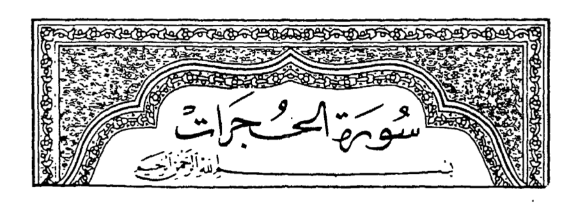
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا كانت ليلة الجمعة يأتي إلى قبري ألف ملك لزيارتي فإذا قضوا الزيارة يسبحون في مشارق الأرض ومغاربها فكل من سمعوه يصلي ذهبوا بصلاته حتى يضعوها تحت العرش فيقولون يا ربنا هذه صلاة فلان ابن فلان فيقول الله تعالى إني صليت عليه عشر أمثالها اذهبوا

بها إلى جبرائيل يضعها عنده حتى يأتي صاحبها يوم القيامة وسأحطها في ميزان ذلك المصلي وتأتي له تلك الصلاة فيرجح بها الميزان ويمضي صاحبها إلى الجنة (موعظة) قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله تعالى عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبي عليه السلام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعاهم وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله تعالى عنه (من المدارك) عن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنا بريء ممن لم يؤد حق والديه فقلت يا رسول الله فإنْ لم يكن معه شيء قال إذا سمع قولهما فليقل سمعاً وطاعة ولا يقل لهما أف ولا ينهرهما وليقل لهما قولاً كريماً أو كما قال . روي أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال يا رسول الله أوصني بوصية انتفع بها في الدنيا والآخرة فقال عليه السلام هل لك والد ووالدة فقال نعم قال إذا أديت حقهما وأطعمتهما لك بكل لقمة قصر في الجنة . صدق رسول الله وجاء رجل أيضاً فقال يا رسول الله إن لي والدة أنفق عليها هي تؤذيني بلسانها فكيف أصنع فقال عليه السلام أدّ حقها فوالله لو قطعت لحمك ما أديت ربع حقها أما علمت أن الجنة تحت أقدام الأمهات فسكت الرجل وقال والله لا أقول لها شيئاً ثم أتى الرجل والدته وقبل قدميها وقال يا والدتي بذلك أمرني رسول الله وذكر النبي عليه السلام حديثاً طويلاً وقال : « في آخره والذي بعثني بالحق نبياً ما من عبد رزقه الله مالاً ثم بر والديه إلا كان معي في الجنة فقال رجل يا رسول الله فإن لم يكن له والدان في الدنيا فما يفعل قال يتصدق عنهما بإطعام الطعام وقراءة القرآن أو الدعاء فإن تركها فقد عقهما ومن عقهما فقد عصي وقال ما من عبد صلى الفريضة ودعا لوالديه بالمغفرة إلا استجاب الله تعالى له دعاءه وغفر له ببركة دعائه لهما ولو كانا فاسقين » (موعظة) وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله يقول من مشى لزيارة والديه كتب الله له بكل خطوة مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة فإذا جلس بين يديهما وتكلم معهما بطيب الكلام أعطاه الله تعالى يوم القيامة نوراً يسعى بين يديه فإذا خرج من عندهما خرج مغفوراً له وروي أنه كان في زمن عمر رضي الله عنه رجل تاجر فأتت إليه والدته يوماً تطلب منه شيئاً تنفقه على نفسها فقالت امرأته إن والدتك تريد أن تتركنا فقراء إذا كانت كل يوم تطلب هكذا فبكت أمه ومضت ولم يعطها فبينما هو يمشي في بعض أسفاره مع التجار إذ خرج عليه قطاع الطريق ونهبوا ما كان معه ثم أخذوا الرجل وقطعوا يده وعلقوها في عنقه وتركوه مطروحاً مجندلاً في دمه على الطريق فمر عليه قوم فحملوه إلى منزله فلما دخل عليه أقاربه قال لهم هذا جزائي فلو كنت أعطيت أمي بيدي درهماً ما قطعت يدي وما سلب مالي فأتت إليه والدته فقالت له يا

بني إني متحسرة عليك بما فعل العدو معك فقال الرجل يا أمي هذا كله بذنبي إليك فأسألك الرضا فقالت يا بني إني رضيت عنك فلما كان الليل أصبح الرجل وقد عادت يده كما كانت بقدرته تعالى (موعظة) حكي أن شيخاً كان مشهوراً بالفضل فيوماً قصد مكة وله أم لم ترضى أن يسافر إلى مكة فلم يقتدر الشيخ على إرضائها ومشى إلى مكة فجاءت أمه من خلفه فقالت يا رب إن ابني أحرقني بنار الفرقة فسلط عليه عقاباً وتضرعت وناحت فلما بلغ الشيخ مدينة من المدائن دخل مسجداً في الليل للعبادة فدخل لص في بيت من البيوت فعلم صاحب البيت أن في البيت لصاً ففر اللص إلى جانب المسجد فتعقبوه فلما جاؤا إلى باب المسجد غاب اللص فقالوا بل في المسجد فدخلوا فرأوا الشيخ قائماً يصلي ففي الحال أخذوه فأتوا به ملك المدينة فأمر الملك بقطع يديه ورجليه وإخراج عينيه فقطعوا يديه ورجليه وأخرجوا عينيه فنادوا في السوق هذا جزاء السارق فقال الشيخ لا تقولوا ذلك بل قولوا هذا جزاء من قصد طواف مكة بلا إذن أمه فلما رأوا أنه الشيخ وعلموا بهذه الحالة بكوا وبعثوا فأعادوا الشيخ إلى أمه ووضعوه على باب الصومعة وفيها تنادي أمه وتقول يا رب إن ابتليت ابني ببلاء أعده إليّ حتى أراه فنادى الشيخ أنا مسافر جائع فأطعميني فقالت أمه أئت إلى باب فقال مالي من رجلين أمشي إليك فقالت أمه امدد يديك فقال مالي من يدين فقالت أمه إن أطعمتك تحصل بيني وبينك حرمة فقال الشيخ لا تخافي مالي من عيني فأخذت أمه خبزاً واحداً وماء بارداً بكوز فقدمت إليه فلما قرب الشيخ أمه وضع وجهه على قدميها وقال أنا ابنك العاصي فعلمت أمه أنه ابنها وبكت فقالت يا رب إذا كانت الحال كذلك فاقبض روحي وروحه حتى لا يرى الناس سواد وجهنا فلم تتم المناجاة إلا وقد قبض روحها ، وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه أنه قال كنت جالساً مع النبي عليه السلام وجماعة من الصحابة إذ أتى رجل فقال السلام عليكم فقلنا وعليك السلام فقال يا رسول الله إن عبدالله بن سلام يدعوك ليودعك فإنه مريض وعلى خروج من الدنيا لما سمع ذلك قام ثم قال قوموا بنا نزور أخانا عبدالله ثم مضى عليه السلام عند رأسه وقال يا عبدالله قل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله فقالها في أذنه ثلاثاً فلم يقلها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال عليه السلام لبلال أمضي إلى امرأته واسألها ما كان يعمل زوجها في الدنيا وما كان شغلها فمضى بلال رضي الله تعالى عنه وسألها عن عمل زوجها فقالت يا بلال وحق رسول الله ما عرفت من يوم تزوجني أنه ترك الصلاة خلف رسول الله وما مضى عليه يوم إلا تصدق فيه بشيء إلا أن والدته غير راضية عنه فقال عليه السلام ائتوني بها فمضى بلال إليها وقال أجيبي النبي عليه السلام فقالت وما ذلك فقال ليصلح بينك وبين ولدك عبدالله ولأنه على خروج

. . . .

من الدنيا فقالت وحق رسول الله لا أمضي ولا أجعله في حل مما آذاني لا دنياه ولا أخراه ثم امتنعت فأتى بلال إلى النبي عليه السلام فأعلمه فقال عليه السلام : « يا عمر ويا علي اذهبا فأتياني بها فذهبا إليها فلما دخلا عليها قالا لها أيتها العجوز إنه عليه السلام يدعوك قالت وما يريد مني وما له من حاجة فقالا لها لابد أن تمشي معنا فمشت معهما حتى أتت إليه فقال عليه السلام أيتها العجوز انظري إلى ولدك وما هو عليه فلما نظرت إليه قالت يا ولدي والله لا أجعلك في حل من حقي لا في الدنيا ولا في الآخرة فقال عليه السلام أيتها العجوز خافي الله عز وجل واجعليه في حل فقالت كيف أجعله في حل وهو ضربني وطردني من بيته لأجل امرأته فهو آذاني وعصاني فقال عليه السلام إن حقك على أن تجعليه في حل فقالت أشهدك يا رسول الله أنت ومن معك أني جعلته في حل فقال عليه السلام يا عبدالله قل ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله ﴾ فرفع صوته بالشهادة ثم مات بعد ذلك فلما صلينا عليه ودفناه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر المسلمين ألا من كانت له والدة فليبرها » (موعظة) وعن أنس رضي الله عنه أنه قال قال النبي عليه السلام : « ما من رجل مات والده وهما غير راضيين عنه إلا أخرج الله روحه على غير الشهادة . ولا يخرج من قبره إلا وعلى وجهه مكتوب هذا جزاء من عق والديه » . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « ما من عبد آتاه الله تعالى مالاً ثم لم يؤد حق والديه إلا أحبط الله عز وجل عمله وأذاقه العذاب الأليم » « الحديث » روي الترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد » . كذا في الجامع الصغير لأنه تعالى أمر أن يطاع الأب ويكرم فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ومن أغضبه فقد أغضبه تعالى وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة وعلم منه بالأولى حال الأم (كذا في التيسير) لأن حقها أكثر فعلى العاقل أن يحترز عن أن يكون عاقاً لوالديه انتهى . قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى لو لم يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتهما ويقضي حقهما ويسعى في تحصيل رضائهما فكيف وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في جميع كتبه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقد أمر بطاعتهما في جميع كتبه وأوحى إلى جميع الرسل وأوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما وجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما انتهى (كذا في تنبيه الغافلين) .



﴿ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ﴾ كونوا منه على جانب، وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية ﴿ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ ﴾ تعليل مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كأنه يثم الأعمال اي يكسرها ﴿ وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وفي الحديث ولا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتّى يفضحه ولو في جوف بيته ﴿ وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ﴾ ولا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتاً ﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الأغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فكرهتموه ﴿ واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن أتقىٰ ما نهيٰ عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لأنه بليغ في قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب (قاضي بيضاوي).

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

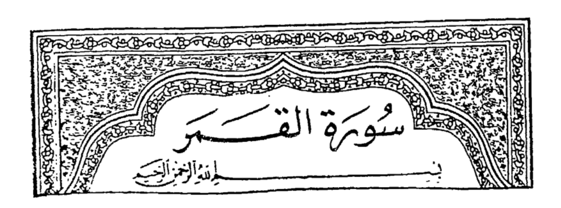
وسلم : « زينوا مجالسكم بالصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ نور لكم يوم القيامة » (رواه صاحب الفردوس) وقال عليه السلام : « لا يرى وجهي ثلاثة عاق الوالدين وتارك سنتي ومن ذكرت عنده فلم يصل عليّ » (صدق من نطق) قيل سبب نزول هذه الآية رجلان من أصحاب النبي عليه السلام وذلك أن النبي ضم إلى رجلين غنيين في السفر رجلاً من فقراء الصحابة ليصيب معهما من طعامهما ويتقدمهما في المنزل ويهيء لهما المنزل والطعام فضم سلمان الفارسي إلى رجلين فنزل ذات يوم منزلاً ولم يهيء لهما شيئاً فقالا له اذهب إلى رسول الله فسله لنا فضل ادام فانطلق فقال أحدهما لصاحبه وقد غاب عنهما لو انتهى إلى بئر سميحة وهي المشهورة بكثرة الماء لغار ماؤها فلما انتهى إلى رسول الله وبلغه الرسالة قال عليه السلام له قل لهما إنكما قد اكلتما الإدام فرجع إليهما وأخبرهما بما قال رسول الله فاتيا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالا ما أكلنا من ادام يا رسول الله قال عليه السلام : « إني لأرى حمرة اللحم في أفواهكما لاغتيابكما صاحبكما » فنزلت هذه الآية . وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال عليه السلام : « من صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » . روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « أربعة من الجفاء . الأول أن يبول الرجل وهو قائم . والثاني أن يمسح جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة . والثالث أن يسمع النداء فلا يتشهد مثل ما يتشهد المؤذن . والرابع إذا ذكرت عنده لا يصلي عليّ » (سيد على زاده) قال عليه السلام : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ » (قاضي) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الغيبة أشد من الزنا قالوا كيف يا رسول الله قال عليه السلام الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وأما صاحب الغيبة فلا يغفر له حتى يغفر صاحبه فعلم من هذا الحديث أن الغيبة من الكبائر » . روي أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من دخل الجنة ومن مات مصراً عليها فهو أول من دخل النار (زبدة الواعظين) سئل النبي عليه السلام عن الغيبة فقال : « أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان ذلك الشيء فيه فقد اغتبته وإن لم يكن ذلك الشيء فيه فقد بهته » (قاضي) كما روي عن عكرمة أن امرأة طويلة دخلت على النبي فلما خرجت قالت عائشة هذه طويلة القامة فقال عليه السلام الفظي الفظي فلفظت مضغة من اللحم فقالت عائشة ما قلت إلا ما فيها فقال عليه السلام : « الغيبة أن تذكر أخاك بما فيه وأما ما ليس فيه فهو البهتان وهو أشد من الغيبة لأنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع . الأول أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول قد ذكرت عندكم فلاناً بكذا فاعلموا أني قد كذبت فيه . والثاني أن يذهب إلى من قال عليه البهتان ويطلب منه الاستحلال . والثالث أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه

ولذا قيل الغيبة ذكر أخيك بما يكرهه سواء ذكرت نقصاناً في نفسه أو عقله أو ثوبه أو قوله أو نسبه أو دابته أو شيء مما يتعلق به حتى قولك انه واسع الكم أو طويل الذيل والقامة كما في قصة عائشة » (زبدة الواعظين) عن علاء بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : « الهمازون واللمازون والمشاؤون بالنميمة الباغون للبرآء العيب يحشرهم الله يوم القيامة في وجوه الكلاب » (طريقة محمدية) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من مشى بالنميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » (موعظة) روي عن وهب ابن منبه أنه قال لما ركب نوح عليه السلام السفينة أدخل معه من كل نوع زوجين حتى الكلب والهرة ومنع الكل عن المجامعة لئلا يتوالدوا فتضيق السفينة عليهم فلم يصبر الكلب فجامع فرأته الهرة فجاءت إلى نوح عليه السلام وأخبرته فدعا نوح عليه السلام الكلب ولامه فخلى سبيله ففعل ذلك مرة أخرى فجاءت الهرة وأخبرت فدعا نوح عليه السلام الكلب ولامه وأنكر الكلب فقالت الهرة يا نبي الله رأيته قد فعل فلو دعوت الله يظهر لك علامته وتبصره بعينك فدعا نوح عليه السلام ربه ثم إن الكلب جامع فاشتد ذلك عليه بحيث لا يمكنه الانفصال حتى جاءت الهرة وأخبرت فجاء نوح عليه السلام ربه ثم إن الكلب جامع فاشتد ذلك عليه بحيث لا يمكنه الانفصال حتى جاءت الهرة وأخبرت فجاء نوح عليه السلام فرآهما كذلك فخجل الكلب من ذلك فدعا ربه فقال يا رب اجعل لها فضيحة على رؤس الخلائق وقت الجماع كما فضحتنا فاستجاب الله تعالى دعاءه حتى أن الهرة إذا جومعت تصيح حتى يعلم الخلائق بصيحتها عقوبة لما كشفت سر الكلب ، كذلك ابن آدم إذا كشف سر المؤمنين يكشف الله سره يوم القيامة (زبدة الواعظين) عن كعب الأخبار أنه قال أصاب بني إسرائيل قحط فخرج موسى عليه السلام إلى الاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فقال موسى عليه السلام إلهي إن عبادك قد خرجوا ثلاثة أيام فلم تستجب دعاءهم فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني لا أستجيب دعاء قوم فيهم رجل نمام قد أصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو نخرجه من بيننا فقال الله تعالى يا موسى أنهاكم عن النميمة أو أكون نماماً فتابوا بأجمعهم فسقوا (زبدة الواعظين) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من اغتاب في عمره مرة يعاقبه الله بعشر عقوبات . الأولى يصير بعيداً من رحمة الله . والثانية يقطع الملائكة عنه الصحبة . والثالثة يكون نزع روحه عند موته شديداً . والرابعة يصير قريباً إلى النار . والخامسة يصير بعيداً من الجنة . والسادسة يشتد عليه عذاب القبر . والسابعة يحبط عمله . والثامنة يتأذى منه روح النبي ﷺ . والتاسعة يسخط الله عليه . والعاشرة يصير مفلساً يوم القيامة عند الميزان (زبدة الواعظين) عن أبي أمامة الباهلي أنه قال ان العبد يعطي كتابه يوم القيامة فيرى حسنات لم يكن عملها فيقول يارب من أين هذا لي فيقول الله تعالى هذا عمل

من اغتابك من الناس وأنت لا تشعر » ولذا روي أن الحسن البصري قال له رجل فلان قد اغتابك فبعث إليه طبقاً من الطرف وقال بلغني أنك أهديت إلي حسناتك وأنا أهديت إليك هذا . عن أنس بن مالك عن النبي عليه السلام أنه قال : « من اغتاب أخاه المسلم حول الله قبله إلى دبره يوم القيامة » وعن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والغيبة لأن فيها ثلاث آفات . الأولى لا يستجاب له الدعاء . والثانية لا تقبل له الحسنات . والثالثة تزداد عليه السيآت » (زبدة) روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال كنا مع النبي ﷺ فارتفع ريح جيفة منتنة فقال النبي ﷺ : « أتدرون ما هذا الريح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال هذا ريح الذين يغتابون الناس من المؤمنين » . فإن قيل ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كان يظهر في أول الأمة ولا يظهر في زماننا . قلنا الغيبة كثرت في زماننا وامتلأت منها الأنوف فلا تظهر رائحة النتن كرجل دخل في دار الدباغين فلا يقف لشدة النتن ساعة وأهلها يأكلون الطعام ولا تتبين لهم الرائحة لامتلأ أنوفهم منها (زبدة الواعظين) قيل الغيبة على أربعة أوجه مباح ومعصية ونفاق وكفر أما المباح فهو غيبة المجاهرين بالفسق وغيبة صاحب البدعة لما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وأما المعصية فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب باسمه عند جماعة ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة وأما النفاق فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب من غير ذكر اسمه عند من يعرف أنه يريد به فلاناً ويرى من نفسه أنه متورع هذا هو النفاق وأما الكفر فهو ذكر إنسان بما ليس فيه من العيب عند جماعة باسمه فإذا قيل له لا تغتب يقول هذا ليس بغيبة وأنا صادق فيما قلت فيه وهذا كفر لأنه يستحل ما حرم الله تعالى » (زبدة الواعظين) (خ م) عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : « لا يدخل الجنة قتات وفي رواية نمام (طريقة محمدية) وروي عن حماد ابن سلمة أنه قال باع رجل غلاماً فقال الرجل للمشتري ليس فيه عيب إلا أنه نمام فاستحقره المشتري فاشتراه على ذلك العيب فمكث الغلام عنده أياماً ثم قال لزوجة مولاه إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك أفتريدين أن يعطف عليك قالت نعم قال لها خذي موسى واحلقي شعرات من باطن لحيته إذا نام ثم جاء الغلام إلى الزوج فقال إن امرأتك تخادنت عليك يعني اتخذت خدنا وتريد ان تقتلك أتريد أن يتبين لك ذلك قال نعم قال فتناوم لها ففعل فجاءت المرأة بالموس لتحلق الشعرات فظن الزوج أنها تريد قتله فأخذ منها الموس فقتلها فجاء أولياؤها فقتلوه فجاء أولياء الرجل فوقع القتال بين الفريقين (موعظة) حكي أن أبا الليث البخاري خرج حاجاً فجعل في جيبه درهمين وحلف وقال ان اغتبت في طريق مكة ذاهباً أو جائياً فلله علي أن أصرف الدرهمين فرجع إلى منزله والدرهمان في جيبه

. . . .

فقيل له في ذلك فقال لئن أزني بامرأة مائة مرة اخف إلي من أن أغتاب مرة واحدة ثم قال من اغتاب رجلاً ففيها جاء يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله تعالى ومن اغتيب فبلغه فصبر عليها غفر له نصف ذنوبه فينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله له ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أحدكم أخاه المسلم بالسوء فليستعذ بالله فإنه كفارة . إعلم أن الغيبة إنما رخص فيها في خمسة مواضع . الأول أن المظلوم يذكر ظلم الظالم عند السلطان ليدفع ظلمه وأما عند غير السلطان فلا . الثاني عند المفتي إذا افتقر إلى ذكر السوء وقد قالت هذا القول امرأة أبي سفيان حين جاءت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستفتية أن أبا سفيان رجل لا يعطيني ما يكفيني . الثالث تحذير المسلم من شر الغير إذا علم . الرابع أن يكون معروفاً باسم فيه كالأعمش والأعرج والعدول إلى اسم آخر أولى . الخامس أن يكون مجاهراً بذلك العيب لا يكرهه كالمخنث قالوا من ألقى جلباب الحياء عنه فلا غيبة له (كذا في زبدة الواعظين) .

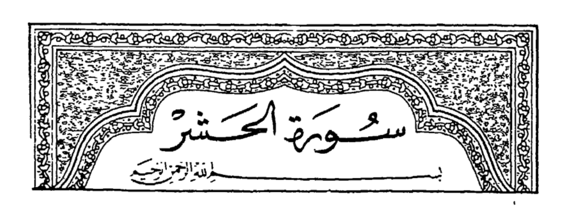


﴿ اقْتَرَبَتِ السَاعَةُ وَانشَقَّ القَمَر ﴾ روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ويؤيد الأول أنه قرىء وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر ﴿ وإنْ يَرَوْا آيَةَ يُعْرِضُوا ﴾ عن تأملها والإيمان بها ﴿ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِر ﴾ مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آية أخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر إذا أحكته فاستحكم أو مستبشع من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أو مرارته ذاهب لا يبقىٰ ﴿ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ وهو مازين لهم الشيطان من ردِّ الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للإشعار بأنهما من عاداتهم القديمة ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِر ﴾ منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فإن الشيء إذا انتهىٰ إلى غايته ثبت واستقر وقرىء بالفتح اي ذو مستقر بمعنىٰ استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة امر وكل معطوف على الساعة (قاضي).

وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنه قال ما من مجلس يصلى فيه على محمد إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على محمد عليه السلام (دلائل الخيرات) قال الشيخ أبو حفص عمر بن حسن في القصة لما ظهر شأن النبي عليه السلام أخذ أبو جهل في تدبير هلاكه فجمع رعاياه على أن يحفر بئراً فحفر وستر رأسه بالحشيش والتراب الضعيف وأمر عبيده أن ينظروا فإذا جاء محمد ووقع في البئر أن

يحثوا عليه التراب فلما انتهى خبر مرضه إلى النبي عليه السلام قام من حسن خلقه يعوده فلما بلغ قريباً من باب داره جاء جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك ومنعه عن الدخول فرجع النبي عليه السلام فأخبر أبو جهل بذلك فقام من فراشه مسرعاً وعدا خلف النبي عليه السلام ليقول له لم رجعت ونسي البئر فقام فيه فأدلوا إليه حبلاً فلم يبلغ إليه فجمعوا الحبال والأطناب وكلما ازدادوا حبلاً ازداد سفلاً فنادى أبو جهل من البئر أن امضوا إلى محمد وأتوني به فإنه لا يخلصني أحد دونه فسألوه الحضور عنده فحضر إلى رأس البئر وقال له إن أخرجتك من هذا البئر أتؤمن بالله ورسوله قال نعم فمدّ يده عليه السلام وأمسك بيد أبي جهل فأخرجه من البئر فلما صعد قال ما أسحرك يا محمد وهذه من معجزات النبي عليه السلام ولذا قال عليه السلام ﴿ من حفر بئراً لأخيه المسلم فقد وقع فيه ﴾ (موعظة) وروي في بعض الأخبار أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في حال صغره يلعب مع الصبيان فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل اذهب إلى الجنة وخذ منها طستاً وأبريقاً من ذهب واملأه من ماء الكوثر واذهب إلى محمد وشق صدره ثم استخرج منه قلبه ثم اغسله في الطست بذلك الماء الذي في الإبريق ثم املأه بالإيمان والحكمة ثم ارجع إلى مكانك فجاء جبرائيل عليه السلام كأنه طير في الهواء ورفع النبي عليه السلام من بين الصبيان وذهب به إلى الصحراء ثم وضعه تحت الشجرة فضرب جناحه على صدره وشقه وأخرج قلبه ثم شقه وغسله بالماء الذي في الإبريق في ذلك الطست وأخرج منه كل ما كان فيه وقال هذا حظ الشيطان ثم أعاده إلى مكانه وقال هذا قلب طهره الله من العيوب وذهب إلى السماء وتركه في ذلك المكان وذهب الصبيان إلى ظئره حليمة وقالوا إن محمداً رفعه طير وذهب به في الهواء فبكت حليمة وكشفت عن رأسها ونتفت شعرها وصاحت وقالت وامحمداه فاجتمع عندها الناس وأعمام محمد وأقاربه وأخبرتهم فركبوا الأفراس وذهبوا إلى كل جهة فوجدوا محمداً في ظل تلك الشجرة مستلقياً على قفاه مستغرقاً في عرقه فسألوه عن حاله فأخبرهم بالقصة فتعجبوا من ذلك الأمر وقالوا إن هذا الشيء عجيب (موعظة) قال الشيخ أبو حفص إن أبا جهل وأشراف قريش جاؤوا إلى أبي طالب عم النبي عليه السلام فقالوا إن ابن أخيك هذا أظهر ديناً خلاف ما كنا عليه وهو يسب آلهتنا ونحن نعفو عنه شرفاً لك فإن ترك ما جرى عليه من الخلاف وعاد إلى الوفاق وإلا لم يبق بيننا إلا السيف فقال لهم أبو طالب اقعدوا حتى أستدعيه وأستخبره وأبصر ما يجيبني فدعاه فحضر وكان أبو طالب جالساً على سرير متكئاً عليه فجاء النبي عليه السلام إلى هؤلاء الرؤساء من قريش حتى بلغ السرير فصعد واستند بجنب أبي طالب فقالوا لأبي طالب أما رأيته كيف ترك حرمتك وخطى أعناقنا وقعد بجنبك على سريرك فقال إن كان فيما يقول ويدعيه صادقاً فاليوم قعد على سرير وغداً يقعد على أعناقكم فقالوا إن كان صادقاً في دعواه فقل له ليجيء بحجة قدامك حتى نره ونصدقه فقال

أبو طالب يا ابن أخي ما تقول فيما قالوا ، قال عليه السلام : « تمنوا ما شئتم وكان في صحن الدار صخرة فاجتمعت آراؤهم على أن يخرج من هذه الصخرة شجرة تنشق رأسها نصفين يبلغ أحدهما المشرق والآخر المغرب فاشتغل النبي عليه السلام بالدعاء فنزل جبرائيل عليه السلام وقال إن الله تعالى يقول منذ خلقت هذه الصخرة علمت أنهم يطلبون منك بهذه المعجزة وقد خلقت تلك الشجرة في جوفها فأشار عليه الصلاة والسلام فانشقت تلك الصخرة نصفين منها تلك الشجرة وارتفعت حتى بلغت عنان السماء على حسب ما طلبوا منه فقالوا ما أحسن ما جئت به ولكن لا نؤمن بك حتى ترد الشجرة إلى الصخرة كما كانت فتفكر النبي عليه السلام فنزل جبرائيل عليه السلام وقال إن الله يقرئك السلام ويقول الدعاء منك والإجابة مني فدعا عليه السلام فرجعت الشجرة إلى حالها فقاموا من هذا الموضع فقالوا ما أسحرك يا محمد ما رأينا قط مثلك » (موعظة ٤ .



﴿ يا أيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُر نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة عدد وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدَّمن للآخرة كأنه قال ولتنظر نفس واحدة في ذلك ﴿ وَاتَّقُوا الله ﴾ تكرير للتأكيد او الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ﴿ إنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي ﴿ وَلَا تَكونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله ﴾ نسوا حقه ﴿ فَأَنسيهُمْ أنفُسَهُمْ ﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الهول ما أنساهم أنفسهم ﴾ ﴿ أولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ أي الكاملون في الفسق (قاضي بيضاوي) .

عن أبي كاهل عن النبي عليه السلام أنه قال : « يا أبا كاهل من صلى عليّ كل يوم وكل ليلة ثلاث مرات حباً لي وشوقاً إلي ، كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوب ذلك اليوم وذنوب تلك الليلة » (زبدة الواعظين) قيل كان لعمر رضي الله تعالى عنه صحيفة يكتب فيها ما فعله من الأسبوع إلى الأسبوع من الخير والشر فإذا كان يوم الجمعة يعرض أعمال الأسبوع على نفسه فكلما بلغ شيئاً في غير رضا الله تعالى جعل يضرب بالدرة نفسه ويقول أفعلت هذا وكان إذا سمع آية العذاب من القرآن خر مغشياً عليه ويكون مريضاً ويجيء أصحابه للعيادة وعلى وجهه خطان من كثرة سيلان دموع عينيه ويقول ليتني لم تلدني أمي فيوما كان يمشي فسمع قارئاً يقرأ آية ﴿ إن

عذاب ربك لواقع ما له من دافع ﴾ فسقط عن دابته مغشياً عليه فحملوه إلى بيته فلم يخرج من بيته شهراً (مجالس الأبرار) عن كعب الأحبار أنه قال لئن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموع عيني أحب إلى من أن أتصدق بوزن نفسي ذهباً لأنه ما من باك يبكي من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموع عينيه على الأرض إلا لم تمسه النار (مجالس الأبرار) روي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام ما زهد الزاهدون في شيء مثل الزهد في الدنيا وما تقرب المتقربون إليّ بشيء مثل الورع عما حرمت عليهم وما تعبد المتعبدون إليّ بمثل من بكى من خشيتي فقال موسى يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين فما تثيبهم على ذلك قال الله تعالى أما الزاهدون فأبيح لهم الجنة يتبؤون منها حيث يشاؤون وأما المتورعون عما حرمت عليهم فأدخلهم الجنة بغير حساب وأما الباكون من خشيتي فهم مع الرفيق الأعلى في الجنة (موعظة) وفي الخبر إذا كان يوم القيامة يوقف العبد بين يدي الله تعالى فيؤتي كتابه ويجد فيه سيئات كثيرة فيقول إلهي ما فعلت هذه السيئات فيقول الله تعالى إن لي شهوداً ثقات فيلتفت إلى يمينه وشماله ولم ير أحداً من الشهود فيقول يا رب أين الشاهد فيأمر الله جوارحه بأن تشهد عليه فشهد فتقول الأذنان إنا قد سمعنا والعينان إنا قد نظرنا واللسان أنا قلت وكذا اليدان والرجلان إنا فعلنا والفرج أنا زنيت فيبقى العبد متحيراً فيأمر الله تعالى به إلى النار فيظهر من عينه اليمنى شعرة واحدة تستأذن من الله تعالى أن تتكلم فيأذن الله تعالى لها فتقول يا رب ألست قلت أي عبد أغرق شعرة واحدة من أجفانه بدموع عينيه من خشيتي إلا أنجيته من النار فيقول الله تعالى بلى فتقول أنا أشهد أن هذا العبد المذنب قد أغرقني بالدموع من خشيتك فيأمر الله تعالى به إلى الجنة فينادي المنادي ألا إن فلان ابن فلان قد نجا من النار بشعرة واحدة من أجفان عينيه (حياة القلوب) روي عن عطاء أنه قال دخلت أنا وابن عمرو عبيد بن عمرو على عائشة رضي الله تعالى عنها فقال ابن عمر يا عائشة حدثينا بأعجب شيء رأيت من النبي عليه السلام فبكت وقالت أتاني رسول الله ﷺ ليلة هي ليلتي فالتزق جلده بجلدي ثم قال : « يا عائشة ائذني لي أن أعبد ربي فقلت إني لا أحب هواي بل أحب قربك إلى الله تعالى فقام إلى قربة في البيت وهو يبكي فتوضأ وأكثر من صب الماء ثم افتتح القرآن فبكى حتى جرت دموعه على الأرض فجاء بلال وهو يبكي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال عليه السلام أفلا أكون عبداً شكوراً وما يمنعني عن البكاء وقد أنزل الله تعالى عليّ البارحة ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ يا بلال لا يطفئها إلا ماء العين ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها (مجالس الأبرار) وروي عن ابن عباس وعن العباس بن

عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا قال عليه السلام إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى سقطت عنه ذنوبه كما تحات عن الشجرة اليابسة أوراقها (حياة القلوب) قيل إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتقصد أمة محمد عليه السلام فيجتهد النبي عليه السلام في دفعها فلم يقدر فينادي يا جبرائيل الحق الحق النار قد قصدت أمتي لتحرقهم فيأتي جبرائيل عليه السلام بقدح من الماء فيناوله الرسول فيقول يا رسول الله خذ هذا الماء ورشه عليها فإذا رشه عليها تطفأ في الحال فيقول النبي عليه السلام : « يا جبرائيل ما هذا الماء لم أر مثله في إطفاء النار » فيقول جبرائيل عليه السلام ما هذا إلا دموع أمتك الذين يبكون من خشية الله تعالى في الخلوة فأمرني ربي أن آخذه وأحفظه إلى وقت احتياجك إليه لتطفىء به النار التي قصدت أمتك (موعظة) يقال إن آدم عليه السلام بكى حين هبط من الجنة ثلاثمائة عام وما رفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وسجد سجدة على جبل الهند مائة عام يبكي حتى جرت دموع عينيه في وادي سرنديب فأنبت الله تعالى في ذلك الوادي من دموع عينيه الدار صيني والقرنفل وشربت الطيور من دموع عين آدم عليه السلام فقالوا لم نشرب شراباً أعذب من هذا فظن آدم عليه السلام أنهم يسخرون منه لعصيانه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إني لم أخلق شراباً ألذ وأعذب من ماء عيون العصاة (زهرة الرياض) حكي أن رباح العبسي اشترى غلاماً أسود بأربعة دنانير فكان لا ينام ولا يدع مولاه ينام فإذا جن الليل قال رباح يا غلام لم لا تنام ولا تدعنا ننام فقال يا مولاي إذا جن ظلام الليل ذكرت ظلمة القبر وظلمة جهنم فيطير نومي فإذا ذكرت الوقوف بين يدي ربي عظم غم قلبي وإذا ذكرت الجنة ونعيمها تضعف شوقي فكيف لي بالنوم يا مولاي فلما سمع رباح ذلك وقع مغشياً عليه فلما أفاق قال يا غلام مثلي لا يصلح أن يملك مثلك اذهب أنت حر لوجه الله تعالى (مجالس الرومي) روي أن رجلاً له ابن صغير يبيت معه في الفراش ففي ليلة اضطرب ولم ينم فقال له يا ولدي أبك وجع قال لا يا أبي ولكن غداً يوم الخميس يوم أعرض ما كسبت من العلم ويسمع معلمي مني في الأسبوع فأخاف أن يجد الأستاذ خطأ فيضربني ويغضب عليّ فصاح الرجل صيحة وأهال التراب على رأسه ويبكي فقال أنا أحق بهذا الخوف ليوم العرض على الرحمن بما كسبت في الدنيا من العصيان كما قال الله تعالى (وعرضوا على ربك صفاً) (موعظة) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسمه فيما أبلاه وعن علمه ما علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه » (طريقة) قال أهل المعرفة اغسلوا أربعاً بأربع وجوهكم بماء أعينكم وألسنتكم بذكر خالقكم وقلوبكم بخشية ربكم وذنوبكم بالتوبة إلى مولاكم . قال الفقيه أبو الليث الذنب على وجهين ذنب فيما بينك وبين الله وذنب فيما بينك وبين العباد فأما الذنب

الذي بينك وبين الله فتوبته الاستغفار باللسان والندم بالقلب والإضمار أن لا يعود إليها أبداً فإن فعل ذلك فإنه لا تنفعه التوبة ما لم يغض ما فاته ثم يندم ويستغفر الله وأما الذنب بينك وبين العباد فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحاللوك (موعظة) فأما العبد المذكور في الحديث الشريف فهو وإن كان عاماً لكونه نكرة في سياق النفي لكنه مخصص بقوله عليه السلام يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفاً فلا بد لكل من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش في الحساب ويطالب بمثاقيل الذر من الأعمال والأفعال ويتحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا بلزوم محاسبة النفس في تجارتها لآخرتها ومطالبتها في أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يخفف عليه يوم القيامة حسابه ويحضره عند السؤال جوابه ويحسن متقلبه ومآبه ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقفاته وتقوده إلى الخزي والمقت سيئاته فإذن لابد للمؤمن أن لا يغفل في تجارته لاخرته وعن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها لأن هذه التجارة يربح بها الفردوس الأعلى والبلوغ إلى سدرة المنتهي مع النبيين والصديقين والشهداء (من مجالس الرومي) .

قال الراغب النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما لغفلته حتى ينخسف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روي عن النبي عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان فهو ما لم يكن سببه منه فقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هو ما كان سببه عن تعمد منهم وترك على طريق الإهانة وإذا نسب ذلك إلى الله تعالى فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال في اللباب قد يطلق النسيان على الترك ومنه قوله تعالى ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ أي تركوا طاعة الله ترك الناسي فتركهم الله وقال بعض المفسرين إن قيل إن النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله سبحانه ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعده أجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعد ما خلقوا والمؤمنون اعترفوا بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله تعالى وراعوا حقها قلّ أو كثر جل أو صغر . سئل ذو النون المصري عن سر ميثاق مقام ألست بربكم هل تذكره فقال كأنه الآن في أذني (روح البيان) .



﴿ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاةِ ﴾ أذن لها ﴿ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ﴾ بيان لإذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه وأول جمعة جمعها النبي عليه السلام أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ ﴾ اي فامضوا إليه مسرعين قصداً فإن السعي دون العدو الذكر الخطبة وقيل الصلاة والأمر بالسعي إليها يدل على الوجوب ﴿ وَذَرُوا البَيْعَ ﴾ اي واتركوا المعاملة ﴿ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة فإن نفع الآخرة خير وأبقىٰ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴾ اي الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم أهل العمل (قاضي).

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صلى عليّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » وكذا روي عن أبي الدرداء أنه قال عليه السلام : « أكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود يشهده الملائكة وإن أحد يصلي عليّ إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها » (الحديث) وسبب نزول هذه الآية وهي ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة ﴾ أن النبي عليه السلام كان يخطب على المنبر يوم الجمعة إذ أقبل دحية الكلبي من تجارة الشام وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس إليه ولم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائماً ﴾ فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو لم يبق هؤلاء الاثنا عشر رجلاً منكم لسال الوادي ناراً وهو قوله تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ الآية (سبعيات) عن أبي هريرة

رضي الله تعالى عنه أنه قال الجمعة واجبة على من بينه وبين الجمعة مسافة يمكن الرجوع بعد أدائها إلى وطنه . قال النبي ﷺ : « من ترك جمعة بلا عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار ومن ترك ثلاث جمع متواليات لا تقبل شهادته » (مصابيح) عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة فإذا صلى الجمعة فله أجر عمل مائتي سنة . وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأن أصلي صلاة الجمعة أحب إليَّ من حجة تطوعاً . روي عن ميسرة أنه قال مررت بمقابر المسلمين فقلت السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحم الله تعالى إ يانا وإياكم وغفر لنا ولكم فسمعت نداء من قبر يقول طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون في كل شهر أربع مرات فقلت أين نحج كذلك قال هي الجمعة أما تعلمون أنها حجة مبرورة فيا ليتنا ندور على أبواب مساجدكم حتى ننظر أعمالكم ونسمع أذكاركم ولكن قد رضيناعنكم يا أهل الدنيا بقولكم لنا رحم الله فلاناً المتوفي (زبدة الواعظين) روي عن أبي عمرو عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن من وراء جبل قاف أرضا بيضاء ليس فيها شيء من النبات كأنها مثل الفضة وسعتها مثل الدنيا سبع مرات مملوة من الملائكة لو سقطت إبرة لسقطت عليهم وفي يد كل منهم لواء طوله أربعين فرسخاً وعلى كل لواء مكتوب ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ يجتمعون كل ليلة حول جبل قاف فيتضرعون إلى الله ويدعون بالسلامة لأمة محمد عليه السلام فإذا انفجر الصبح يقولون اللهم أغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة فيرفعون أصواتهم بالبكاء فيقول الله تعالى يا ملائكتي ماذا تريدون فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد عليه السلام فيقول الله تعالى قد غفرت لهم » (مشكاة الأنوار) روي في الخبر أن الله تعالى خلق منارة من فضة بيضاء في جانب البيت المعمور وطول المنارة خمسمائة عام فإذا كان يوم الجمعة يصعد جبرائيل عليه السلام على تلك المنارة فيؤذن ويصعد إسرافيل عليه السلام على المنبر فيخطب فيؤم «ميكائيل عليه السلام بالملائكة فإذا فرغوا من الصلاة يقول جبرائيل عليه السلام ما حصل لي من الثواب لأجل الأذان وهبته لجميع مؤذني المؤمنين من أمة محمد في وجه الأرض ويقول اسرافيل عليه السلام ما حصل لي من الثواب لأجل الخطبة وهبته لجميع الخطباء في وجه الأرض من أمة محمد عليه السلام ويقول ميكائيل عليه السلام ما حصل لي من الثواب لأجل الإمامة وهبته لجميع من يؤم يوم الجمعة في وجه الأرض ويقول الملائكة كلهم ما حصل لنا من الثواب لأجل الجماعة وهبناه لجميع من صلى الجمعة خلف الإمام فيقول الله تعالى يا ملائكتي هل تظهرون عندي سخاوة وعزتي وجلالي قد غفرت اليوم لمن صلى من عبادي صلاة الجمعة امتثالاً لأمري واقتداء بحبيبي محمد (زبدة الواعظين) حكي أن رجلاً حمل حنطة على حمار وذهب إلى الرحى قال فلما أخذت

. . . .

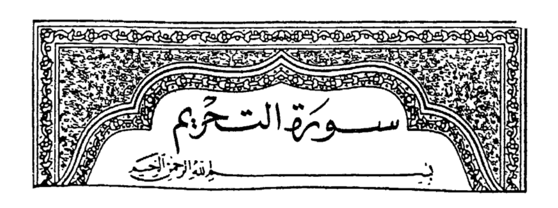
الحنطة عن الحمار هرب مني ولي جار في الأرض جاء فقال النوبة لك اليوم في الماء فاسق أرضك وإلا تفوت نوبتك وكان اليوم يوم الجمعة فقلت لنفسي صلاة الجمعة أحب إليّ من غيرها وتركت الكل وصليت الجمعة ثم رجعت إلى البيت فإذا الحنطة قد طحنت والخبز قد طبخ والأرض قد سقيت والحمار قد رجع إلى البيت فقلت لامرأتي كيف هذه الحالة فقالت ذهب جارنا إلى الرحى فطحن جوالقنا وهو يظنه جوالقه فلما حمله إلى منزله عرفت أنه جوالقنا فأخذته إلى بيتنا وأما الأرض فجاء الماء من أرض الجار فامتلأت فلما رأيت ذلك تركت أمور الدنيا كلها وداومت على العبادات والطاعات (مطالع الأنوار) روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق ملكاً قائماً تحت العرش وله أربعون ألف قرن من القرن إلى القرن مسيرة ألف عام وعلى كل قرن أربعون ألف صف من الملائكة وفي وجهه شمس وعلى قفاه قمر وعلى صدره كواكب فإذا كان يوم الجمعة يسجد لله تعالى ويقول في سجوده اللهم اغفر لمن صلى صلاة الجمعة من أمة محمد عليه السلام ويقول الله تعالى يا ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت لمن صلى صلاة الجمعة » (كنز الأخبار) عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وإذا مشى إليّ الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة فإذا صلى الجمعة كتب له أجر عمل مائتي سنة » الحديث

﴿ حكاية ﴾ كان في زمن مالك بن دينار أخوان مجوسيان عبد أحدهما النار ثلاثاً وسبعين سنة والآخر خمساً وثلاثين سنة ثم قال الأصغر للأكبر يا أخي نعبد النار منذ كذا وكذا سنة تعال نختبرها إن أحرقتنا كسائر االناس لم نعبدها قط وإلا نعبدها إلى الموت فأوقدا ناراً فقال الأخ الأصغر للأكبر أنت تضع يدك في النار أولاً أم أنا أضعها فقال بل أنت تضع يدك تبدأ بها فوضع الأصغر يده فيها فأحرقت يده فقال ويحك ونزع يده وقال لها يا نار أعبدك منذ كذا وكذا سنة فتؤذيني يا ظالمة ثم قال لأخيه الأكبر يا أخي تعال نتركها فقال لا أترك وترك الأصغر وجاء مع عياله إلى باب مالك بن دينار وهو جالس واعظاً وقص عليه القصة وعرض عليه الإسلام وعلى أهل بيته فبكى الناس كلهم فرحاً ثم قال له مالك بن دينار أجلس فينا مع أصحابي أجمع لك من أصحابي شيئاً من أموال الدنيا قال لا أريد أن أبيع الدين بالدنيا ثم انصرف فوجد من خرابات البلدة خربة فدخل فيها مع عياله فعبدوا الله تعالى فلما أصبح قالت امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملاً واشتر به طعاماً فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد فقال في نفسه أعمل لله تعالى فدخل المسجد وصلى إلى الليل ثم رجع إلى منزله صفر اليد فقالت له امرأته ألم تجد شيئاً قال عملت اليوم لواحد وقال أعطيك أجرتك غداً فباتوا جياعاً فلما أصبح ذهب إلى السوق فلم يجد عملاً فعمل لله كذلك ثم رجع إلى منزله صفر اليد وسألته امرأته فأجاب كما أجاب أولاً فباتوا جياعاً فلما أصبحوا كان اليوم يو مالمعة فلم يجد فيها عملاًفذهب

إلى المسجد وصلى ركعتي الجمعة ورفع يده إلى السماء وقال يا رب بحرمة هذا الدين وبحرمة هذا اليوم ارفع حزن نفقة عيالي عن قلبي وإني أستحي من عيالي وأخاف عليهم أن يرجعوا إلى دين أخي الأكبر لغلبة الجوع عليهم فلما دخل وقت الظهر جاء شخص على باب تلك الخربة وقرع الباب فخرجت امرأته فإذا هو شاب حسن الوجه بيده طبق من ذهب مغطى بمنديل فقال لها خذي هذا وقولي لزوجك هذا أجرة عملك لله تعالى في يوم الجمعة فإن العمل القليل في هذا اليوم كثير عند الله أجراً فأخذت الطبق فكشفت غطاءه فإذا فيه ألف دينار فأخذت ديناراً واحداً وذهبت إلى الصراف فوزنه الصراف فزاد وزنه على ذهب الدنيا مثلين فنظر الصراف إلى نقشه فعلم أنه ليس من دنانير الدنيا فقال لها من أين وجدت هذا فقصت عليه القصة فقال لها اعرضي علي الإسلام فعرضته عليه فأسلم فدفع إليها ألفاً من ذهب الدنيا فلما صلى الشاب الجمعة جاء إلى منزله صفر اليد فوضع في منديله شيئاً من التراب وقال في نفسه لو سألتني امرأتي فقالت ما فعلت أقول فعلت بالدقيق فلما دخل إلى بيته وجد فيه ريح الطعام فوضع المنديل عند الباب لئلا تشعر هي ثم سألها عما رأى في البيت فقصت عليه القصة فسجد لله تعالى شكراً لما جاء من عند الله تعالى (هذه حكاية مختصرة من الحديث الأربعين) روي أن موسى عليه الصلاة والسلام ذهب إلى جبل بيت المقدس فرأى قوماً يعبدون الله تعالى بالجد والسعي فسألهم فقالوا نحن من أمتك نعبد الله تعالى هنا منذ سبعين سنة بالجد والسعي ، لباسنا لباس الصبر وطعامنا نبات الأرض وشرابنا ماء المطر ففرح موسى عليه السلام بذلك فأوحى الله تعالى إليه يا موسى لأمة محمد يوم فيه ركعه خير من هذا كله فقال يا رب أي يوم هو ؟قال يوم الجمعة فتمنى موسى عليه االسلام ذلك اليوم فقال الله تعالى يا موسى يوم السبت لك ويوم الأحد لعيسى والاثنين للخليل والثلاثاء لزكريا والأربعاء ليحي والخميس لآدم والجمعة لمحمد ولأمته فتعجب موسى عليه السلام من فضل هذه الأمة (زبدة الواعظين) عن النبي عليه السلام أنه قال : « أتاني جبرائيل عليه السلام وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه يوم الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمتك بعدك وفي وسط المرآة نقطة فقلت ما هذه النقطة ؟ قال هي ساعة من أربع وعشرين ساعة فمن دعا الله تعالى في تلك الساعة استجاب الله دعاءه وهو سيد الأيام » (زبدة الواعظين) روي عن النبي عليه االصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم الجمعة يبعث الله تعالى الملائكة على وجه الأرض وفي أيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة يقفون على أبواب المساجد ويكتبون اسم من دخل المسجد وصلى الجمعة فإذا فرغوا من الصلاة يرجعون إلى السماء فيقولون يا ربنا كتبنا اسم من دخل المسجد وصلى الجمعة فيقول الله تعالى : يا ملائكتي وعزتي وجلالي إني قد غفرت لهم وما عليهم شيء من ذنوبهم » (رونق المجالس) قال عليه السلام : « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنه ومن راح

. . . .

في الساعة الثانية كأنما قرّب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام إلى المنبر طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الخطبة فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة . ويقال إن الناس يكونون في القرب عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة ولذا قيل أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة ولذا جاء في الأثر إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة ويقولون : اللهم إن كان ما أخره فقراً فأغنه وإن كان مرضاً فأشفه وإن كان شغلاً ففرغه لعبادتك وإن كان لهواً فأمل قلبه إلى طاعتك » . وكانت الطريق في القرن الأول بعد الفجر مملؤة من الناس يمشون بالسرج ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيام العيد حتى انقطع ذلك (زبدة الواعظين) .



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿ وَأَهْلِيْكُمْ ﴾ بالنصح والتأديب وقريء أهلوكم عطفاً على واوقوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلتين على تغليب المخاطبين ﴿ نَاراً وُقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةِ ﴾ ناراً تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب ﴿ عَلَيْهَا ملائكَةٌ ﴾ تلي أمرها وهم الزبانية ﴿ غِلاَظٌ شِدَادٌ ﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال او غلاظ الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿ لاَ يَعْصُوْنَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ ﴾ فيما مضىٰ ﴿ ويَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴾ فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به. (قاضي بيضاوي).

روي عن النبي عليه السلام قال ليردنّ على حوضي يوم القيامة أقوام لا أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي (شفاء شريف) وفي الخبر أن العبد إذا بكى من خشية الله تعالى حتى خرج من عينيه دموع خلق الله من تلك الدموع شجرة يقال لها شجرة السعادة فإذا هبت عليها ريح الخوف والحزن خرج منها صوت يقول وامحمداه فيردّ الله ذلك النداء إلى رسوله عليه السلام في قبره فيبكي لأمته فيخلق الله من دموع عينيه شجرة يقال لها شجرة الشفاعة فإذا هبت عليها ريح النبوة والرسالة يخرج منها صوت يقول : واأمتاه فيردّ الله ذلك الصوت على السماوات فيسمع الملائكة فيسجدون لله ويبكون ويتضرعون ويقولون : واأمة محمداه فيسمع الله بكاءهم وتضرعهم ويقول يا ملائكتي ما يبكيكم ؟ فيقولون ربنا أنت تعلم ببكائنا وتضرعنا لأمة محمد فيقول الله تعالى يا ملائكتي اشهدوا أني قد غفرت لمن بكى من خشيتي من أمة محمد (حياة القلوب) قيل المراد من الناس هم الكفار والحجارة الجهال الذين لا يقبلون النصيحة والحجارة جمع حجر على غير القياس والقياس فيه الأحجار كالأشجار جمع.

. . . .

شجر (تفسير النسفي) وقيل المراد من الحجارة هي الأصنام التي عبدوها من الشجر والحجر لقوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ وإنما جعل التعذيب بها ليتحقق عند أهل الأصنام أنها ليست بلائقة للعبادة وليروا ذلتها ومهانتها بعد اعتقادهم عزها وعظمتها وإدخال الأصنام فيهالا لتعذيبها بل لتعذيب الكفار بها وما به من العذاب لا يكون له العذاب كما قال الله ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ﴾ الآية أدخلت الأموال في جهنم ليعذب بها مانع الزكاة والعذاب لأهل المال لا للمال (من تفسير النسفي) حكي أن زكريا عليه السلام كان اذا جلس للعظة يلتفت يميناً وشمالاً فإذا لم ير ابنه يحي عليه السلام ذكر آيات العذاب وإذا رآه لم يذكر شيئاً من آيات العذاب شفقة لابنه لعدم تحمله استماع النار فجلس يومًا للعظة فنظر للقوم ولم ير ابنه لكثرة الناس وكان يحي قد لف رأسه في مدرعته في وسط الناس فذكر زكريا عليه السلام آيات النار وهو يبكي فقال حدثني جبرائيل أن في جهنم جبلاً يقال له سكران وفي أصله واد يقال له غضبان خلق من غضب الرحمن وفي ذلك الوادي جباب من النار عمق كل جب مسيرة مائتي عام وفي تلك الجباب توابيت من النار وفي تلك التوابيت سلاسل وأغلال فلما سمع يحي عليه السلام قام مسرعاً وخرج وهو ينادي آه من السكران آه من الغضبان فوثب زكريا عليه السلام وامرأته وخرجا في أثره فلم يجداه فرأيا راعياً فقالا هل رأيت شاباً كذا وكذا فقال لعلكم تطلبان يحي قالا نعم تركته في عقبة وهو يقول لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أعلم أمنزلي في الجنة أم في النار فرأياه وهو ينادي فقالت أمه يا ابني بحق ما حملتك في بطني كذا وأرضعتك من ثديي كذا أقبل علينا واذهب معنا إلى المنزل فأقبل فانطلق إلى المنزل وقال له أبوه إن لي إليك حاجة تنزع هذه المدرعة وتلبس هذه الجبة ففعل ذلك فطبخت له أمه مرقة من عدس فأكل فأخذه النوم فنام فنودي في نومه يا يحي وجدت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري فقام فزعا باكياً فقال ردوا عليّ مدرعتي وخذوا جبتكم علمت أنكم تريدون هلاكي فقال زكريا عليه السلام دعوا ابني يعمل لنفسه لعله ينجو من النار فلما اشتدت عبادته أوحى الله تعالى إلى زكريا عليه السلام إني قد حرمت عليكم النار ثم اطمأنت قلوبهم وازدادوا في عبادة الله كما قال الله في حقهم (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) (ذخر العابدين) وروي في الخبر أن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى مالك خازن جهنم بأن يأخذ من النار فيأتي بها إلى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعامه فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار قال جبرائيل قدر تمرة فقال مالك لو أعطيتك ما تريد لذاب سبع السموات وسبع الأرضين من حرها فقال جبرائيل نصفها وقال مالك لو أعطيتك ما تريد لم ينزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ثم نادى

جبرائيل إلهي كم اخذ من النار قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها فأخذ مقدار ذرة وغسلها في سبعين نهراً من أنهار الجنة سبعين مرة ثم جاء بها إلى آدم عليه السلام فوضعها على شاهق جبل من الجبال فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها وبقي دخانها في الأحجار إلى يومنا هذا فهذه النار من دخان تلك الذرة فاعتبروا يأيها الاخوان (دقائق الأخبار) قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « إن أهون أهل النار عذاباً أن يعذب الرجل وله نعلان من النار يغلي منهما دماغه كأنه مرجل على جمر يشتعل منه لهب النار ويخرج حشاء بطنه من قدميه وإنه ليرى أنه من أشد أهل النار عذاباً وهو من أهون أهل النار » (دقائق الأخبار) حكي عن منصور بن عمار أنه قال كنت أطوف في سكة من سكك الكوفة في ليلة مظلمة فإذا سمعت صوتاً في منزل من منازلها يقول إلهي بعزتك وجلالك لا تنظر إلى معصيتي واغفر ذنبي واقبل عذري فإن لم تقبل عذري فكيف يكون حالي فلما سمعت هذا قرأت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾ الآية فسمعت صوتاً وحركة شديدة ثم سكنت الحركة فلم أسمع بعدها أثر الحياة فمضيت فلما أصبحت رجعت من الطريق الذي جئت منه فإذا رأيت القوم في ذلك المكان يبكون وعجوز تبكي وهي أم الميت تقول لا يجازي الله قاتل ابني خيراً وهو من تلاوة آية العذاب وهو قائم يصلي في المحراب فلما سمعها لم يتحمل قلبه حتى صاح وخر ميتاً فلما سمعت هذا وكنت مغتماً ورأيته تلك الليلة في المقام العالي فقلت له ما فعل الله بك قال فعل بي ما فعل بشهداء أحد وبدر قلت فكيف هذا قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الغفار (مشكاة الأنوار) وروي عن عبدالله بن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « إن في النار حيات وعقارب مثل أعناق الإبل فتلسع أحداً من أهل النار لسعة يجد حرارتها أربعين خريفاً » (دقائق الأخبار) حكي أن شيخاً كان يمشي على شط نهر فرأى صبياً يتوضأ وهو يبكي فقال الشيخ يا صبي ما يبكيك فقال الصبي قرأت القرآن حتى جئت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾ الآية فخفت أن يلقيني الله في النار قال الشيخ يا صبي أنت معصوم ولا تخف ، إنك لا تستحق النار فقال الصبي يا شيخ أنت عاقل ألا ترى أن الناس إذا أوقدوا ناراً لحاجتهم وضعوا أولاً صغار الحطب ثم وضعوا الكبير فبكى الشيخ بكاء شديداً وقال إن الصبي أخوف منا من النار فكيف يكون حالنا فاعتبروا يا أولي الألباب لم لا تبكي على نفسك المرهونة بالنار والموت راكب على عنقك والقبر منزلك والقيامة موقفك والخصماء أقوياء والقاضي الجبار والمنادي جبرائيل والسجن جهنم والسجان الزبانية وأنت لا تصبر على حر الشمس فكيف تصبر على حر النار ولا تصبر على لدغ البراغيث فكيف تصبر على لسع الحيات والعقارب (جامع الجوامع) روي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « سمعت ليلة المعراج هدة فقلت

لجبرائيل ما هذه الهدة قال حجر ألقي في السعير منذ سبعين خريفاً والآن انتهى إلى قعرها » كما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كنا مع رسول الله عليه السلام فسمعنا صوتاً مهيباً قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاماً والآن انتهى إلى قعرها » (زبدة الواعظين) وحكي أن عابداً عبد الله تعالى مدة ثم يوماً من الأيام توضأ وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده فقال إلهي تقبل مني فنادى مناد من قبل الرحمن لا تنطق فإن طاعتك مردودة فقال العابد لم ذلك يارب قال المنادي إن امرأتك فعلت فعلاً مخالفاً لأمري وأنت راضي عنها فجاء العابد وسأله عن حالها فقالت ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة فقال العابد أنت طالق مني فإني لا أقبلك أبداً فطلق امرأته وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع رأسه ويده وقال اللهم تقبل مني فنودي الآن قد قبلت طاعتك (عيون) روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال عليه السلام : « تعوذوا بالله من جب الحزن قيل يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ جهنم منه كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين » (زبدة الواعظين) قال منصور بن عمار بلغني أن لمالك خازن النار يداً بعدد أهل النار مع كل رجل يد تقيمه وتقعده وتغله بسلسلة فإذا نظر إلى النار أكل بعضها من خوف مالك . وحروف البسملة تسعة عشر وعدد الزبانية كذلك سموا بذلك لأنهم يفعلون بأرجلهم كما يفعلون بأيديهم فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف بإحدى رجليه وعشرة آلاف بيده الأخرى ويأخذ بالرجل الأخرى كذلك فيرمي أربعين ألف كافر مرة واحدة بما فيه من قوة وشدة وأميرهم مالك خازن النار وثمانية عشر مثله وهم رؤساء ملائكة النار تحت كل ملك منهم من الخزنة ما لا يحصى عددهم إلا الله أعينهم كالبرق الخاطف وأسنانهم كبياض قرن البقر وشفاههم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين كتفي كل واحد منهم مسيرة سنة واحدة لم يخلق الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة مقدار ذرة يهوى أحدهم في بحار النار مقدار أربعين سنة فلا تضره النار لأن النور لا يتأثر من النار وتجيء الزبانية بجماعة من عصاة أمة محمد فيقول مالك للزبانية ألقوهم في النار فإذا ألقوهم في النار نادوا بأجمعهم لا إله إلا الله فترجع عنهم النار فيقول مالك يا نار خذيهم فتقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا إله إلا الله فيقول مالك نعم بذلك أمر رب العرش العظيم فتأخذهم فمنهم من تأخذ إلى قدميه ومنهم من تأخذ إلى ركبتيه ومنهم من تأخذ إلى سرته ومنهم من تأخذ إلى حلقه فإذا هوت النار إلى الوجوه يقول مالك لا تحرقي وجوههم فطال ما سجدوا للرحمن ولا تحرقي قلوبهم فطال ما عطشوا من شدة رمضان (دقائق الأخبار) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنهَارُ ﴾ ذكر بصيغة الإطماع جرياً على عادة الملوك وإشعاراً بأنه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي ان يكون بين الخوف والرجاء ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النبي ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ عطف على النبي إحماداً لهم وتعريضاً لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره ﴿ نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ اي على الصراط ﴿ يَقُوْلُوْنَ ﴾ إذا طفىء نور المنافين ﴿ رَبَّنا إِتممْ لَنَا نُورَنَا واغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شيء قَدِيْرٌ ﴾ وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً (قاضي).

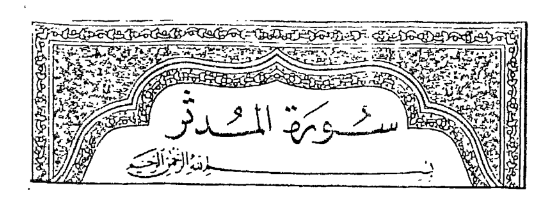
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من صلى عليّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) وعن النبي ﷺ أنه قال : « التوبة عن الذنب كالصابون على الثوب . قيل تمام التوبة يحصل بثمانية اشياء الندم على ما سلف من الذنب وقضاء الفرائض ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي وإصلاح المأكول والمشروب » (موعظة) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « أتدرون من التائب قلنا الله ورسوله أعلم قال عليه السلام من تاب ولم يتعلم العلم فليس بتائب ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب ومن تاب ولم يرض الخصماء فليس بتائب ومن تاب ولم يغير لباسه وزينته فلبس بتائب ومن تاب ولم يبدل أصحابه فليس بتائب ومن تاب ولم يغير خلقه فليس بتائب ومن تاب ولم يطو فراشه وبساطه فليس بتائب ومن تاب ولم يتصدق أي ولم يتصدق بفضل ما في يده فليس بتائب فإذا استبان من العبد هذه الخصال فهو تائب حقاً » . وعن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا قال العبد إني أخاف من النار ولم يكف عن الذنوب فهو كذاب عند الله غير تائب وإذا قال العبد إني أشتاق إلى الجنة ولم يعمل لها فهو كذاب غير تائب وإذا قال العبد إني أحب النبي

عليه السلام من غير اتباع السنة فهو كذاب غير تائب وإذا قال العبد إني أشتاق إلى معانقة الحور ولم يقدم لها مهراً فهو كذاب غير تائب فإن التائب حبيب الله وحبيب رسول الله كما قال الله تعالى ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (زبدة الواعظين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال التوبة النصوح الندم على مامضى والإقلاع في الحال عنه والعزم على أن لا يعود أبداً وقال الله تعالى ﴿ إنما التوبة ﴾ أي الرجوع عن المناهي ﴿ على الله ﴾ على ليس للإيجاب كما قال المعتزلة لأنه لا وجوب على الله في شيء بل بمعنى عند ﴿ للذين يعملون السوء ﴾ أي المعصية ﴿ بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ أي بزمان قريب قبل حضور سكرات الموت ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ أي يقبل توبتهم ولذا قال عليه السلام : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ﴿ وكان الله عليماً حكيماً ﴾ عالماً بأهل التوبة حاكماً بقبولها وقال عليه السلام : « إن الله يقبل التوبة من العبد ما لم يغرغر قبل توبته » (مصابيح) والغرغرة تردّد الروح في الحلق فقرب الموت لا يمنع قبول التوبة ما لم يعاين أحوال الآخرة وفيها لا تقبل توبة المسوّفين والمنافقين كما لا يقبل إيمان الكافرين حال اليأس كإيمان فرعون كما قال الله تعالى ﴿ وليست التوبة ﴾ أي لا يقبل الله التوبة ﴿ للذين يعملون السيئات ﴾ أي الذنوب غير الشرك مصرين عليها ﴿ حتى إذا حضر أحدهم الموت أي وقع في سكرات الموت سوى علامات الموت فإن التوبة تقبل عند العلامات لأن فيها لا يعاين أحوال الآخرة ﴿ قال إني تبت الآن ﴾ من ذنوبي يعني لا تقبل التوبة ثمة لأنه في حالة اليأس دون الأختيار ﴿ ولا الذين ﴾ أي لا يقبل إيمان الذين ﴿ يموتون وهم كفار ﴾ كما لا يقبل إيمانهم بعد البعث أو في القبر ﴿ أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ قال صاحب الكشاف سوّت هذه الآية بين الذين سوّفوا توبتهم إلى أن حضر الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنهم لا توبة لهم قال عليه السلام : « هلك المسوفون والمسوف هو الذي يقول سوف أتوب وكذا قال الله تعالى ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ يعني ذنوبه ويؤخر توبته قال عليه السلام ﴿ إذا تاب المؤمن كتب الله تعالى له بكل يوم مر عليه في فسقه عبادة سنة وأعطاه ثواب شهيد ويتوج يوم القيامة بألف تاج وفتح له في قبره باب إلى الجنة ويقوم يوم القيامة ملك عن يمينه وملك عن شماله وملك من بين يديه وملك من خلفه يبشرونه بالجنة قال عليه السلام إذا مات شاب تائب يرفع الله العذاب عن مقابر المسلمين أربعين عاماً لكرامته على الله ﴾ (خالصة) حكي أنه دخل عمر بن الخطاب على النبي عليه السلام وهو يبكي فقال له ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله إن في الباب شاباً قد أحرق فؤادي بكاؤه فقال عليه السلام أدخله عليّ فأدخله عمر وهو يبكي فسأله النبي عليه السلام عن بكائه فقال يا رسول الله أبكاني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان عليّ فقال عليه السلام أأشركت بالله شيئاً

قال لا قال عليه السلام أقتلت نفساً بغير حق قال لا قال عليه السلام إن الله يغفر ذنوبك ولو كانت ملء السموات السبع والأرضين السبع فقال يا رسول الله ذنبي أعظم من السموات السبع والجبال الرواسي قال عليه السلام أذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم قال عليه السلام أذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال عليه السلام أذنبك أعظم أم الله يعني غفران الله ورحمته قال بل الله أعظم وأجل قال عليه السلام أخبرني عن ذنبك قال أستحي منك يا رسول الله قال عليه السلام لا تستحي مني أخبرني عن ذنبك قال يا رسول الله إني كنت رجلاً نباشاً منذ سبع سنين حتى ماتت بنت من بنات الأنصار فنبشت قبرها وأخرجتها من كفنها وغلبني الشيطان فرجعت إليها وجامعتها فقالت لي البنت أما تستحي من ديوان الله يوم يضع كرسيه للقضاء ويأخذ حق المظلوم من الظالم وقد تركتني عريانة في عسكر الموتى وأوقفتني جنباً بين يدي الله فوثب رسول الله أي قام بسرعة فقال عليه السلام له اخرج عني فخرج الشاب باكياً تائباً نحو الصحراء لم يأكل شيئاً ولم يشرب ولم يتم سبعة أيام حتى ذهبت طاقته وسقط في موضع ووضع وجهه على التراب ساجداً يقول إلهي أنا عبدك المذنب المخطىء جئت إلى باب رسولك ليشفع لي عندك فلما سمع عظم خطيئتي طردني عن بابه وأخرجني من عنده فجئت اليوم إلى بابك لتكون شفيعاً لي عند حبيبك فإنك رحمن إلى عبيدك ولم يبق رجائي إلا بك وإلا فأرسل ناراً من عندك وأحرقني بها في دنياك قبل أن تحرقني في آخرتك ثم جاء جبرائيل عليه السلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو السلام ومنه السلام وإليه يرجع السلام فقال يقول الله تعالى لك بعثت إليك عبدا من عبادي وأظهر لك ذنباً فأعرضت عنه أشد الإعراض بسبب ذنب واحد فكيف يكون حال المذنبين غداً إذا جاؤوا بذنوب «كالجبال العظام أنت رسولي أرسلتك رحمة للعالمين فكن للمؤمنين رحيماً وللمذنبين شفيعاً واعف عن زلة عبدي فإني قد غفرت له لصدق توبته ثم بعث رسول الله عليه السلام رجالاً من أصحابه فوجدوه وبشروه بالعفو والغفران وجاءوا به إلى رسول الله فوجده في صلاة المغرب فاقتدوا به فلما قرأ سورة الفاتحة وضم إليها ألهيكم التكاثر إلى أن قال حتى زرتم المقابر صاح الشاب صيحة وسقط فلما أتموا الصلاة وجدوا الشاب قد مات وفارق الدنيا رحمه الله (مشكاة الأنوار) روي عن النبي عليه السلام عن الخليل عليه السلام أنه قال : « ذات يوم يا كريم العفو فقال جبرائيل عليه السلام أتدري ما كريم العفو قال لا قال إذا عفي عن عبد لم يرض بذلك حتى يبدل سيآته حسنات كما قال الله تعالى ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ (نكتة) أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر وقتاً من الأوقات في سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئاً فقال له عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان خمراً فاستحى

. . . .

الشاب أن يقول خمراً وقال في سره إلهي إن لم تخجلني عند عمر ولم تفضحني وسترتني عنده فلا أشرب الخمر أبداً وقال يا أمير المؤمنين الذي أحمله خل فقال عمر أرني حتى أراه فكشفها بين يديه فرآها عمر وقد صارت خلاً نقيعاً فاعتبروا أيها الإخوان حيث أن مخلوقاً تاب من خوف عمر وهو أيضاً مخلوق فبدل الله تعالى خمره لخل فلو تاب العاصي المفلس المذنب عن الأعمال الفاسدة خوفاً من الله تعالى فبدل الله تعالى خمر سيآته خل الطاعات لا يكون عجباً من لطفه وكرمه لقوله تعالى ﴿ فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ (من أساس الدين) وفي الحديث جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال أخطأت يا رسول الله فما الحيلة قال عليه السلام : « التوبة فإن التوبة تغسل الحوبة » (كذا في خالصة الحقائق) .



﴿ كُلُّ نفسٍ بِمَا كَسَبْتْ رهِينة ﴾ مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين ﴿ إلاَّ أَصْحَابَ اليَمِينِ ﴾ فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أو الأطفال ﴿ فِي جَنَّاتٍ ﴾ لا يكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله ﴿ يَتَسَاءَلُوْنَ عَنِ المُجْرِمِيْنَ ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعوناه وقوله ﴿ مَا سَلككمْ فِي سَقَرٍ ﴾ بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين أجابوا بها ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِن المُصَلِّينَ ﴾ الصلاة الواجبة ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المِسْكِينَ ﴾ ما يجب إعطاؤه وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وَكُنَّا نَخُوض مَعَ الخَائِضِينَ ﴾ نشرع في الباطل مع الشارعين فيه ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيوْمِ الدِّيْنِ ﴾ اخره لتعظيمه أي كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة ﴿ حَتَّى أَتَانَا اليَقِين ﴾ الموت ومقدماته ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ لو شفعوا لهم جميعاً (قاضي بيضاوي) .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه » . روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل يا رسول الله وما إخلاصها قال تحجره عن محارم الله (تذكرة القرطبي) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه السلام : « إذا جمع الخلائق يوم القيامة اذن لأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في السجود فيسجدون فيسبحون فيه طويلاً ثم يقال ارفعوا

رؤ وسكم فقد جعلنا أعداءكم فداءكم من النار » . عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن هذه الأمة مرهونة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع الله تعالى إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار » (رواه مسلم) وعن أبي بردة أنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا فداؤك من النار » ، وفي رواية أخرى لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً الحديث (تذكرة القرطبي) قال ﷺ : « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد والرغبة فيها تتعب القلب والبدن » (طريقة محمدية) قال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد إلا واحد من أهل بلخ قدم علينا فقال لي يا أبا يزيد ما حدّ الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال تفعل هذا كلاب بلخ قلت فما حد الزهد عندكم فقال إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (مكاشفة القلوب) قال علية السلام : « من بات في طلب الحلال أصبح مغفوراً له قال عليه السلام لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت أي من الحرام وكل جسم نبت من سحت فالنار أولى به » (مكاشفة القلوب) إعلم أن علامة السعادة إحدى عشرة خصلة إحداها أن يكون زاهداً في الدنيا وراغباً في الآخرة . والثانية أن تكون همته في العبادة تلاوة القرآن والثالثة أن يكون قليل القول فيما لا يحتاج إليه . والرابعة أن يكون محافظاً على الصلوات الخمس . والخامسة أن يكون ورعاً فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات . والسادسة أن تكون صحبته مع الصالحين . والسابعة أن يكون متواضعاً غير متكبر . والثامنة أن يكون سخياً كريماً . والتاسعة أن يكون رحيماً بخلق الله تعالى . والعاشرة أن يكون نافعاً للخلق . والحادية عشر أن يكون ذاكراً للموت كثيراً (تنبيه الغافلين) وعلامة الشقاوة أيضاً إحدى عشرة . أولاها أن يكون حريصاً على جمع المال . والثانية أن تكون همته في الشهوات ولذات الدنيا . والثالثة أن يكون فاحشاً في القول ومكثاراً للغيبة . والرابعة أن يكون متهاوناً بالصلوات الخمس . والخامسة أن تكون صحبته مع الفجار والسادسة أن يكون سيء الخلق . والسابعة أن يكون مختالاً فخوراً . والثامنة أن يكون مانعاً لمنفعة الناس . والتاسعة أن يكون قليل المرحمة للمؤمنين . والعاشرة أن يكون بخيلاً . والحادية عشر أن يكون ناسيا للموت يعني أن الرجل إذا كان ذاكراً للموت فإنه لا يمتنع عن إطعام الطعام ويرحم المسلمين والمسلمات (تنبيه الغافلين) وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « علامة الشقاوة أربعة نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله تعالى محفوظة وذكر الحسنات الماضية ولا يدري أقبلت أم ردّت والنظر إلى من فوقه في الدنيا والنظر إلى من دونه في الدين » (منهاج المتعلم) روي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله تعالى عليه وسلم : « ايما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساه الله من خضرة

لباس الجنة وايما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلماً سقاه الله تعالى من رحيق مختوم » (مصابيح) حكي أنه كان في بني إسرائيل عابد وهو يعبد الله تعالى في الليل ويبيع متاعه إلى الخلائق في النهار ويقول يا نفسي اتق الله تعالى وكان يوماً قد خرج من داره ليبيع متاعه وجاء إلى باب الأمير ونادى باسم متاعه فرأت زوجة الأمير في بابها رجلا تاجراً حسن الوجه ما رأت مثله ومالت نفسها إليه فدعت ذلك التاجر إلى دارها فقالت يا تاجر إني عاشقة لك ولي مال كثير ولباس حرير فاترك متاعك القليل وانزع لباسك والبس اللباس الحرير وخذ المال الكثير فمالت نفسه إلى هذا الكلام فقال يا نفسي اتق الله ثم قال إني أخاف الله رب العالمين فقالت والله لا أفتح الباب حتى تسلم نفسك إليّ فقال التاجر يا نفسي اتق الله ثم تفكر ساعة في النجاة منها ثم قال يا زوجة الأمير أمهليني إلى أن أتوضأ وأصلي ركعتين فتوضأ وارتقى فوق الدار ثم صلى ركعتين فوقها ونظر إلى الأرض فرأى الأرض بعيدة مقدار عشرين ذراعاً ثم نصب عينيه إلى السماء وناجى ربه باكياً فقال إني عبدتك منذ سبعين سنة خلصني من شرها وإلا آتيك معها ثم قال يا نفسي اتق الله يا نفسي اتق الله فرمى نفسه من فوق الدار في الحال فقال الله تعالى لجبرائيل خذ بيد عبدي فقد رمى نفسه من خوف عقابي قبل نزوله إلى الأرض فنزل بسرعة فأخذه قبل نزوله إلى الأرض كأخذ الأم ابنها وأقعده على الأرض كالطير ثم ذهب إلى داره خالصاً من شرها وفرحاً من خلاصه وأتى أهله جائعاً شديداً وباكياً حزيناً وقعد عندهم فجاء رجل من جيرانه يستقرض منه خبزاً فقال العابد والله لا خبز لنا منذ أيام وإن شئت فانظر إلى التنور فنظر المستقرض إليه فإذا هو قد رأى فيه خبزاً مطبوخاً فأخبر العابد فأكلوا منه فتعجب أهله وقالت له هذه الكرامة منك لا مني فما سره ؟ فكشف العابد سره وشكروا الله تعالى شكراً كثيراً كما قال الله تعالى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (زبدة الواعظين) روي عن النبي عليه السلام أنه قال إذا قامت القيامة وقام الناس والجن والملك صفوفاً يجيء أطفال المسلمين فيكونون صفاً وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام اذهب وأدخل أطفال المسلمين في الجنة فيجيئون إلى بابها ويقفون فيه ويقولون أين آباؤنا وأمهاتنا وإن دخول الجنة بغير آبائنا وأمهاتنا ليس بمناسب فتقول الملائكة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأنهم عصوا ربهم واتبعوا أنفسهم وشياطينهم واستوجبوا النار فإذا سمع الأطفال هذا المقال صاحوا صيحة عظيمة وبكوا بكاء كثيراً وحينئذ يقول الله تعالى العليم العلام يا جبرائيل ما هذه الصيحة فيقول جبرائيل عليه السلام هي صيحة أطفال المسلمين يقولون لا حاجة لنا إلى الجنة ولا تحسن لنا لذات الجنان بغير آبائنا وأمهاتنا ونرجو من الله أن يعفو عنهم ويهب ذنوبهم لنا ويدخلهم معنا الجنة وإلا فليدخلنا معهم النار فحينئذ يقول الله لجبرائيل عليه السلام اذهب

. . . .

واجلب آباءهم وأمهاتهم في أي مكان كانوافسلمهم إلى أطفالهم لأني قد غفرت ذنوبهم بشفاعتهم وأدخلهم معهم الجنة فإذا سمعوا هذا الكلام من الله تعالى فرحوا وسروا ووجدوا آباءهم وأمهاتهم وأخذوا أيديهم ودخلوا الجنة معهم ، هذا فحوى الحديث ، ذكر ابن المبارك رحمه الله عن ابن صالح الكلبي رحمه الله أنه قال في قوله تعالى ﴿ الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾قال الله لأهل النار وهم في النار اخرجوا فيفتح لهم أبواب النيران فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم وذلك قوله تعالى ﴿ فاليوم الله يستهزىء بهم ﴾ ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم وذلك قوله تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ قال ابن المبارك رحمه الله أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ قال ذكر لنا أن كعباً يقول إن بين الجنة والنار كوي فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا اطلع عليه من بعض الكوي كما قال الله تعالى في آية أخرى ﴿ فاطلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ قال ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي (تذكرة القرطبي) روي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « سلط على أهل النار الجوع وعذاب الجوع يكون عليهم أشد من سائر العذاب فيبكون ويطلبون الطعام فتطعمهم الزبانية ضريعاً وهو حشيش في البرية إذا أكله الجمل يقف في حلقومه فيموت فإذا أكل أهل النار ذلك الضريع يقف في حلقومهم فيطلبون ماء فيؤتون بمشربة من ماء حميم فإذا قربوا المشربة إلى افواههم تقع لحوم وجوههم على المشربة من شدة حرارة ذلك الماء فإذا شربوا قطعت أمعاؤهم في بطونهم فينظرون ويتضرعون إلى الزبانية فتقول الزبانية لهم : ألم يأتكم نذير في الدنيا ؟ فيقولون بلى ولكن لم نسمع كلام الرسل ولم نصدقهم فتقول الزبانية الآن لا يفيدكم الجزع والتضرع ثم يتضرعون إلى مالك فلم يجبهم ألف سنة فإذا تم الألف يقول مالك لهم إنكم ماكثون فيها ثم يتضرعون إلى الله تعالى ويقولون ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾ التي كتبت علينا فلم نهتد ﴿ وكنا قوماً ضالين ﴾ عن الهدى ﴿ ربنا أخرجنا منها ﴾ من النار ﴿ فإن عدنا ﴾ فعلنا معصية مما تكره ﴿ فإنا ظالمون ﴾ أي كنا من الظالمين يعني إن فعلنا معصية بعد ذلك فأدخلنا النار وعذبنا بنوع من عذاب جهنم ثم يأتي الخطاب من الله بعد ألف سنة ﴿ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ أي اسكتوا فيها ولا تكلموني في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم لأنها ليست مقام سؤال فعند ذلك ييأسون ويذلون ويبعدون وبعد ذلك لا يقدرون على التكلم وتكون أصواتهم زفيراً وشهيقاً ويكونون محرومين من جميع الخيرات » (تفسير يس) .



﴿ يُنَبَّؤُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أو بما قدم عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر فخلفه أو بأول عمله وآخره ﴿ بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها ووصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الأنباء ﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالمناكير فإن قياسه معاذر وذلك أولى فيه نظر (قاضي بيضاوي).

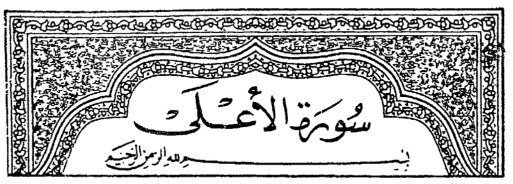
روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من عسرت عليه حاجته فليكثر من الصلاة عليّ ، فإنها تكشف الهموم والغموم الكروب وتكثر الأرزاق وتقضي الحوائج ، وعن بعض الصالحين أنه قال كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ، قلت بمَ ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم محمد عليه الصلاة والسلام في كتاب صليت عليه فأعطاني ربي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ﴿ من درئل الخيرات ﴾ قوله ﴿ ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ أي من عمله لا يحتاج إلى أن ينبئه غيره لأنه على نفسه حجة ﴿ تفسير ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما للميزان كفتان إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ﴿ تبصرة ﴾ وقال عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ﴿ بخاري ﴾ وقال عليه السلام ﴿ من سن سنة حسنة ﴾ يعني في الإسلام فهو مقتدي به في هذه السنة ﴿ فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ يعني كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له

أجرها ﴿ ومن سن سنة سيئة ﴾ فهو مقتدى به في هذه السنة السيئة ﴿ فعليه وزرها ووزر من عمل بها ﴾ يعني من أتى بعده بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزرها ﴿ بخاري ﴾ وعن معاذ بن جبل قال لا تزول قدماً عبد حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ﴿ تنبيه الغافلين ﴾ قال الله تعالى في سورة فصلت ﴿ حتى إذا جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾ قال داود عليه السلام يا رب إني أريد أن أشاهد الصراط والميزان في دار الدنيا فقال الله تعالى يا داود اذهب إلى واد كذا فأذهب الله الحجاب عنه حتى رأى الصراط والميزان على الصفة التي جاءت في الأخبار فبكى داود عليه السلام بكاء شديداً وقال إلهي من يقدر من عبادك أن يملأ كفة الميزان بالحسنات فقال الله تعالى فوعزتي وجلالي من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة بالاعتقاد عبر على الصراط كالبرق الخاطف ومن «تصدق بمثل تمرة لأجلي يملأ الميزان والميزان أعظم من جبل قاف (مشارق الأنوار) قال الله تعالى في سورة يس ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ﴾ أي الأموات عند البعث ﴿ ونكتب ما قدموا ﴾ من الأعمال من خير وشر ﴿ وآثارهم ﴾ أي ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة قال صلى الله عليه وآله وسلم : « علامة الشقاوة أربعة نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله محفوظة وذكر الحسنات الماضية ولا يدري أقبلت أم ردت والنظر إلى من فوقه في الدنيا وإلى من دونه في الدين يقول الله تعالى أردته فلم يردني فتركته (منهاج المتعلم) قال صلى الله عليه وآله وسلم لئن يتصدق المرء في حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم عند موته » (مصابيح)قوله ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾ أي خطاهم إلى المسجد . روي عن أبي سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله ونكتب ما قدموا وآثارهم . عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تعرى حول المدينة فقال يا بني سلمة ألا تحبون آثاركم ؟ فأقاموا . عن أبي موسى الأشعري أنه قال قال عليه السلام : « أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم ممشى والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام » ﴿ وكل شيء أحصيناه ﴾ أي حفظناه وعددناه وبيناه ﴿ في إمام مبين ﴾ وهو اللوح المحفوظ (تفسير معالم) ويقال إن الله تعالى يحتج بأربعة أشخاص على أربعة أجناس يوم القيامة يحتج على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام فيقول الغني يا رب كنت غنياً شغلني عن عبادتك غناي فيقول الله لم تكن أغنى من سليمان فلم يمنعه غناه عن عبادتي ويحتج على العبيد «بيوسف عليه السلام فيقول العبد يا رب كنت عبداً والرق منعني عن عبادتك فيقول الله تعالى

له إن يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتي ويحتج على الفقراء بعيسى عليه السلام فيقول الفقير يا رب إن حاجتي منعتني عن عبادتك فيقول الله تعالى له أأنت أحوج أم عيسى لم يمنعه فقره عن عبادتي ويحتج على المرض بأيوب عليه السلام فيقول المريض يارب المرض منعني عن عبادتك فيقول الله تعالى له أمرضك أشد أم مرض أيوب ولم يمنعه ذلك عن عبادتي ؟ فلا يكونّ لأحد عند الله عذر يوم القيامة (تنبيه الغافلين) قيل ساعات الليل والنهار أربع وعشرون فالإنسان متنفس في كل ساعة مائة وثمانين نفساً ففي الليل والنهار يتنفس أربعة آلاف وثلاثمائة وعشرين نفساً وفي كل نفس يسأل بسؤالين وقت الخروج ووقت الدخول يعني أي عمل عملت في خروج النفس ودخوله (روضة العابدين) فإذا علمت هذا ينبغي للعالم الزاهدأن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر . كما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول ﷺ : « عذب أهل قرية وفيها ثمانية عشر ألف عابد عامل أعمالهم أعمال الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ذلك فقال عليه السلام لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » . فكل من شاهد منكراً من أحد ولم ينهه فهو شريك له فيه كالمستمع للغيبة فهو شريك مع المغتاب وكذا كل المعاصي مثلاً من جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وإن لم يشرب . وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قلنا يا رسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله وألا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله قال : « بل مروا بالمعروف وإن لم تفعلوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله فلفاعل المنكر النهي عن المنكر حتى لا يجتمع إثمان كما يقال خذوا أقوال العالم السوء ولا تأخذوا فعله لأن قوله من الحق وفعله من الشيطان . حكي أن رجلاً قال لأبي القاسم الحكيم ما بال علماء زماننا لا يتعظ الناس بمواعظهم كما يتعظ السلف فقال إن علماء السلف كانوا أيقاظاً وكان الناس نياماً فينبه الأيقاظ النيام وعلماء زماننا نيام والناس موتى فكيف يحيى النيام الموتى كما يقال مكتوب في التوراة من يزرع الخير يحصد السلامة وفي الإنجيل من يزرع الشر يحصد الندامة وفي الفرقان من يعمل سوءاً يجز به . حكي عن عكرمة أن رجلاً مر على شجرة تعبد من دون الله فغضب عليها فأخذ فأساً فركب حماره وتوجه إلى الشجرة ليقطعها فلقيه إبليس في صورة إنسان فقال له أين تذهب قال شجرة تعبد من دون الله وعهدت عهداً أن أقطعها فقال له إبليس عليه اللعنة مالك ولها دع قطعها فلم يدع فتخاصما فصرع إبليس ثلاث مرات فلما عجز إبليس عنه قال له ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فقال الرجل أتفعل ذلك فقال نعم فرجع إلى منزله فلما رجع إلى سجادته صار يجد تحتها كل يوم أربعة دراهم إلى ثلاثة أيام فلما أصبح بعد ذلك لم يجد شيئاً فأخذ الفأس وركب حماره وتوجه نحو الشجرة فقام إبليس على تلك الصورة وقال له أين تريد ؟ قال أريد قطع تلك الشجرة فقال إبليس لا

تطيق ذلك فتخاصما فصرعه إبليس لعنه الله ثلاث مرات فتعجب الرجل فقال بأي سبب أنت غالب عليّ وكنت غالباً عليك قبل ؟ قال إبليس عليه اللعنة نعم كان خروجك أول مرة لله تعالى فلو اجتمع أعواني كلهم عليك لا يقاومونك . وأما الآن فإنما خرجت حيث لم تجد الدراهم تحت سجادتك فلا جرم كنت غالباً عليك فارجع وإلا أضرب عنقك فرجع الرجل وترك قطع الشجرة (زبدة الواعظين) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه (هذا الحديث من حسان المصابيح) .

والعبد المذكور فيه وإن كان عاماً لكونه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفاً فلا بد لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش في الحساب ، ويطالب بمثاقيل الذر من أفعاله وأعماله وأنه تعالى لا ينجيه من هذه الأخطار إلا بلزومه محاسبة النفس في تجارتها لآخرتها ومطالبتها في أنفاسها وساعاتها حركاتها وسكناتها فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يخفف عليه يوم القيامة حسابه ويحضر عند السؤال جوابه ويحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقفاته ويقوده إلى الخزي والمقت سيئاته فإذا لا بد للمؤمن أن لا يغفل في تجارته لآخرته عن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها لأن هذه التجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » (مجالس الرومي) .



﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تزكى ﴾ تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاة أو تطهر للصلاة أو أدىٰ الزكاة ﴿ وَذَكَرَ اسمَ رَبِّه ﴾ بقلبه ولسانه ﴿ فَصَلَّى ﴾ كقوله تعالى أقم الصلاة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل من تزكىٰ تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلَّى صلاته ﴿ بَلْ تُؤْثِرُوْنَ الحَيٰوةَ الدنيا﴾ فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في الجملة ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبقىٰ ﴾ فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ﴿ إنَّ هٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح فإنه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة ﴿ صُحُفِ إبراهِيْمَ وَمُوسىٰ ﴾ بدل من الصحف الأولى قال النبي عليه السلام من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على إبراهيم وموسىٰ ومحمد عليهم السلام (قاضي بيضاوي)

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد الدرجة الثانية فقال آمين ثم صعد الدرجة الثالثة فقال آمين ثم استوى فجلس فقال له معاذ بن جبل صعدت فأمنت ثلاث مرات فما حكمته يا رسول الله قال أتاني جبرائيل فقال يا محمد من أدرك شهر رمضان ولم يصم إلى آخره ولم يغفر له دخل النار فأبعده الله منها قل آمين فقلت آمين وقال من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات دخل النار فأبعده الله منها قل آمين فقلت آمين وقال من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده الله منها قل آمين فقلت آمين (زبدة) قيل ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾ يعني بر الوالدين كقوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من ترك الميل إلى الظلمة كقوله تعالى ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من ترك الغيبة كقوله تعالى ﴿ ولا يغتب

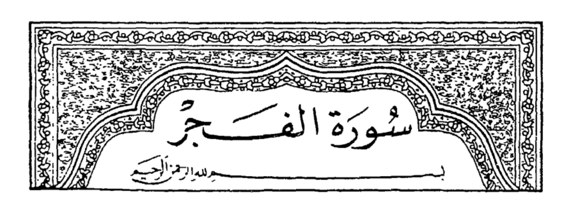
بعضكم بعضاً ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من ترك محبة الدنيا كقوله تعالى ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من ذكر الله كثيراً كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من صبر على المصيبة كقوله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني من تطهر ظاهره وباطنه كقوله تعالى ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني بتلاوة القرآن كقوله تعالى ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني بإخلاص عمله كقوله تعالى ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ وقيل قد أفلح من تزكى يعني نهى النفس عن الهوى كقوله تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (شيخ زاده) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى يا ملائكتي كل عامل يطلب أجره وعبادي الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أني قد غفرت لهم فينادي مناد يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيآتكم بالحسنات فيقول الله تعالى يا عبادي صمتم لي وأفطرتم لي فقوموا مغفوراً لكم » (زبدة الواعظين) عن النبي عليه السلام أنه قال : « رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخرة عتق من النيران » ، وقال عليه السلام : « إن الله يعتق في كل ساعة من رمضان من الليل والنهار ستمائة ألف عتيق من النار ممن استوجبه العذاب إلى ليلة القدر وفي ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر وفي يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق في الشهر وليلة القدر »، (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك عن النبي عليه السلام أنه قال : « صوم العبد معلق بين السماء والأرض حتى يؤدي صدقة الفطر وإذا أدى صدقة الفطر جعل الله له جناحين أخضرين يطير بهما إلى السماء السابعة ثم يأمر الله تعالى أن يجعل في قنديل من قناديل العرش حتى يأتي صاحبه » (زبدة) قال أنس بن مالك للمؤمن خمسة أعياد . الأول كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد . والثاني اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد . والثالث اليوم الذي يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ويخلص من أيدي الخصوم والزبانية فهو يوم عيد . والرابع اليوم الذي يدخل فيه الجنة ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد . والخامس اليوم الذي ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد (أبو الليث) وعن وهب بن منبه أنه قال قال عليه السلام : « إن إبليس عليه اللعنة يصيح في كل يوم عيد فيجتمع أهله عنده فيقولون يا سيدنا من أغضبك أنا نكسره فيقول لا شيء ولكن الله تعالى قد غفر لهذه

الأمة في هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وشرب الخمر حتى يبغضهم الله ، فعلى العاقل أن يمنع نفسه في يوم العيد عن الشهوات والمناهي ويداوم على الطاعات ولذا قال عليه السلام اجتهدوا يوم الفطر في الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة والتسبيح والتهليل فإنه اليوم الذي يغفر الله تعالى فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة » (درة الواعظين) حكي أن صالح بن عبدالله كان إذا كان يوم الفطر ذهب إلى المصلى فرجع بعد أداء الصلاة إلى داره وجمع أهله وعياله عنده وجعل على عنقه سلسلة من حديد وهال الرماد على رأسه وجسده وبكى بكاء شديداً فقالوا يا صالح هذا يوم العيد يوم السرور فما حالك هذا فقال عرفت ذلك ولكن أنا عبد أمرني ربي أن أعمل عملاً له فعملت فلا أدري أقبله أم لا وكان يجلس في طرف المصلى فقيل له لم لا تجلس في وسط المصلى قال جئت سائلاً للرحمة وهذا مجلس السائلين (زبدة الواعظين) قال عليه السلام : « إذا كان يوم الفطر يبعث الله الملائكة فيهبطون إلى الأرض في كل البلاد فيقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله اشهدوا يا ملائكتي أني قد جعلت ثوابهم على صيامهم رضائي ومغفرتي ويقال إن الحكمة في عيد الدنيا تذكرة لعيد الآخرة فإذا رأيت الناس بعضهم يذهب مشاة وبعضهم ركباناً وبعضهم لابساً وبعضهم عرياناً وبعضهم يلبس أطلساً وبعضهم لاعباً ضاحكاً وبعضهم باكياً فاذكر سير القيامة فإنه كذلك كما قال الله تعالى ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ وقال الله تعالى ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً وقال الله تعالى ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ ولذا قيل إن الأعياد مصيبة للأيتام ولبعض أصحاب الأموات . حكي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه خرج لصلاة العيد والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في مقابلتهم وعليه ثياب بذلة وهو يبكي فقال النبي عليه الصلاة والسلام له : « أيها الصبي مالك تبكي فلا تلعب معهم » فلم يعرفه الصبي فقال مات أبي بين يدي رسول الله في غزوة كذا وتزوجت أمي وأكلت أموالي وأخرجني زوجها من بيتي وليس لي طعام ولا شراب ولا ثياب ولا بيت فلما نظرت اليوم إلى الصبيان ذوي الآباء أخذتني مصيبة أبي فلذلك أبكي فأخذ رسول الله بيده فقال : « يا صبي هل ترضاني أن أكون لك أباً وعائشة أماً وعلياً عماً والحسن والحسين أخوين وفاطمة أختاً لك » فعرف الصبي أنه رسول الله فقال لم لم أرض يا رسول الله فحمله النبي عليه السلام إلى منزله وألبسه أحسن الثياب وأشبعه وزينه وطيبه فخرج الصبي ضاحكاً مستبشراً فلما رآه الصبيان قالوا له كنت قبل هذا الآن تبكي فما بالك صرت الآن مسروراً فقال كنت جائعاً فشبعت وكنت عارياً فلبست وكنت يتيماً فكان رسول الله أبي وعائشة أمي والحسن والحسين أخواي وعلي

عمي وفاطمة أختي أفلا أفرح فقال الصبيان يا ليت آباءنا قتلوا في سبيل الله في تلك الغزوة فنكون كذلك فلما توفي النبي عليه السلام خرج الصبي وهو يحثو التراب على رأسه فاستغاث وقال الآن صرت غريباً ويتيماً فضمه أبو بكر الصديق إلى نفسه رضي الله عنه (زبدة) صدقة الفطر واجبة عملاً لا اعتقاداً على الحر المسلم المالك لنصاب فاضل عن الحوائج الأصلية وإن لم يكن نامياً وبه تحرم الصدقة وتجب الأضحية عن نفسه وولده الصغير الفقير وعبده للخدمة ولو كان كافراً وكذا مدبرة وأم ولده لا عن زوجيه وولده الكبير وطفله الغني بل من مال الطفل والمجنون كالطفل ولا عن مكاتبه ولا عن عبيده للتجارة ووقت أداء صدقة الفطر قبل صلاة العيد . روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه نسي زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعل كفارته عتق رقبة ثم جاء إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله نسيت زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعلت كفارته عتق رقبة فقال عليه السلام : « لو أعتقت يا عثمان مائة رقبة لم تبلغ ثواب زكاة الفطر قبل صلاة العيد » (زبدة الواعظين) قيل الركوع واحد والسجدة اثنتان مع أن كلاهما فرض لأن الركوع أدعى للعبودية والسجدتان شاهدان فكما لم يقبل الركوع إلا بالسجود فكذلك لا يقبل الصوم إلا بصدقة الفطر فإنها شاهدة عليه (زبدة الواعظين) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من أعطى صدقة الفطر كان له عشرة أشياء . الأول يطهر جسده من الذنوب . والثاني يعتق من النار . والثالث يصير صومه مقبولاً كما قال الحسن البصري إن صدقة الفطر للصوم كسجدة السهو للصلاة فكما تجبر سجدة السهو كل ما وقع في الصلاة فكذا الصوم يجبر بصدقة الفطر كل ما وقع في الصلاة والتراويح لأن الحسنات يذهبن السيئات . والرابع توجب الجنة . والخامس يخرج من قبره آمناً . والسادس يقبل ما عمل من الخيرات في تلك السنة . والسابع تجب له شفاعة يوم القيامة . والثامن يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والتاسع يرجح ميزانه من الحسنات . والعاشر يمحو الله تعالى اسمه من ديوان الأشقياء » (شيخ زاده) وندب إخراجها قبل صلاة العيد ولا تسقط بالتأخير وهي نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو شعير والزبيب كالبر وعندهما كالشعير والصاع ثمانية أرطال ودفع قيمة ذلك أفضل وعليه الفتوى لأنه أدفع لحاجة الفقير (ملتقى الأبحر) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله . يجب إخراج صدقة الفطر على الكبير والصغير سواء كان صحيحاً أو مجنوناً عندهما وعند محمد وزفر لا يجب على الصغير والمجنون ولو كان له داران دار يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها ويؤجرها يعتبر قيمتها مائتي درهم ويجب عليه صدقة الفطر وكذلك لو كان له دار واحدة

. . . .

يسكنها وفضل عن سكناه بها شيء يعتبر قيمة الفضل وكذلك في الثياب والأثاث » (محيط البرهاني) .



﴿ وَالفَجْرِ ﴾ أقسم بالصبح أو فلقه كقوله تعالى والصبح إذا تنفس أو بصلاته ﴿ وَليالٍ عَشْرٍ ﴾ عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرىء وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام ﴿ وَالشَّفْعِ والوَتْرِ ﴾ والأشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق كقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق هو الله لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر الأربعة والافلاك أو البروج والسيارات أو شفع الصلوات ووترها أو بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعاً أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد او مدخلاً في الدين أو مناسبة لما قبلها أو أكثر منفعة موجبة للشكر ﴿ وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ إذا يمضي كقوله تعالى والليل إذا أدبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسري فيه من قولهم صلّى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً ﴿ هَلْ فِي ذٰلِكَ ﴾ القسم أو المقسم به ﴿ قَسَمٌ ﴾ حلف أو محلوف له ﴿ لِذِي حِجرٍ ﴾ يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية وحصاة من الإحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف الآية (قاضي)

وعن الحسن بن علي أنه قال إذا دخلت المسجد فسلم على النبي فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيث

كنتم فإن صلاتكم تبلغني » . وفي حديث أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه السلام : « أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة عليّ » . وعن سلمان بن سحيم رحمه الله أنه قال رأيت النبي في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال عليه السلام : « نعم وأرد عليهم » (شفاء شريف) قال بعض العلماء من صام هذه الأيام أكرمه الله بعشرة أشياء البركة في عمره والزيادة في ماله والحفظ في عياله والتكفير لسيئاته والتضعيف لحسناته والتسهيل لسكرات موته والضياء في قبره والتثقيل لميزانه والنجاة عن دركات النيران والصعود على درجات الجنان ؛ روي أن الله اختار من السنة ثلاث عشرات العشر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر وعشر الأضحى لما فيه من يوم التروية ويوم عرفة والأضاحي والتلبية والحج وأنواع المناسك كما جاء في الخبر إن الله تعالى يباهي ملائكته فيقول انظروا إلى عبادي حيث جاؤوا من كل فج عميق شعثا غبرا ليشهدوا منافع لهم اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم وعشر لهم وعشر المحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء ولورود هذه الآثار وأمثالها قال الفقهاء رحمهم الله لو قال رجل لله على أن أصوم أفضل الأيام في سنتي هذه بعد رمضان يجب عليه العشر الأول من ذي الحجة لأن الأيام الفاضلة من السنة هذه الأيام وفي الخبر من صام يوم عرفة من ذي الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين سنة وكتبه الله من القانتين (زبدة الواعظين) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال عليه العلام : « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى أفضل من هذه الأيام يعني أيام عشر ذي الحجة قالوا أولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع بذلك » . وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أيام أحب إلى الله أن يعبد فيها أفضل من عشر ذي الحجة يعدل صوم كل يوم منها صيام سنة وقيام كل ليلة منها قيام ليلة القدر » .

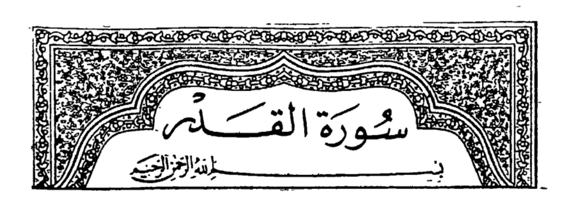
وفي الخبر إن موسى عليه السلام قال يا رب دعوت فلم تجب دعوتي فعلمني شيئاً أدعوك به فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إذا دخل أيام العشر من ذي الحجة قل لا إله إلا الله أقضي حاجتك قال يا رب كل عبادك تقولها قال يا موسى من قال لا إله إلا الله في هذه الأيام مرة لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى لثقلت ورجحت هذه المقالة عليهن جميعاً . وروي عن ابن عباس عن النبي عليه السلام أنه قال : « اليوم الذي غفر الله فيه لآدم عليه السلام أول يوم من ذي الحجة من صام ذلك اليوم غفر الله له كل ذنب واليوم الثاني استجاب الله فيه دعاء يونس عليه السلام فأخرجه من بطن الحوت من صام ذلك اليوم كان كمن عبدالله تعالى سنة لم يعص الله في عبادته طرفة عين واليوم الثالث اليوم الذي استجاب الله فيه دعاء زكريا عليه السلام من صام ذلك اليوم

. . . .

استجاب الله دعاءه واليوم الرابع اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام من صام ذلك اليوم نفى الله عنه البأس والفقر فكان يوم القيامة مع السفرة البررة الكرام واليوم الخامس اليوم الذي ولد فيه موسى عليه السلام من صام ذلك اليوم بريء من النفاق وأمن من عذاب القبر واليوم السادس اليوم الذي فتح الله تعالى لنبيه فيه الخير من صامه ينظر الله إليه بالرحمة فلا يعذب بعده أبداً واليوم السابع اليوم الذي تغلق فيه أبواب جهنم ولا تفتح حتى تمضي أيام العشر من صام فيه أغلق الله عليه ثلاثين باباً من العسر وفتح له ثلاثين باباً من اليسر واليوم الثامن اليوم الذي يسمى يوم التروية من صامه أعطى من الأجر ما لم يعلمه إلا الله تعالى واليوم التاسع اليوم الذي هو يوم عرفة من صامه كان كفارة لسنة ماضية وسنة مستقبلة وهو اليوم الذي أنزل فيه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ واليوم العاشر هو يوم الأضحى من قرّب قرباناً فيه فبأول قطرة قطرت من دمه غفر الله له ذنوبه وذنوب عياله ومن أطعم فيه مؤمناً أو تصدق فيه بصدقة بعثه الله تعالى يوم القيامة آمناً ويكون ميزانه أثقل من جبل أحد » (مجالس) حكي عن سفيان الثوري أنه قال كنت أطوف بمقابر المسلمين في البصرة من ليالي ذي الحجة فإذا رأيت نوراً في قبر رجل وقفت متفكراً فإذا نودي بصوت عال يقول يا سفيان عليك بصيام عشر ذي الحجة يعطى لك نور مثل هذا (زبدة الواعظين) وقال النبي عليه السلام : « من صام اليوم الأخير من ذي الحجة واليوم الأول من المحرم فقد ختم السنة الماضية وفتح السنة القابلة بالصوم وجعل الله تعالى له كفارة خمسين سنة » . عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « ما من يوم يعتق الله تعالى فيه من النار أكثر مما يعتق في يوم عرفة » كذا في (زبدة لواعظين) خذ ما آتيتك ولا تكن من الجاهلين . قال عليه السلام : « أفضل ما قلت أنا وما قال الأنبياء قبلي في هذه العشرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال عليه السلام ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله أفضل من عشر ذي الحجة فقيل يا رسول الله ولا رمضان فقال بل العمل في رمضان أفضل ولكن هذه الأيام حرمتهن أعظم » (موعظة) قوله والشفع والوتر عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال الشفع يوم التروية ويوم عرفة والوتر يوم العيد وعن قتادة ومجاهد أنهما قالا الشفع هو الخلق كلهم والوتر هو الله وقد قال الله تعالى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ معناه ليعلموا أن الله تعالى واحد . وعن الحسن أنه قال الشفع هو أربع صلوات الفجر والظهر والعصر والعشاء والوتر هو صلاة المغرب أقسم الله تعالى بالصلوات الخمس التي يصليها أهل الإسلام وقال بعضهم الشفع يوم الخميس ويوم الإثنين والوتر يوم الجمعة أقسم الله بهذه الأيام الثلاثة لفضلها وشرفها على سائر الأيام وقال بعضهم الشفع رجب وشعبان والوتر رمضان أقسم الله تعالى بهذه الشهور لشرفها وفضائلها على سائر

. . . .

الشهور وقال بعضهم الشفع آدم عليه السلام وحواء رضي الله تعالى عنها والوتر محمد عليه السلام أقسم الله تعالى بهم لكثرة فضلهم وشرفهم ﴿ والليل إذا يسر ﴾ قال بعض العلماء هي ليلة المزدلفة أقسم الله تعالى بها لفضلها وشرفها لسير الحجاج فيها وقال الشيخ أبو سعيد هي ليلة المعراج يدل عليه قوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ الآية (تفسير حنفي) والفجر أي الأول على أن يكون الفجر اسما بمعنى الصبح أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق والثاني أن يكون مصدراً بمعنى خروج الصبح بفلقه الظلام أي بشقه يقال فلقت الشيء فلقا شفقت أقسم الله به لما يحصل من انقضاء الليل لظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (شيخ زاده) ﴿ وليال عشر ﴾ أي عشر ذي الحجة أقسم به لأنه أيام الاشتغال بنسك الحج وأعماله والحج المبرور من أفضل الأعمال لكفارته ذنوب العمر وفي الخبر ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام هذه العشر ، ولما فسر الليالي العشر بعشر ذي الحجة قيل المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر يوم عرفة أو فجر يوم النحر أقسم بفجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات للوقفة أو أقسم بفجر يوم النحر لأنه يوم عظيم يأتي فيه الإنسان بالقربان (شيخ زاده) ﴿ والشفع والوتر ﴾ والأشياء كلها شفعها ووترها على أن يكون الشفع والوتر معاً كناية عن جميع الأشياء من حيث إن شيئاً ما من أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها جواهرها وأعراضها لا يتصوّر كونه خالياً عنهما فالقسم بهما قسم بجميع الأشياء بهذا الطريق وكذا إذا جعل الشفع كنايةً عن جميع المخلوقات لأنه تعالى خلق من كل شيء زوجين ذكراً وأنثى ناطقاً وصامتاً عالماً وجاهلاً قادراً وعاجزاً حاراً وبارداً رطباً ويابساً فلكياً وعنصرياً إلى غير ذلك وجعل الوتر كناية عن الخالق لأنه فرد ولا تعدّد فيه . وقال بعض المتكلمين لا يجوز أن يقال الوتر هو الله تعالى إذ لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع من يقول : « الله تعالى ورسوله ، فنهاه عنه فقال قل الله ثم رسوله » (شيخ زاده) .



﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بأن أسند انزاله إليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل عليه السلام ينزل به على النبي عليه السلام نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى إنا أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان .ولعلها السابعة منها والداعي إلى إخفائها ان يحي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم، وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي عن النبي عليه السلام أنه ذكر إسرائيلياً لبس السلاح وغزا في سبيل الله ألف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالْرُّوحُ فِيْهَا ﴾ أي في ليلة القدر ﴿ بِإذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو إلى سماء الدنيا أو تقرهم إلى المؤمنين ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ اي من أجل كل أمر من الخير والبركة قدر في تلك السنة إلى القابل وقرىء من كل امرىء اي من أجل كل إنسان ﴿ سَلَامٌ ﴾ خبر مقدم ﴿ هِيَ ﴾ أي ليلة القدر مبتدأ مؤخر اي ما هي إلاّ السلامة اي لا يقدر الله فيها إلاّ السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء أو

ما هي الإسلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾ اي وقت مطلعه أي طلوعه وقرىء بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق (قاضي) .

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة » . روي عن أبي عبدالله بن أبي حفص الكبير قال مات وراق بالكوفة فرآه عالم في المنام فقال له ما فعل الله بك يا ورّاق ؟ قال غفر لي ربي فقال بماذا ؟ فقال بإلحاق الصلوات عقيب اسم النبي عليه السلام فمن يكتب صلواته بالقرطاس يجد الغفران فكيف لا يغفر الله تعالى لقائلها لساناً وقلباً (كما في الزبدة) قيل عظم الله القرآن بثلاثة أوجه . الأول بأن اسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به دون غيره . والثاني جاء بالضمير دون الاسم الظاهر شهادة له بالنباهة في رفعة القدر لكمال الشرف . والثالث رفع مقدار الوقت الذي أنزل فيه (كشاف) وإنما سميت ليلة القدر قدراً لأن فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله تعالى ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا أن الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم إياه وليس المراد منه أن يحدثه في تلك الليلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل . قيل للحسين بن الفضل أليس أنه قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال بلى قيل فما معنى ليلة القدر ؟ قال سوق المقادير إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر (تفسير لباب) وإنما سميت ليلة القدر لأنها قدرت فيها الأمور والأحكام كلها من تلك السنة إلى السنة القابلة تم يسلم المدبرات دفتر الرحمة ودفتر العذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودفتر النباتات والأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ودفتر الأمطار والرياح إلى إسرافيل عليه السلام ودفتر قبض الأرواح وانقضاء الآجال إلى عزرائيل عليه السلام لقوله تعالى ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ أو القدر بمعنى الضيق لأن الأرض تضيق تلك الليلة لكثرة نزول الملائكة عليها (مشكاة الأنوار) قيل سبب نزول الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر أنهم لما قالوا ﴿ أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ أظهر أن الأمر خلاف ما قالوا وبين حال المؤمنين فنزلوا يسلمون عليهم ويستغفرون لهم ويعتذرون مما قالوا ويدعون ويستغفرون لهم ﴿ بخاري ﴾ وسبب نزول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ذكر جبرائيل عليه السلام عند النبي ﷺ عبداً يقال له شمعون الغازي وهو غزا الكفار ألف شهر وكان سلاحه لحى جمل وليس له غيرها من آلة حرب وكلما ضرب الكفار بهذا اللحى قتل ما لا يحصى عددهم فإذا عطش يخرج من موضع الأسنان ماء عذب فيشربه وإذا

. . . .

جاع ينبت منه لحم فيأكله فكان على هذا كل يوم حتى مضى من عمره ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر فعجز الكفار عن رده فقالوا لامرأته وهي كافرة إنا نعطيك أموالاً كثيرة إن قتلت زوجك قالت أنا لا أقدر على قتله قالوا نعطيك حبلاً شديداً فشدي به يديه ورجليه في نومه ونحن نقتله فشدته المرأة في نومه فاستيقظ فقال من شدني فقالت أنا شددت لأجربك فجذب يده فقطع الحبل ثم جاء الكفار بسلسلة فشدته المرأة بها فاستيقظ فقال من شدني قالت أنا شددت لأجربك فجذب يده فقطع السلسلة ثم قالت كالأولى فقال يا امرأتي أنا ولي من أولياء الله تعالى لا يغلب على شيء من أمر الدنيا إلا شعري هذا وكان له شعر طويل فسمعت امرأته فلما نام قطعت ذوائبه في حال نومه وكانت له ثماني قطع من شعر رأسه وكلها تجرّ على الأرض فشدت بأربع ذوائب منها يديه وبالأربع الأخرى رجليه في نومه فاستيقظ فقال من شدني قالت أنا شددت لأجربك فجذب جذاباً شديداً فلم يقدر على قطعها فأخبرت امرأته الكفار فجاؤ واوذهبوا به إلى مذبحهم وكان فيه عمود فأوثقوه على ذلك العمود فقطعوا أذنيه وعينيه وشفتيه ولسانه ويديه ورجليه وكلهم يجتمعون في ذلك البيت فأوحى الله تعالى إليه أي شيء تريد بهم أصنعه فقال أريد أن تعطيني من القوة حتى أحرك عمود هذا البيت فينهدم عليهم فقواه الله وحرك نفسه فوقع السقف عليهم وأهلكوا جميعاً وامرأته معهم فانجاه الله تعالى منهم وردّ الله عليه جميع اعضائه فبعد ذلك عبد الله ألف شهر مع قيام ليلها وصيام نهارها وضرب بالسيف في سبيل الله فبكى أصحاب النبي عليه السلام اشتياقاً لذلك فقالوا يا رسول الله هل تدري ثوابه فقال عليه السلام : « لا أدري فأنزل الله جبرائيل عليه السلام بهذه السورة وقال يا محمد أعطيتك وأمتك ليلة القدر العبادة فيها أفضل من عبادة شمعون ألف شهر ، وقال بعضهم قال الله تعالى يا محمد ركعتان في ليلة القدر خير لك ولأمتك من ضرب السيف ألف شهر في زمان بن إسرائيل ﴿ سنانية ﴾ وقيل سبب نزولها أنها لما دنا وفاة النبي عليه السلام وقرب فراقه عن أمته بكى رسول الله وحزن وقال إذا خرجت من الدنيا فمن يبلغ سلام الله على أمتي واغتم قلبه عليه الصلاة والسلام ففرح الله قلبه بقوله ﴿ تنزل الملائكة والروح ﴾ حتى يبلغوا سلامي ولا أمنع عنهم فلا تحزن يا حبيبي »

(موعظة) قال الإمام الرازي : فإذا طلع الفجر في ليلة القدر نادى جبرائيل يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل فيقولون يا جبرائيل ما صنع الله بالمسلمين في هذه الليلة من أمة محمد عليه السلام فيقول لهم إن الله تعالى نظر إليهم بالرحمة وعفا عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر قالوا من هؤلاء الأربعة ؟ قال مدمن الخمر وعاق الوالدين وقاطع الرحم والمشاحن يعني المصارم وهو الذي لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام (زبدة الواعظين) عن ابن عباس عن النبي عليه السلام أنه قال : « من صلى في ليلة القدر ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة والإخلاص

سبع مرات فإذا سلم يقول ﴿ أستغفر الله وأتوب إليه ﴾ سبعين مرة فلا يقوم من مقامه حتى غفر الله له ولأبويه ويبعث الله تعالى ملائكة إلى الجنان يغرسون له الأشجار ويبنون القصور ويجرون الأنهار ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ذلك كله » (تفسير حنفي) قال النبي عليه السلام : « إن الله ينزل في كل ليلة القدر رحمة واحدة تصيب جميع المؤمنين من مشرق الأرض إلى مغربها ويبقى منها فيقول جبرائيل عليه السلام يا رب بلغت رحمتك جميع المؤمنين وبقيت فضلة فيقول الله تعالى اصرفها إلى المواليد الذين ولدوا في هذه الليلة فيصرف جبرائيل تلك الرحمة إلى مواليد الكفار وصارت تلك الرحمة لأولاد الكفار خاصة وهي تجرهم إلى دار الإسلام فيموتون بها مؤمنين » ، كما قال موسى عليه السلام في مناجاته إلهي أريد قربك قال الله تعالى قربي لمن استيقظ ليلة القدر . وقال إلهي أريد رحمتك قال الله تعالى رحمتي لمن يرحم المسكين ليلة القدر وقال إلهي أريد الجواز على الصراط كالبرق قال الله تعالى ذلك لمن تصدق ليلة القدر وقال إلهي أريد أن أقعد تحت ظل أشجار الجنة وآكل من ثمارها قال الله تعالى ذلك لمن سبح تسبيحة ليلة القدر وقال إلهي أريد النجاة من النار قال الله تعالى ذلك لمن استغفر الله ليلة القدر إلى الصبح وقال إلهي أريد رضاك قال الله تعالى رضاي لمن صلى ركعتين ليلة القدر (زبدة الواعظين) روي أنه عليه السلام قال أبواب السموات مفتوحة في ليلة القدر ما من عبد يصلي فيها إلا جعل الله تعالى له بكل تكبيرة غرس شجرة في الجنة لو سار الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وبكل ركعة بيتاً في الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وبكل آية قرأها في الصلاة تاجاً في الجنة وبكل جلسة درجة من درجات الجنة وبكل تسليمة حلة من حلل الجنة (زبدة الواعظين) روي في الخبر عن رسول الله عليه السلام أنه قال : « ينزل في ليلة القدر أربعة ألوية الحمد ولواء الرحمة ولواء المغفرة ولواء الكرامة ومع كل لواء سبعون ألف ملك وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله قال عليه السلام من قال في تلك الليلة ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله غفر الله له بواحدة وأنجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض ولواء المغفرة على قبر النبي عليه السلام ولواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة في بيت المقدس وكل واحد منهم يجيء في تلك الليلة على باب المسلمين سبعين مرة ليسلم عليهم » (سنانية) وعن وهب بن منبه أنه قال كان عابد في بني إسرائيل عبد الله تعالى ثلاثمائة سنة ورجا أن يوحي إليه وقد أنبت الله تعالى له نخلة تثمر كل ليلة ما يكفيه وكان قلبه مطمئناً إليها فلم يوح إليه فنودي إني لا أوحي إلى رجل قلبه مطمئن بغيري قال يا رب ما يطمئن به قلبي فقيل بالشجرة التي تأكل منها فقطع تلك الشجرة وشرع في العبادة فقال له ربه إن العبادة في ليلة القدر خير من عبادتك كلها وقال بعض العلماء هنا

نكتة شريفة وذلك أن نوحاً عليه السلام دعا الخلق ألف سنة إلا خمسين عاماً وأنت يا محمد دعوت الخلق ثلاثاً وعشرين سنة وأنت خير من نوح عليه السلام ومدتك القليلة خير من نوح عليه السلام وتوابعك أكثر من توابع نوح عليه السلام فكذا الضارب بالسيف ألف شهر والقائم ألف شهر وإن كان كثيراً فصلاة الركعتين من أمتك وإن كانت قليلة في تلك الليلة أفضل من ذلك كله ليعلم الخلائق أن فضلي ورحمتي على محمد وأمته أفضل من رحمتي على جميع الخلائق (تفسير حنفي) واختلفوا في وقتها فقال بعضهم إنها كانت في عهد رسول الله ثم رفعت وذهب المشايخ إلى أنها باقية إلى يوم القيامة واختلفوا في تلك الليلة فقال بعضهم أول ليلة من رمضان وقال بعضهم ليلة سبعة عشر وقال الأكثر في العشر الأخير من رمضان واتفق عامة الصحابة والعلماء على أنها ليلة سبع وعشرين رمضان ، حكي أن أبا يزيد البسطامي قال رأيت ليلة القدر في عمري مرتين وهي واقعة في ليلة السابع والعشرين ، وذكر في حقائق الحنفي أنه قال إن حروف ليلة القدر تسعة أحرف وقد ذكر الله تعالى لفظ ليلة القدر في ثلاثة مواضع فتكون سبعاً وعشرين والسر في إخفائها على الأمة أن يجتهدوا في العبادات جميع ليالي رمضان طمعاً في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة والصلاة الوسطى في الصلوات الخمس والاسم الأعظم في الأسماء ورضائه في الطاعة ليرغبوا ويجتهدوا في جميعها (مشكاة الأنوار) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من قام ساعة في ليلة القدر قدر ما يحلب الراعي شاة أحب إلى الله من صيام الدهر كله والذي بعثني بالحق نبياً لقراءة آية من القرآن ليلة القدر أحب إلى الله من أن يختم في غيرها من الليالي » . وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قلت يا رسول الله لو وافقت ليلة القدر فما أقول قال قولي . اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني (موعظة) واختلف المفسرون في معنى الروح قال بعضهم هو جبرائيل عليه السلام . وعن كعب الأحبار أن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ينزلون مع جبرائيل عليه السلام في ليلة القدر ومقام جبرائيل في وسطها يدعون للمؤمنين والمؤمنات بخير ولا يترك جبرائيل عليه السلام أحداً من الناس إلا صافحه وعلامة ذلك أن من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فهو من مصافحة جبرائيل عليه السلام وقال بعضهم المراد من الروح هو ملك عظيم لو التقم السموات والأرض لكانت لقمة له لا تراه الملائكة الا في ليلة القدر وينزل لخدمة المؤمنين مع الملائكة ليطلع على أمة محمد عليه السلام ، وقيل طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في ليلة القدر . وقيل خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون وليسوا من الملائكة ولا من الإنس ولعلهم خدام أهل الجنة وقيل هو عيسى عليه السلام إذ الروح اسمه ينزل موافقة للملائكة ليطلع على أمة محمد وقيل هو ملك رجلاه تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش الأعلى وله ألف

. . . .

رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان فينزل تلك الليلة ويستغفر لأمة محمد عليه السلام (تفسير تيسير) وقال بعضهم المراد من الروح الرحمة يبعث الله تعالى جبرائيل مع الرحمة على عبادة الأحياء فتفضل منهم فيقول الله تعالى يا جبرائيل اقسم الباقي على الأموات فيفضل فيقول جبرائيل يا رب قد فضلت رحمتك عنهم ماذا تأمر فيقول الله تعالى يا جبرائيل خزائن رحمتي مملؤة فاقسم الباقي على الكفار في دار الحرب فيقسم جبرائيل على من في علم الله أنه يموت مسلماً (شيخ زاده) .



﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أي الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه السلام أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته او القرآن العظيم ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ فدم على الصلاة خالصاً لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكراً لإنعامه فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر ﴿ وَانْحَرْ ﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ ﴾ إن من أبغضك لبغضه لك ﴿ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف * عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر (قاضي بيضاوي).

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من صلى عليّ تعظيماً لي جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكاً له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت العرش يقول

. . . .

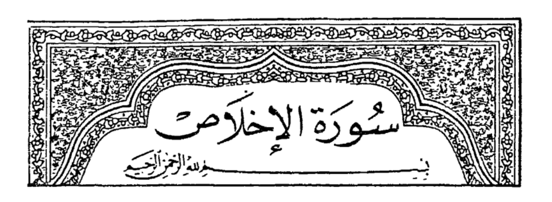
الله تعالى له صل على عبدي كما صلى على نبيي فيصلى عليه إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) روى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال نام النبي عليه السلام نومة خفيفة ثم قام ورفع رأسه متبسماً فقيل ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال نزلت علي آنفاً أي قريباً سورة فقرأ علينا ﴿ إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ﴾ سبب نزولها ما روي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال إن العاص بن وائل بن هشام رأى رسول الله عليه السلام يخرج من المسجد وهو داخل فالتقيا عند الباب وتحدثا وجماعة من قريش في المسجد فلما دخل العاص عليهم قالوا من ذا الذي تحدثه ؟ قال ذلك الأبتر وإنما قال هذا لأن قريشاً سموا محمداً أبتر عند موت ابنه إبراهيم وكان في الجاهلية إذا لم يكن للرجل ولد ذكر يسمونه أبتر فسمع النبي عليه السلام ما قاله العاص فحزن قلبه فأنزل الله تعالى تسلية لقلبه وجواباً لعدوّه . لو عاش ابنك فلا يخلو إما أن يكون نبياً أولا وإن لم يكن نبياً فلا يكون لك فيه شرف وإن كان نبياً فلا تكون أنت خاتم النبيين . وقرنت اسمي باسمك في التوحيد والأذان والإقامة والصلاة وأنت صاحب الكوثر فكيف تكون أنت أبتر (روضة العلماء) وإبراهيم رضي الله عنه مات في حال الرضاع وروي أنه كان طفلاً ابن سبعين يوماً أو زيادة وأبناء الرسول ﷺ ثلاثة القاسم وهو ولد قبل نبؤته عليه السلام وصار إلى العقبى قبل نبؤته في مدة سبعة عشر يوماً على القول الأصح وإبراهيم مرت أقواله آنفاً وعبدالله قالوا اسمه طيب وطاهر وهو ولد بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في مكة ومات في حال صغره .وقال بعضهم : إن طاهراً غير عبدالله . وأما بناته فأربعة : فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهن ولدن كلهن من بطن خديجة سوى إبراهيم فإنه ولد من جارية قبطية اسمها مارية وأولاده عليه السلام كلهم ماتوا قبله غير فاطمة الزهراء وهي ماتت بعد وفاته عليه السلام بستة أشهر وهي أفضل بناته (كذا في شرح البركوى للقنوى) روي أن الكوثر نهر في الجنة وقيل حوض فيها وقيل في الموقف وقيل فضائل كثيرة وقيل المقام المحمود وقيل خلق حسن وقيل رفعة ذكره وقيل هذه السورة وقيل أولاده وأتباعه وقيل علماء أمته وقيل القرآن العظيم وقيل علماء أولاده وقيل ما أوحي إليه مطلقاً وقيل النبوة وقيل أصحابه العظام وقيل تفسير القرآن وقيل تحقيق الشرائع وقيل كثرة أمته وقيل الكرامات الواقعة وقيل الشفاعة الكبرى (شهاب الدين) وجه المقابلة إن الله تعالى وصف المنافقين في السورة المتقدمة بأربعة أمور الأول البخل وهو المراد من قوله تعالى ﴿ الذي يدع اليتيم ولا يحض ﴾ الآية والثاني ترك الصلاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ والثالث الريا في الصلاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿ الذين هم يراءون ﴾ والرابع مانع الزكاة وهو المراد من قوله تعالى ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ فذكر في مقابلة عن صلاتهم ساهون قوله فصل وفي مقابلة

الذين هم يراءون قوله لربك وفي مقابلة الذي يدع اليتيم ويمنعون الماعون قوله وانحر لأن بذل خيار الأموال يقابل البخل وصرفها إلى المحاويج يقابل منع الماعون ﴿ شيخ زاده ﴾ روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من كان له سعة فلم يضح فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً وفي رواية من كان له سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا . » . وعن علي رضي الله تعالى عنه من خرج من بيته إلى شراء الأضحية كان له بكل خطوة عشر حسنات ومحى عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وإذا تكلم في شرائها كان كلامه تسبيحاً وإذا نقد ثمنها كان له بكل درهم سبعمائة حسنة وإذا طرحها على الأرض يريد ذبحها استغفر له كل خلق من موضعها إلى الأرض السابعة وإذا أهرق دمها خلق الله تعالى بكل قطرة من دمها عشرة من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة وإذا قسم لحمها كان بكل لقمة مثل عتق رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ﴿ خواجه زاده ﴾ عن النبي عليه السلام أنه قال لعائشة : « يا عائشة قومي أضحيتك وأشهدي بها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر الله تعالى ما سلف من ذنوبك » فقالت يا رسول الله ألنا خاصة أم للمؤمنين عامة فقال عليه السلام بل لنا وللمؤمنين عامة . وعن وهب بن منبه أنه قال ان داود عليه السلام قال إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد عليه السلام قال ثوابه أن أعطيه بكل شعرة على جسده عشر حسنات وأمحو عنه عشر سيئات وارفع له عشر درجات وله بكل شعرة قصر في الجنة وجارية من الحور العين ومركب من ذوات الأجنحة خطوها مد البصر يركبها أهل الجنة فيطير بها حيث يشاء أما علمت يا داود أن الضحايا هي المطايا وترفع البلايا يوم القيامة ﴿ زهرة الرياض ﴾ حكي عن أحمد بن إسحاق أنه قال كان لي أخ فقير وكان مع فقره يضحي كل سنة بشاة فلما توفي صليت ركعتين فقلت اللهم أرني أخي في نومه فأسأله عن حاله فنمت على الوضوء فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وحشر الناس من قبورهم فإذا أخي راكب على فرس أشهب وبين يديه نجائب فقلت يا أخي ما فعل الله بك فقال غفر لي فقلت ثم فقال بسبب درهم تصدقت به إلى امرأة عجوز فقيرة في سبيل الله فقلت ما هذه النجائب قال ضحاياي في الدنيا والتي أركبها أول أضحيتي فقلت إلى أين قصدت قال إلى الجنة فغاب عن بصري (سنانية) وأما إذا لم يكن للمؤمنين مركب من الأضحية فيكون عمله الصالح مركباً له يخلق الله تعالى من أعماله الصالحة بعيراً يركب عليه إذا خرج من قبره فيتقدم إلى ربه تعالى ﴿ سنانية ﴾ عن أنس وعن علي رضي الله عنهما أنهما قالا قال النبي عليه السلام : « إذا حشر المؤمنون من قبورهم يقول الله تعالى يا ملائكتي لا تمشوا عبادي راجلين بل أركبوهم على نجائبهم فإنهم اعتادوا الركوب في الدنيا كان في الابتداء صلب أبيهم مركبهم ثم بطن أمهم مركبهم فحين ولدتهم أمهم فحجر أمهم مركبهم إلى أن يتم الرضاع

ثم عنق أبيهم مركبهم ثم الفرس والبغال مركبهم في البراري والسفن والزوارق في البحار وحين ماتوا فأعناق إخوانهم حين قاموا من قبورهم لا تمشوهم راجلين فإنهم اعتادوا الركوب وقدموا نجائبهم وهي الأضحية لقوله تعالى » ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ أي ركباناً ولذا قال عليه السلام : « عظموا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم » ﴿ رجبية ﴾ روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « من قرب قرباناً إذا قام من قبره رآه قائماً على رأس قبره فإذا له سرج من الذهب وعيناه من يواقيت الجنة وقرناه من الذهب فيقول من أنت وأي شيء أنت وما رأيت أحسن منك فيقول أنا قربانك الذي قربتني في الدنيا ثم يقول اركب على ظهري فيركب عليه ويذهب به ما بين السماء والأرض إلى ظل العرش » ﴿ رجبية ﴾ قال عليه السلام : « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فهو منا ومن لم يصل صلاتنا ولم يضح فليس منا إن كان غنياً » وقال عليه السلام : « خيار أمتي يضحون وشرار أمتي لا يضحون وقال عليه السلام ألا إن الأضحية من الأعمال المنجية تنجي صاحبها من شر الدنيا والآخرة » (زبدة الواعظين) الأضحية واجبة على كل مسلم مقيم موسر وهو أن يملك نصاباً وهو مائتا درهم أو قيمتها فاضلاً عن الحوائج الأصلية لا يعتبر فيه وصف النماء ولا يعتبر الحولان كالزكاة فإن الزكاة يعتبر فيها الحولان ومن كان فقيراً فوجد المال في أيام الأضحية تجب عليه الأضحية ومن كان غنياً فتلف ماله في أيام الأضحية سقطت عنه الأضحية كذا في الكتب الفقهية . وإنما تجوز الأضحية من أربعة أصناف من الحيوان الإبل والبقر والغنم والماعز ذكورها وإناثها ومن البقر ما تمت له سنتان وطعن في الثالثة ومن الإبل والبقر من واحد إلى سبعة كلهم يريد القربة فلو أراد واحد منهم بنصيبه اللحم أو كان كافراً لا يجوز عن واحد منهم ولم ينقص نصيب أحد منهم ويجوز الجذع والجماء والخصي والثولاء الجذع شاة لها ستة أشهر والجماء هي التي لا قرن لها والثولاء هي المجنونة ولا يجوز العمياء التي ليس لها عينان ولا العرجاء التي تمشي بثلاث قوائم ولا العوراء التي لها عين واحدة ولا العجفاء التي لا مخ في عظمها ولا ما ذهب أكثر من ثلث أذنها أو عينها أو أليتها كذا في الكتب الفقهية . وأول وقتها بعد الصلاة في المصر ولا يذبح قبلها بخلاف القرى وآخره قبل غروب اليوم الثالث والأفضل أن يذبح بنفسه إن قدر وإلا يأمر غيره ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل الذبح (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد بسم الله الله أكبر) فيذبح ثم يصلي ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ألقوا ما في أيديكم من السكين ثم اركعوا ركعتين فإنه ما ركعها أحد وسأل الله شيئاً إلا أعطاه ﴾ ويقول بعد السلام (اللهم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

....

لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) (ضياء الدين) ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين إلى زوالها . وبيان صلاتها . فإذا دخل وقت الصلاة بارتفاع الشمس وخروج وقت الكراهة يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة يكبر تكبيرة الإحرام ثم يضع يديه تحت سرته ويثني ثم يكبر ثلاث تكبيرات يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة قدر ثلاث تسبيحات ويرفع يديه عند كل تكبيرة ويرسلهما في أثنائهن ثم يضعهما بعد الثالثة ويتعوذ ويبسمل ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يكبر ويركع فإذا قام إلى الواجب وهو تكبيرات الزوائد يعني إلى الركعة الثانية يبدأبالقراءة ويفعل هكذا بعد قراءة الفاتحة والسورة ثم يركع ويسجد وتكبيرة هذا الركوع واجبة لمقارنتها إلى الزوائد الثلاث والتكبيرات التسع واحدة منها فرض وهي تكبيرة الافتتاح وواحدة منها سنة وهي تكبيرة الركوع الأول وسبعة منها واجبة وهو الزوائد مع تكبير الركوع الثاني كذا في الكتب الفقهية ﴿ مسألة ﴾ رجل له مائتا درهم فاشترى بعشرين أضحية يوم الثلاثاء مثلاً فهلكت الأضحية يوم الأربعاء وجاء الأضحى يوم الخميس لا يجب عليه أن يضحي لأن الأضحية إنما تجب في يوم الأضحى وهو فقير فيه كذا في فتاوي الواقعات .



﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتدائية وخبره الجملة التي بعده ولا حاجة إلى العائد لأنها هي هو أو لما سئل عنه أي الذي سألتموني عنه هو الله إذ روىٰ أن قريشاً قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا إليه فنزلت هذه الآية ﴿ اللهُ الصَمَدُ ﴾ السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصده وهو الموصوف به على الإطلاق فإنه مستغن غن غيره مطلقاً وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله للإشتعار بأن لم يتصف به لم يستحق الألوهية وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الإقتصار على لفظ الماضي لوروده رداً على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله أو ليطابق قوله ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ أي ولم يكن أحد يكفئه أي يماثله من صاحبة وغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفواً لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدّم تقديماً للأهم ويجوز أن يكون حالاً من المستكن في كفواً أو خبراً ويكون كفواً حالاً من أحد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل الثلاث (قاضي بيضاوي) .

. . . .

وكـان سبب نزول هـذه السورة كـما قال أبي بن كعب وجـابر بن عبـدالله وأبو العـالية والشعبي وعكرمة رضي الله تعـالى عنهم أجمعين أنـه اجتمع كفـار مكة وهـم عـامر بن طفيـل وزيد بن قيس وغيرهما وقالوا يا محمد صف لنا ربـك من أي شيء هو أهـو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس فإن آلهتنا من هذه الأشياء فقـال النبي عليه السـلام : « هو لا يشبه شيئاً في نفسه فأنزل الله تعالى هذه السورةوقال ﴿ قل ﴾ يـا محمد ﴿ هـو الله أحد الله الصمـد ﴾ قال ابن عبـاس الصمد الـذي لا جوف لـه ولا يأكـل ولا يشرب فلو كـان مجوفـاً لاحتاج إلى شيء وهو لا يحتاج إلى شيء بل كل الخلائق محتـاجون إليـه ولو كـان محتاجـاً إلى شيء لكان لا يليق بالربوبية (من الحديث الأربعين) روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « لعائشة يا عائشة لا تنامي حتى تعمـلي أربعة أشيـاء حتى تختمي القرآن وحتى تجعـلي الأنبياء لك شفعاء يوم القيامة وحتى تجعلي المسلمين راضين عنـك وحتى تجعلي حجـة وعمرة فـدخل عليـه السلام في الصـلاة فبقيت على الفـراش حتى أتم الصلاة فلما أتمهـا قالت يـا رسول الله فداك أبي وأمي أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه السـاعـة أن أفعلها فتبسم رسـول الله ﷺ وقال إذا قرأت ﴿ قل هو الله أحـد ﴾ ثلاث مـرات فكأنـك ختمت القرآن وإذا صليت عـليّ وعلى الأنبياء من قبـلي فقد صـرنا لـك شفعاء يـوم القيامـة وإذا استغفرت للمؤمنـين فكلهم رضـوان عنـك وإذا قلت سبحـان الله والحمـدلله ولا إلـه إلا الله والله أكبـر فقــد حججت واعتمرت » (تفسير حنفي) عن عـلي بن أبي طالب رضي الله تعـالى عنه أنـه قال قـال عليه السلام : « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الغد عشر مرات لم يصل إليه ذنب وإن جهده الشيطان وهي سورة مكية وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعـون حرفـاً » وعن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « من قرأ سورة قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله تعالى من الأجر كمثل أجر مائة شهيد » (من الحـديث الأربعين) وعن النبي عليه السلام أنه قال : « إن في الجنة شجرة تسمى حولب وعليها أثمار أكبر من التفـاح وأصغر من الرمان وأحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وألين من الـزبد » فقـال أبو بكـر رضي الله تعالى عنه من يأكلها يا رسول الله قال عليه السلام : « من سمع اسمي فصلى عليّ فهو يأكلها » (زهرة الرياض) وإنما سميت سورة الإخـلاص لأنها تخلص قارئهـا من شدائـد الدنيا والآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة . حكي أن رجلاً مات فرآه أبوه في المنام تلك الليلة كأنه في الجحيم والأغلال ثم رآه في ليلة ثـانية في الجنـة فقال مـا رأيت في البارحة كذا فما هذا فقال مر علينا رجل فقرأ قل هو الله أحـد ثلاث مـرات ووهب أجره لنـا فقسم علينا فهذا الذي تراه نصيبي منه (تفسير الخازن) عن أنس بن مالـك رضى الله تعالى

عنه عن النبي عليه السلام أنه قال : « من قرأ سورة الإخلاص مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله ومن قرأها عشر مرات بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء . وفي الخبر من قرأ سورة الإخلاص في الفرائض غفر الله له ولوالديه ومحا اسمه من ديوان الأشقياء وكتبه في ديوان السعداء (مجالس) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « كنت أخشى العذاب على أمتي بالليل والنهار حتى جاء جبرائيل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد فعلمت أن الله لا يعذب أمتي بعد نزولها لأنها نسبة الله ومن تعهد قراءتها تناثر البر من عنان السماء على رأسه ونزلت عليه السكينة وغشيته الرحمة فينظر الله تعالى إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبداً ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه » (تفسير حنفي) .

روي أن النبي عليه السلام لما خرج مهاجراً إلى المدينة اجتمع كفار مكة في دار الندرة وهي في سكة أبي جهل عليه اللعنة وقالوا من يرد محمداً إلينا أو رأسه نعطيه مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة ومائة جارية رومية ومائة فرس عربية فقام رجل يقال له سراقة بن مالك وقال أنا أرده إليكم فضمنوا له هذه الأموال فخرج خلفه وأدركه عليه السلام فسل سيفه ليقتله فنزل جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله إن الله سخر الأرض لأمرك فقال رسول الله يا أرض خذيه فتسفل فرسه في الأرض إلى الركبة فقال يا رسول الله لا أفعل الأمان الأمان فدعا رسول الله فأنجاه الله بدعائه عليه السلام فسار ساعة ثم سل سيفه وأراد قتله فتسفل فرسه في الأرض حتى أخذته الأرض إلى سرته فقال الأمان الأمان يا رسول الله لا أفعل بعدها شيئاً فدعا رسول الله عليه السلام فأنجاه الله تعالى فنزل عن فرسه وجثا بين يديه ناقة رسول الله وقال يا رسول الله أخبرني عن إلهك حيث كانت له قدرة عظيمة مثل هذه أمن الذهب أم من الفضة فنكس رسول الله عليه السلام رأسه ساكتاً فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) و ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾ و ﴿ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فقال سراقة يا رسول الله أعرض عليّ الإسلام فعرض عليه الإسلام وأسلم وحسن إسلامه « من الحديث الأربعين » وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ سورة الإخلاص مع المعوذتين وينفث على يديه ويمسح بهما على جسده عند النوم إذا كان وجعاً ويأمر بذلك . قال بعض العلماء من واظب على قراءتها نال كل خير وأمن من كل شر في الدنيا والآخرة ومن قرأها وهو جائع شبع أو عطشان روي . وروي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال كنا مع

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بيضاء وشعاع نورها لم ير مثله فيما مضى وكان بينه وبين المدينة مسيرة شهر فصارت الشمس مغبرة فنزل جبرائيل عليه السلام لكثرة أجنحة الملائكة قال عليه السلام : « لم ذلك » قال جبرائيل عليه السلام لأن معاوية بن القرة مات بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه قال لم ذلك قال لكثرة قراءته قل هو الله أحد بالليل والنهار في مشية وقيامه وقعوده وذاهباً وجائياً على كل حال فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هل لك أن أقبض الأرض فتصلي عليه فقال عليه السلام نعم فضرب بجناحه على الأرض فضاقت ورفع له سريره حتى نظر إليه وخلفه صفوف من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك فصلى عليه السلام عليه ثم رجع إلى تبوك . قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه روى مسلم أنه قال (إن الله تعالى جزأ القرآن) وهو بتشديد الزاي بمعنى قسمه (ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن) ووجه كونه جزءاً يجوز أن يكون باعتبار الثواب يعني أن الله تعالى يعطي قارىء هذه السورة ثواب قراءة ثلث القرآن من غير تضعيف أجر كذا قاله النووي وقيل أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد أحد هذه الثلاثة وهو صفات الله تعالى (ابن ملك على المشارق) وحكي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالساً على باب المدينة إذ مرت جنازة رجل فقال عليه السلام : « هل عليه دين فقالوا عليه دين أربعة دراهم ومات ولم يؤدها فقال عليه السلام صلوا فإني لا أصلي على من كان عليه دين ومات ولم يؤده فنزل جبرائيل عليه السلام فقال يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول بعثت جبرائيل بصورته وأدى دينه قم فصل فإنه مغفور له ومن صلى على جنازته غفر الله له فقال النبي عليه السلام يا جبرائيل من أين له هذه الكرامة فقال بقراءته كل يوم مائة مرة سورة قل هو الله أحد لأن فيها بيان صفات الله تعالى والثناء عليه وقال النبي عليه السلام من قرأها في عمره مرة لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة خصوصاً من قرأها في الصلوات الخمس في كل يوم مرة يشفع يوم القيامة لجميع أقربائه وعشيرته ممن قد استوجب النار » (من الحديث الأربعين) وفي الحديث من قرأ قل هو الله أحد مع التسمية غفر الله له ذنوب خمسين سنة (تفسير حنفي) حكي عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام مائة حمامة من حمام مكة بلا رؤوس فلما انتبه قص رؤياه على المعبر فقال له لعلك قرأت سورة الإخلاص مائة مرة بلا تسمية فقال صدقت (تفسير حنفي) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « لما أسري بي إلى السماء رأيت العرش على ثلاثمائة وستين ألف ركن من الركن إلى الركن مسيرة ثلاثمائة ألف سنة وتحت كل ركن اثنا عشر ألف صحراء كل صحراء من المشرق إلى المغرب وفي كل صحراء ثمانون ألفاً من الملائكة يقرؤون قل هو الله أحد فإذا

فرغوا من القراءة يقولون يا ربنا ويا سيدنا قد وهبنا ثواب هذه القراءة لمن قرأ سورة الإخلاص من الرجال والنساء » فتعجبوا من ذلك قال عليه السلام : « أتعجبون يا أصحابي قالوا نعم يا رسول الله فقال عليه السلام والذي نفسي بيده ان﴿ قل هو الله أحد ﴾ مكتوب على جناح جبرائيل عليه السلام ﴿ الله الصمد ﴾ مكتوب على جناح ميكائيل عليه السلام ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ مكتوب على جناح عزرائيل عليه السلام ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ مكتوب على جناح إسرافيل عليه السلام فمن قرأ من أمتي سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب من قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « أتعجبون يا أصحابي قالوا نعم يا رسول الله فقال عليه السلام والذي نفسي بيده » ان ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مكتوب على جبهة أبي بكر الصديق ﴿ الله الصمد ﴾ مكتوب على جبهة عمر الفاروق ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ مكتوب على جبهة عثمان ذي النورين ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ مكتوب على جبهة علي السخي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ممن قرأ سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (حياة القلوب)روي أن رجلاً شكا إلى النبي عليه السلام من الفقر فقال النبي عليه السلام له : « إذا دخلت منزلك فاقرأ سورة الإخلاص ففعل ذلك فوسع الله عليه الرزق » . وقال عليه السلام : « من قرأ سورة الإخلاص في مرضه الذي يموت فيه لم يتن في قبره وأمن من ضيق القبر وحملته الملائكة بأجنحتهم حتى يجوزونه من الصراط إلى الجنة » كذا في تذكرة القرطبي لكن شرطه مع البسملة .

﴿ قال المؤلف ﴾ الحمد لمن وفقنا بين الموفقين لانجاز المعارف المطلوبة . وأنعم علينا بإتمام الدرر الملتقطة من الكتب المرغوبة . وصير حال الحرج فرجا بفطام الدموع من الأقلام المنصوبة . والصلاة والسلام على من هو أفضل الرسل وأكمل البرية . وعلى آله وأصحابه الذين نالوا ما نالوا باعتصام الشريعة النبوية . يسر الله لنا شفاعتهم يوم القيامة والجمعية وقد تمت على يد الفقير العاصي الراجي رحمة ربه القدير يوم يؤخذ بالنواصي . عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوب . اكرمه الله في الدارين بلطفه وكره الوفي وغفر الله له ولوالديه . وأحسن إليهما وإليه . آمين بحرمة سيد الأنبياء والمرسلين . في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف .

﴿ تم الكتاب بحمد الله ﴾

فهـــرس

